



# بغاياذ كراب

الباقرى  
أحمد حسن

مركز الأهرام  
للترجمة والنشر

الأهرام



قليلون هم الذين حضوا بالفرصة التي اتاحت للشيخ الباقورى ، للمشاركة فى صنع الأحداث فى بلادهم . ففى مطلع شبابه ، لعب دورا بارزا فى ثورة الأزهر والأزهريين مما جر عليه السجن والفصل والتشريد . ثم انخرط فى حركة الإخوان المسلمين ، واحتل فيها مكانا أثيرا لدى مؤسسها وقائدها المرحوم حسن البنا ، حتى أنه عهد إليه بأمر الجماعة عندما أحس بأنه محاصر . وعندما تفجرت ثورة يوليو وتولى الوزارة فيها ، لعب دورا مؤثرا فى التمكين لها فى الداخل والخارج ، مما جعله من أقرب المقربين لعبد الناصر .

وفى كتابه « بقايا ذكريات » ، يروى الباقورى أسرار وملابسات مشاركته فى هذه الحركات الثلاث ، ويقف فى هذا عند عام ١٩٦٤ . وقد رأينا نشرها كما هى ، دون أى محاولة لاستكمال ما عرض للمؤلف من أحداث حتى وفاته فى أغسطس ١٩٨٥ ، فذلك أقرب للحفاظ على أمانة العمل وأصالته .

### الناشر

مركز الاهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الاهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الاهرام للتوزيع  
ش الجلاء - القاهرة

بغایان و کربان

الیا قری  
امیر

الطبعة الأولى  
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة  
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - فاكس ٩٢٠٠٢٠ يوان

غلاف  
عبد الغنى أبو العينين



# المحتويات

صفحة

تمهيد ..... ٥

## القسم الأول الأزهر .. معارك ورجال

الفصل الأول : الاصل والإطار ..... ١٢

## القسم الثانى فى صفوف الإخوان المسلمين

الفصل الثانى : اللقاء مع البنا والامانة التى حملها لى قبل استشهاده ٣٩

الفصل الثالث : ليس نظاما خاصا واحدا بل نظامين ..... ٦٩

الفصل الرابع : الإخوان بعد الإمام ..... ٩١

## القسم الثالث مع ثوار يوليو

الفصل الخامس : من معهد المنيا للوزارة ..... ١١٥

الفصل السادس : سفير الثورة إلى العالم .. من الفلبين للمغرب ..... ١٤١

الفصل السابع : عبد الناصر .. أسلوبه ويطانته ..... ٢٠١

الفصل الثامن : تدهور العلاقات مع عبد الناصر .. البداية كانت

فى سوريا ..... ٢٢٩



## تمهيد

شهد الله أننى كنت شديد العزوف عن تدوين هذه الذكريات ، مقالات في مجلة او صفحات في كتاب . وذلك أننى أعلم أن الذين عايشوا أحداثا في دنيا الناس ، لابد أنهم يتعرضون في أحاديثهم عن تلك الأحداث لأفراد أو جماعات واكبوا الأحداث مواكبة حرص على الحق وإخلاص لله ، أو مواكبة حرص على الظفر بمنقعة شخصية استرضاء لعاطفة حزبية .

ولا شك في أن التعرض لأولئك المخطئين بما يعيبهم أو يعيب ذوى قرباهم ، إن هو إلا عقوق لأدب الإسلام ، وأخذ في سبيل غير سبيل المؤمنين ، التى نهى رسول الله عن سلوكها بقوله ﷺ « لا تسبوا الأموات فإنهم أقضوا إلى ما قدموا » .

وذكر معائب الموتى هو لؤن من ألوان سبهم الذى نهانا عنه رسول الله . فلقد أذكر ويذكر الذين يؤرخون للحركات الاجتماعية ، أننى شهدت ثلاث حركات ، كانت تتغيا الإصلاح لدنيا العروبة والعرب ، ودنيا الإسلام والمسلمين ، وهذه الحركات الثلاث هى : حركة الإخوان المسلمين التى وضع قواعدها وحدد معالمها الإمام الشهيد حسن البنا فى مدينة الاسماعيلية عام ١٩٢٧ ميلادية .

ثم حركة طلاب الأزهر الشريف ، التى قام بها طلاب أزهريون بتحريض من أساتذة وشيوخ ذوى غيرة بالغة على شئون الأزهر وشئون الإسلام . وقد بدأت هذه الحركة سنة ١٩٣٤ ميلادية .

ثم جاءت بعد ذلك ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ميلادية التى وضع قواعدها ، وقام بتنفيذها مجموعة الضباط الاحرار .

وليس يفوتنى - لله ثم للتاريخ - أننى أسهمت بنصيب مقدور فى الحركات الثلاث ، إذ كنت مع الإمام الشهيد مريدا من مريديه ، أو حواريا من حواريه منذ بدأ حركته المقدورة ، فلا أذكر أننى تخلفت عنه فى رحلة رحلها من الاسكندرية إلى أسوان ، ومن بورسعيد إلى الدار البيضاء أتلقى منه وأخذ عنه .

ولما قامت ثورة الأزهر ، كنت عنوان الثورة فيها ، وكان اسمى فى رأس القائمة التى قرر المجلس الأعلى للأزهر فصل أساتذتها وطلابها وحرمانهم من شرف الانتساب إلى الأزهر الشريف .



وقد ظَلَّتْ الثورات يأخذ بعضها بعجز بعض ، حتى إذا كانت ثورة الضباط الأحرار اختارنى رجالها لسانا لها ، يدعو الى تأييدها والانتصار لها بكل سبيل كما تشهد بذلك وثائق التاريخ .

وليس يخفى على ذى نظر بعيد أن للتاريخ قداسة ، وأن الذين يتعرضون لكتابتها لا مناص لهم من أن يظلموه استرضاء للناس . أو يظلموا الناس إنصافا للتاريخ ، فالمؤرخ أو مدون الذكريات بين امرين أحدهما مر وأخيرهما شر ، وهذا هو الذى جعلنى شديد العزوف عن تدوين هذه البقايا من الذكريات أو هذه الصحائف من المذكرات .

غير أن أمرا واحدا هو الذى نفى عن نفسى الحرج ، وحملنى حملا على كتابة هذه الصحائف ، وذلك الأمر له طرفان كلاهما له فى نفسى مكان عزيز وحق مقدور ، فأما أحد الطرفين فهو أولئك الإخوة الأعزاء الذين يستحثوننى - كلما التقيت بهم - على كتابة مذكراتى وفاء منهم لمعنى كريم يتصل بشخصى ، أو يتصل بشعبنا الذى نعتز به ، وأمتنا العربية الإسلامية التى نعتزى إليها ، ضنا بالحقائق أن تلعب بها الأهواء والشهوات ، أو تستغلها الأحقاد والعداوات التى تتربص بأمتنا العربية ، وأمتنا الإسلامية فى شتى شئونها الاجتماعية والسياسية . هذا ما يتصل بأحد الطرفين الذى أتمثل فى إطاره أخوة أعزاء .

وأما ما يتصل بالطرف الآخر ، فهو أن الذين كتبوا مذكراتهم ونشروها فى الناس ، قد دونوا فى سطورها اسمى ، وكانهم يستشهدوننى على ما كتبوا ، أو هم يدعوننى إلى أن أكتب كما كتبوا للتاريخ ما تعيه الذاكرة من أحداث ، لا ريب فى أن التاريخ يحرص عليها ، والأمة تحتاج إليها .

وعن هذا الإحساس الواعى ، لم أجد مندوحة عن كتابة هذه الصحائف على أن استبدل بكلمة « مذكرات » كلمة « ذكريات » أو « بقايا ذكريات » فإن هذا التعبير أكثر وضوحا ، وأبين دلالة ، وأخلق بمسايرة الأحداث التى عايشتنا ، وعاشناها أمدًا ليس بالقصير ، تنطمس فيه معالم الطريق إلا على أولئك الذين حاولوا أن يتشبهوا بكبار الساسة قراحوا يقيدون فى كراسات ما يمر بهم من أحداث ، وما يجرى فى رؤوسهم من خواطر ، على نحو ما كان يفعل ذلك الأستاذ حسن البنا ، فإنه كان كلما رحل فى جوانب مصر كتب فى كراسة كل أحداث يومه قبل أن ينام فمثله - رحمه الله - يستطيع أن يقول « مذكرات » . أما نحن وأمثالنا فإن الأشبه بأحوالنا أن نؤثر كلمة « بقايا ذكريات » إذ كنا لم نقيد الأحداث يوما أثر يوم فضاع منها الكثير فى غمرة ذهن مكود ، وعيش مجهود ، والله المستعان .

على أن من الذكريات ما يراه أهل الخير تحدثا بأنعم الله ، ومعاوننا على

ما ينفعهم في خاصة أنفسهم . أو ينفع الناس بهم ، كما يرى ذلك الذين فقهوا سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه - فإنهم سوف يرونه خطيباً على منبر رسول الله ﷺ ، وقد اجتمع في المسجد النبوي الشريف المهاجرون والأنصار ، فقام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد عبد الله ورسوله ، ثم قال : أيها الناس لقد رأيتموني أرفعى غنماً لخالتي ، وقد ارتديت قميصاً دون ركبتي حتى إذا غربت الشمس رحت عليهن بالغنم ، فقبضن لي قبضات من التمر أتبلغ بهن إلى اليوم التالي ، وهانذا - اليوم - أمير المؤمنين ليس فوقى سلطان إلا الله رب العالمين .

ثم نزل عن المنبر والعجب منه ملء الصدر ، والإنكار عليه يكاد يهتف به في السنة عامة المجتمعين : لقد أخطأت يا عمر . فلما نزل - رضي الله عنه ، قام إليه أقرب الناس إلى قلبه ، وأوثقهم عنده وأشدّهم إخلاصاً له ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، فقال له : ما هذا الذي صنعت يا أمير المؤمنين إنك لم تزد على أنك حقرت لنا نفسك ! فأجاب عمر إجابة الذي يعرف نفسه ويخشى ربه ، ويصون أمانة الله عنده ، فقال له : لا تخدعني عن نفسي يا ابن عوف ، فإنني قلت ما سمعتم لا أريد بذلك إلا خيراً لي ولكم ، فقد رأيت نفسي قد أخذ الغرور بزمامها حتى كادت تسلك بي شر المسالك ، وتحملني على ما لا خير فيه لي ولكم ، فإذا أنا شر راع ، وأنتم أشقى رعية ، ثم لم أجد أمناً من فتنتها إلا من أذكرها بما فيها حتى تأخذ من الماضي عبرة للحاضر والمستقبل . وعسى أن أكون قد ظفرت بحسن النية وصواب السلوك وخير الإسلام والمسلمين .

هذا ومن أعجب أحاديث الذكريات وأنفعها للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، حديث يتجلى فيه وجه العبرة تجلياً يضع الناس في حرج شديد بين فم مقعد مقيم . وقد روى هذا الحديث الأديب العربي الأستاذ عبد الله عفيفي إمام جلالة الملك فؤاد الأول فذلك حيث قال في مجلس من مجالس أدبه لطلابه ، والأخذين عنه ما نؤثر أن نرويه بأسلوبه هو حيث قال : في أصيل يوم من صيف سنة ١٩١٤ كنت واقفاً مع الواقفين في محطة السكة الحديدية بطنطا ، أترقب القطار القادم من الإسكندرية إلى القاهرة ، ولقد كان كل من في المحطة مشغولاً بتلك الدقائق المعدادات يقضيها في توديع وإشفاق وترقب وانتظار وحمل متاع ، وكنت في شغل بصديقي يجاذبني حديثاً شيقاً ممتعاً ، وبين ذلك الجمع المحتشد ، راع الناس صياح وإعوال ومشادة ومداغة ، ثم أبصروا فإذا فتاة في السابعة عشرة من عمرها يقودها إلى موقف القطار شرطى عات شديد ، ومعه ساع من ساعة معتدى الدول الغربية قوى عتيد ، ومن خلفها شيخ أوروبى جاوز الستين مكتئب مهزول ، والفتاة تدافع الرجلين من حولها بيدين لا حول لهما ولا قوة . ثم أقبل القطار فكاد كل ينسى - بذلك الموقف - موقفه وما قصد له ، ثم أصعدت الفتاة ، وصعد معها من حولها ، وعجلت أنا

وصاحبي فأخذنا مقاعدنا حيث أخذوا مقاعدهم ؛ كل ذلك والفتاة على حال من الحزن والكرب لا يجمل معها الصبر ، ولا يحمد دونها الصمت ، ولذلك لم أجد بدا من أن أسأل الشيخ ما خطبه ، وما أمر الفتاة التي معه ؟ فقال ، وقد أشرقه وقطع صوته الأسى ، إننى رجل أسبانى وهذه الفتاة ابنتى ، وقد عرض لها منذ حين ما لم أعلمه ، فصحوت ذات يوم على صوتها تصلى صلاة المرأة المسلمة ، ومنذ ذلك اليوم احتجرت ثيابها لكى تتولى أمر غسلها بنفسها وأرسلت خمارها الأبيض على صفحتى وجهها ومكشوف صدرها ، ثم أخذت تقضى وقتها فى صلاة وصيام وسجود وهجود ، وكانت تدعى « روز » فأبى إلا أن تسمى فاطمة ، ثم ما لبثت أن تبعثتها أختها الصغرى ، فصارت أشبه بها من القطرة بالقطرة ، ومن الزهرة بالزهرة . ولقد فرغت أنا لهول ذلك الأمر فقصدت أحد أساقفتنا فأخذ يعانى رياضة الفتاة ، فلم يجد إلا شماسا وامتناعا ، فعزّت على الرجل خيبته فكتب إلى معتمد الدولة الأسبانية فى القاهرة بأمر الاسرة الخارجة على دينها ؛ وهناك أمر المعتمد حكومة مصر فسأقت إليه الفتاة كما ترى برغمها ورغم ذويها ، لكى يقذف بها بين جوانب دير تسترد فيه دينها الذى تخلصت منه واسمها الذى تخلت عنه إلى اسم فاطمة ، قلت له : أو أرضاك أن تساق ابنتك سوق الأثامات المجرمات على غير إثم أو جريمة ؟ فزفر الرجل زفرة كاد ينصدع لها قلبه ، ثم قال : لقد خدعت وغلب أمر الحكومتين امرى فما عسائى أن أفعل ؟

على اثر ذلك انثنيت إلى الفتاة ، وهى تعالج من أهوال الحزن ما تخشع الراسيات من دون احتماله ، فقلت لها ما بالك يا فاطمة هكذا حزينة مكتئبة ؟ فأجابتنى فى صوت يتعثر من الضنى ، وقد أنست منى ما لم تأنسه ممن حولها فقالت لنا جيرة مسلمون ، أغدو إليهم فاستمع أمر دينهم ، حتى إذا أخذنى النوم ذات ليلة ، رايت النبى محمدا ، ﷺ ، فى حالة من النور يخطف سناها الأبصار ، وهو يقول ملوفا لى بيده : « اقتربى يا فاطمة » وما أن بلغت الفتاة هذه الجملة حتى ارتعدت ثم أخذتها رجفة ، فهوت على مقعدها كأنها بناء منقض ، فلما أفافت من غشيتها قلت لها : وما تخافين يا فاطمة ؟ قالت سيؤمر بى إلى دير حيث ينهلون السياط من دمنى ولست من ذلك أخاف ، إلا أن أخوف ما أخاف أن يحال بينى وبين صلاتى ونسكى . ومازلت بالفتاة الاطفها ، وأتحدث إليها حتى انصرفت مع أبيها ومعتمد الدولة الأسبانية فى القاهرة ، ولست أدرى بعد ذلك ما كان من أمرها . والأمر إلى الله تعالى ، يقضى فيه بما يشاء كيف يشاء .

فهذه أحاديث ثلاثة على السنة صادقين مقدورين ، وكل حديث منها يصلح لأن يكون ذكريات أو مذكرات ، وربما كان فى إيرادها على هذا النحو ، تذكرة بأن تدوين المذكرات أو الذكريات ، ليس وليد العصر الذى نعيش فيه الآن ، ولكنه أمر قديم ، ومن شأن ذلك أن يدعو مثلى إلى تدوين ذكرياته فى غير حرج ولا تأثم ، إذ كان موضع القدوة فيه واضح المعالم خافق الاعلام ، ولذلك رايتنى منشراح الصدر لكتابة

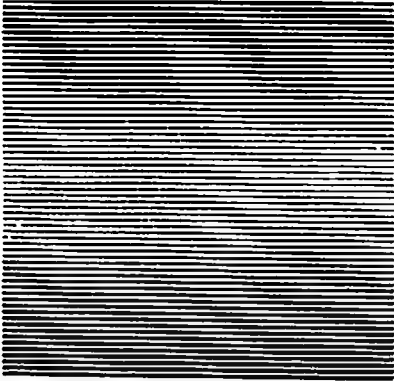


ما يسميه الناس « مذكرات » وأسميه أنا « بقايا ذكريات » .


وإنى لضارع إلى الله - جل ثناؤه - أن يعصمني من العجب بما أحسن ،  
والتكلف لما لا أحسن ، فإنه - سبحانه - المأمول لكل خير وهو يتولى الصالحين .

في ظلال وارفة من هذه الأحاسيس ، وفي أنس بما ذكر الأسلاف الصالحون ،  
وكتب الأخلاف الموثقون من ذكريات ، يرجون الخير لأنفسهم أو لامتهم بهم ، رأيتني  
منشرح الصدر لاستجماع إرادتي ، وكد ذهني في محاولة الظفر بذكريات أكتبها ،  
رجاء أن ينفع الله بها الذين يطلبون الحق ويحرصون على الانتفاع به ، ولكنهم  
لا يجدون السبيل إليه إلا بشاهد مقدور موثق ، وإنى لضارع إلى الله - جل جلاله -  
أن يجعل مني ذلك الشاهد ، الذي يوثق به ويؤخذ عنه والله ولي الصالحين .





## القسم الأول



الأزهر.. معارك ورجال





### الأصل والإطار

إن القدوة بالأسلاف الصالحين تنطوى على حكم بالغة وفيها - بلا ريب - خير كثير . وقد ألفوا أن يعرفوا الناس بأنفسهم على صورة تجعل الأخذ عنهم ملما بأحوالهم في الثقة بهم ، والاطمئنان إلى أنهم يقولون ما يعلمون . ومن هذا المنطلق لا أرى بأسا في أن أقدم نفسي لقراء هذه الكلمات فأذكر لهم أننا - أهلى وأسرتى - وافدون من المغرب الأقصى ، بعد أن طرد العرب من الأندلس واستولى الاستعمار على تلك البلاد .

وقد كان والدى الشيخ حسن عبد القادر بدويا حريصا على أن نحفظ سلسلة نسبنا التى تبتدىء بالشيخ عبد القادر عبد القادر بدوى ، وأن هذا الرجل « عبد القادر » حين بلغ مصر نزل - أول ما نزل - بقرية « دويبة » من أعمال مركز أبو تيج بمديرية اسيوط ، ثم تحول الرجل إلى قرية باقور القريبة منها وقد لقب بالبدوى .

وكان الرجل شديد الاعتزاز بنسبه ، وقد ماتت زوجته أثناء الرحلة إلى البلاد المصرية ، فأخذ يبحث عن زوجة تقاسمه هموم الحياة ، وتعينه على شدائد الدهر ، فكان يحرص على أن يجد زوجة مهاجرة مثله من المغرب إلى مصر ، فذله إخوانه على أن يطلب زوجته في قرية من قرى صعيد مصر تعرف « بنزلة الأشراف » . وقد يسر الله له الطريق إلى الزواج بسيدة تدعى « أم على » فولدت له جدى الشيخ أحمد عبد القادر بدوى . ولقد أذكر أن جماعة من نزلة الأشراف جاؤا إلى يزوروننى ، وأنا يومئذ وزير الأوقاف ، ولقد أخبرونى بهذا النسب وذكروا أن للسيدة « أم على » ميراثا في تلك القرية . فكان ذلك تأكيدا لما كان يذكره لى والدى عن هذا النسب .

### حالة مصر في آخر القرن التاسع عشر

وغير خفى على الذين يتدبرون تاريخ مصر في آخر القرن التاسع عشر الميلادى . أن البلاد كانت مرتبكة ارتباكاً شديداً في الجانب السياسى ، والجانب الاقتصادى .

ومرجع الارتباك في النظام السياسي تعدد السلطات الحاكمة إذ كانت السلطة الأولى هي سلطة الوالي العثماني الذي كان نائباً عن السلطان في حكم البلاد . وكانت السلطة الثانية هي سلطة رؤساء الجند الذين هم قواد الفرق . وكانت السلطة الثالثة هي مجلس شورى الباشا التركي ، وكان من شأن ذلك ألا يتم أمر تدار على أساسه سياسة البلاد .

فإذا تركنا النظام السياسي إلى النظام الاقتصادي ، رأينا نظاما اقتصاديا هو إلى الخيال الجامح أدنى منه إلى الحقيقة الواقعة . ذلك أن السلطان كان قد اعتبر نفسه مالكا لأراضي مصر كلها من حيث الانتفاع بغلاتها وثمراتها ، ولم يكن الفلاحون المصريون يملكون من الأرض إلا النزر اليسير ينتفعون به ويتوارثونه ، وكانت ملكيتهم معلقة على دفع الضرائب وكانت الضرائب فادحة ، وأفدح ما كان فيها نظام الالتزام ، وهو أن تعرض الحكومة الأرض المراد جباية ضريبتها للمزايدة ، فيتقدم أعيان البلاد ليتعهدوا بدفع الضرائب المرادة ، وإلزام أنفسهم بها ، ثم يطلبون إلى الفلاحين أن يؤدوا الضرائب التي عليهم للحكومة . ولكنهم في كثير من الأحيان كانوا يضيفون إلى مقدار الضريبة مثلها أو أكثر ، ثم يحصلون هذا المقدار عن طريق الضرب والإهانة والحبس ، وكل ما يؤدي إلى الحصول على المال .

وقد أذكر أن العالم الجليل الشيخ الدردير كتب في باب الإجارة في الفقه يقول : « إن نظام الالتزام حرام ، وإن الذين يأكلونه من الولاة والأمراء والأعيان إنما يأكلون في بطونهم النار » .

وما دام الأمر أمر ذكريات فإنني أذكر أنني سألت الإمام المراغي ذات يوم : لماذا تصر على زيارة مسجد الشيخ الدردير في كل رمضان مع شدة الزحام في الطريق إليه ، إذ كان الشارع الذي يقع فيه المسجد عبارة عن درب طويل لا يتسع لمروء السيارة ، وقد كان هذا الدرب متفرعا من شارع الغورية في منطقة الأزهر الشريف ، فقال لي الشيخ المراغي في مجلسه في إدارة الأزهر : « إن هذا الرجل هو الصورة المثلى لشيخ الإسلام علما وزهدا وشجاعة ، ولست أعرف له نظيرا فيمن عرفت من الذين عاصروناهم أو سمعنا عنهم » .

لقد اجتمع على مصر لوثان من ألوان الظلم واضطراب الأحوال : الاستبداد السياسي ، والاختلال الاقتصادي وقد أنتج هذان اللوثان في حياة الشعب المصري اللجوء إلى « الكرواج » الذي كان وسيلة تجبى بها الضرائب ، وتنفذ به مشيئة الحاكم كبيرا كان أم صغيرا .

وإلى جانب هذا البلاء جاء نظام السخرة الذي جرّ الأما لا تحصى على عشرات الآلاف من الفلاحين الذين كانوا يخرجون كل سنة من بيوتهم لتطهير الترع ، ومقاومة



الجراد وتقوية الجسور ، فكان هؤلاء التعساء يلزمون العمل على أعين نظار مسلحين بالكراباج ليلا ونهارا ، اسابيع وشهورا بغير وقاء ولا أجور ثم يحصدهم الموت زمرا .

وقد أنتجت هذه الحياة الاجتماعية استسلام الشعب لكل ذى سلطان . ولكن المصريين - كما يعلم الذين درسوا التاريخ - لا يتركون مقاومة خصومهم فإذا عجزوا عن لقائهم بالقوة يدفعون بها عن أنفسهم ظلم الظالمين ، فإنهم يعمدون إلى النكتة المعروفة عنهم ، وهى سلاح له قيمة فى تسلية المظلومين وموعظة الظالمين ، ولم تكن النكتة مقصورة على الطبقات الشعبية فى المدائن والقرى ، ولكنها عرفت طريقها إلى قصور الملوك والحكام والأمراء . ومثال ذلك الشيخ على الليثى والشيخ على أبو النصر وكانا شاعرين من شعراء قصر الخديوى ، وكان الشيخ الليثى سميرا مليح النكتة حاضرها ، ومن ذلك أن أحمد خيرى باشا « المهردار » - حامل خاتم اسماعيل - أراد أن يداعب الشاعرين فأمر أن تلصق ورقة على باب غرفة الشيخين الشاعرين فى قصر عابدين ، وفى الورقة الآية الكريمة : « إنما نطعمكم لوجه الله » . فلما رآها الشيخ الليثى فطن للدعابة ، وعرف أن الذى أمر بها هو « المهردار » فنظم بيتين من الزجل كتبهما فى ورقة وألصقها على باب « المهردار » ، ويقول فيهما :

كانت لى طاحونة جوه الدار      تدور وتطحن ليل ونهار  
دورت فيها الثور عصى      دورت فيها المهردار  
وقد كان ذلك ردا ظريفا استملحه الخديوى وظل يردده مع قدمائه .

## أمران حرص عليهما الفاس

وفى هذا الجو غير المستقر انصرف الفاس عن كل شىء إلا عن امرين : إتقاء غضب الحاكم ، وتحصيل لقمة العيش . وكان فى جملة الذى انصرف الناس عنه التعليم لأن المواد التى كانت تدرس فى المدارس الأميرية كانت ثقيلة ، ولأن تعليم الأولاد كان يكلف الأسرة بعض المال ، والأولاد أنفسهم يعتبرون رأس مال تنتفع بهم أسرهم فى تحصيل الرزق .

وفى قرية باقور التى عشنا فيها ، كانت أحوال أهلها الاجتماعية والاقتصادية صورة شبيهة بسائر القرى ، فلا يختلف بعضها عن بعض غير أن « باقور » كانت تمتاز بكثرة السكان الاقباط فيها ، وبشدة تألفهم . وكان التعليم فى المدارس الأميرية معنيا بأبلغ عناية بتعليم اللغات الأجنبية خاصة الانجليزية والتركية ، حتى انصرف الناس عن تعلم العربية والعناية بشانها . ولهذا لم يجد أهل الفيرة على الإسلام بدا من الدعوة إلى تحفيظ القرآن الكريم فى كتاتيب مختلفة ، فالحقنى والدى بكتّاب من تلك الكتاتيب لاحفظ القرآن ، كما كان يحفظه هو وجدى وأكثر أفراد أسرتى .

ولا أزال أذكر اسم شيخ الكُتّاب ، وهو الشيخ عبد الحافظ فراج . ومن خصائص هذا الشيخ التي يمتاز بها عن سائر شيوخ الكتّاب انه كان فقيها بتذكرة داود ، وهي كتاب يشتمل على الطب القديم ، ويكاد يستوعب خصائص النباتات البرية وما تتضمنه من فوائد صحية ، وكان الشيخ رحمه الله صلب العصا لا يرحم من يقصر في الحفظ ، أو تسميع راتبه اليومي ، وكنا تحت اشرافه نشترك في تنظيف الكتاب والحصر المفروشة فيه ، وكثيرا ما كنا نؤدى صلاة الظهر إذا وجبت داخل الكُتّاب ، وكان يؤمنا في الصلاة . وكان الأجر الذي ندفعه لشيخ الكُتّاب أجرا ضئيلا جدا ، لا يكاد يفي بالحاجات الضرورية ، ولم يكن يشترط لنفسه شيئا يتفق عليه ، فمن شاء أهذى إليه ، ومن شاء أمسك ، وهو في الحاليتين شديد القناعة راض بما يعطيه الله من ثواب في قيامه بتعليم صبيان القرية الكتابة والقراءة ، وحفظ القرآن الكريم .

والكُتّاب على هذه الصورة كان يقوم بمحو الأمية قبل أن يعرف أهل القرن الحاضر قيمة محو الأمية في الشعوب ، ولقد كان الكتاب بذلك هو اللبنة الأولى في بناء الثقافة العربية والإسلامية . فلولا وجود الكتّاب في القرى لبقى الناس في إطار أمية لا يحيا عليها شعب ، ولا تتلاقى في ظلالها أمة ، وربما حملها عجزها عن اللغة العربية أن تلجأ إلى اللغة العامية ، التي يتغلق معها فقه الثقافة الإسلامية ، ويستعصى بسببها الانتفاع بأدب القرآن العظيم .

ولست أنسى قسوة شيخ الكُتّاب حين كان ينهال على أقدامنا بالعصى ، فإذا ذهبنا إلى أهلينا والدموع تملأ مآقينا ، فإنهم لا يستمعون لشكوانا ولا يتألمون لما نقاسيه بل يقولون لنا : « إن عصا سيدنا من الجنة . فعلى قدر ما نصبر عليها تكون منزلتنا في الجنة يوم القيامة » .

وبهذه الصرامة في المعاملة بين البيت والكتاب كنا نقبل على حفظ القرآن وكتابته في الألواح في أمد غير طويل .

## أردت أن أكون ضابط شرطة !

ولقد أذكر أنني حفظت نصف القرآن وسنى آنئذ إحدى عشرة سنة ، وبذلك امتهدت لي السبيل إلى الالتحاق بمعهد أسبوط الديني لأن الالتحاق به كان موقوفا على حفظي نصف القرآن على الأقل . وعلى قدر ما كان والدي يحب إلحاقى بالمعهد الديني في أسبوط ، كنت أحب أن التحق بمدرسة البوليس ، وكانت رغبتى في الالتحاق بمدرسة البوليس تملك على نفسي وتبدو في عيني أعز أمنياتي ، ذلك أنني كنت أنظر إلى قريب من أقرباء والدي كان ضابط بوليس ، وجاء ذات يوم إلى القرية لزيارة أهله في

ثوب رسمى أنيق ، فلم يبق أحد من أهل القرية إلا خرج ينظر إليه في زيه الجميل ،  
مرحبا به ، ومؤملا عنده خيرا يظفر به في قريب من الزمن أو بعيد .

ولكن أمالى في أن أكون رجل بوليس ذهبت ادراج الرياح ، فقد أصر والدى على  
أن التحق بالمعهد الدينى الإسلامى في مدينة أسيوط التى تبعد عن قرية باقور بحوالى  
عشرة أميال ، فكنت أذهب إلى المعهد في كل يوم سبت ثم أعود منه إلى قريتنا يوم  
الأربعاء من كل أسبوع ، وكان الحمار وسيلتى في الذهاب والإياب ، فإذا ذهبت إلى  
أسيوط يوم السبت وضعت الحمار في وكالة هناك لقاء أجر مناسب على أن تقوم الوكالة  
برعاية الحمار وإطعامه ، وربما تصرف صاحب الوكالة في الحمار فأذن لبعض الناس  
في أن يستخدمه لقاء أجر يدفعه إليه ، وبذلك يكون صاحب الوكالة قد انتفع منى ،  
وممن يكثرى الحمار ليقضى به أمرا من أموره ، وهذا ما لم أعلمه إلا بعد فترة من  
الزمن .

وهناك في مدينة أسيوط بصعيد مصر كانت الحياة الثقافية أرفع أفقا من الحياة  
في القرى ، وكانت هناك جماعات نتعلم فيها الخطابة والكتابة ، ونستمع فيها إلى  
محاضرات من أدباء وعلماء .

كانت مدة الدراسة في معهد أسيوط الدينى تسع سنوات ، منها أربع للقسم  
الابتدائى ، وخمس للقسم الثانوى ، وينال بعدها الطالب شهادة الثانوية التى كانت  
تسمى آنذاك الشهادة الأهلية ، وقد اختصرت مدة الدراسة في القسم الثانوى لأننى  
تقدمت لنيل الشهادة الثانوية بعد حصولى على الشهادة الابتدائية بسنتين اثنتين ،  
وفى السنة الثانية من سننى القسم الثانوى أراد شيوخ المعهد أن ينتهزوا فرصة  
يدعون فيها لحزبهم ، وكان الحزب الوطنى ، على سبيل التنافس بينهم وبين حزب  
الوفد ، وقد كانت أحسن فرصة لهم إقامة حفل تأبين للمرحوم أمين الرافعى .

مادام الحديث عن أمين الرافعى وتأبينه فإن من الحق أن نعطى الناس صورة  
عنه - رحمه الله - فهو ابن المرحوم الشيخ عبد اللطيف الرافعى الذى تقلد مناصب  
القضاء والإفتاء في مديريات الشرقية والغربية والبحيرة والقاهرة والاسكندرية ، وكان  
آخر منصب تقلده منصب الإفتاء في الاسكندرية . فقد نشأ أمين الرافعى في بيت علم  
وقضاء ودين ، أبوه قاض ، وجده قاض وأعمامه قضاة ، وأولاد عمومته قضاة وعمه  
الشيخ عبد القادر الرافعى تولى إفتاء الديار المصرية ، ولقد انطوى أمين الرافعى  
وهو طالب تحت لواء المرحوم مصطفى كامل باشا ، وتلقى تعاليمه من خطبه وأحاديثه  
الوطنية .

كان أمين الرافعى من كتّاب جريدة اللواء ، فقد كتب في اللواء سنة ١٩٠٧م  
سلسلة مقالات عن حياة « غريبالدى » بطل الاستقلال الإيطالى . وكتب هذه المقالات

بتوقيع « حقوقى اسكندرى » . ولما كان محبا للحرية عاشقا لها منذ صباه كتب وهو طالب مقالين فى اللواء يطعن فيهما قانون النفى الإدارى ، وقد كان من العاملين على تأسيس نادى المدارس العليا سنة ١٩٠٦م حتى أسس النادى برئاسة المرحوم عمر لطفى ، وافتتح فى أبريل فصار بمثابة معهد علمى وطنى أخلاقى تكوّن فيه جيل من خيرة أبناء مصر . ثم كان أمين ركنا من أركان النادى ، وفيه تأسست جمعية رعاية الأطفال ، وفى قاعاته كانت تجتمع لجنة الجامعات المصرية ، وفيه نشأت مدارس الشعب ، فقامت عدة مدارس لتعليم العامة . وقام أعضاء النادى مع أمين الرفاعى بالتدريس فى تلك المدارس ، ثم فى هذا النادى نشأ مشروع النقابات الزراعية ، وكان النادى مثالا للسلوك الإسلامى الكريم ، يروض الطلبة فيه أنقسم على أخلاق الإسلام وفضائله إذ كان قد أنفرد بتجنب الميسر والمسكرات وهما الأمران اللذان تعيش عليهما معظم الاندية . وكان أمين الرفاعى الوطنى الحر عضوا بارزا فى الحزب الوطنى ، أو زعيما من زعمائه ، ولكنه كان ينسب حزبيته أمام الصالح الوطنى العام ، فموت مثله من أعظم الرجال الوطنيين يثير اللوعة والأسى فى نفس كل مصرى ومصرية ، بل فى نفس كل إنسان يعرف قيمة الحرية ، ويفتقد الأحرار المصلحين .

وكذلك كان أمين الرفاعى مثالا لشرف الوطنية وصدق الزعامة . وأحق الناس بمعرفته والإعجاب به ، والسير على طريقه هم الطلاب فى المعاهد الدينية والمدارس الحكومية سواء فى ذلك المسلمون أو الأقباط ، الحزبيون وغير الحزبيين . ومن هنا اجتمع بعض المدرسين الذين كانوا ينتمون إلى الحزب الوطنى فى معهد أسيوط الدينى ، وعلى رأسهم الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وأخذوا يفكرون فى إقامة حفل لتأبين المرحوم أمين الرفاعى ، فى الوقت الذى كان فيه الوفديون قد أقاموا حفلا للزعيم سعد زغلول باشا .

وانذكر - فى هذه المناسبة - أننا كنا نلتقى ببعض شيوخنا فيقصون علينا من نبأ أمين الرفاعى ما يزيده تكريما وإعزازا ، ويزيدنا تشبها بمبادئه ودراسة لتاريخه فى إطار الحركة الوطنية .

وذات يوم قررنا إقامة حفل فى دار من دور السينما فى أسيوط ، ورحنا نطوف على بيوت مشايخنا ندعومهم إلى مشاركتنا بالإسهام ببعض المال فى إقامة هذا الحفل ، الذى يجب أن يكون لائقا بكرامة أكبر معهد دينى علمى إسلامى فى الديار المصرية ، وقد كان من شيوخنا من يرضى ذلك الاتجاه ، ومنهم من ينكره وينصحننا بالبعد عن السياسة .

ولعل من الحق على - الله ثم للتاريخ - أن أذكر فى هذا المجال شيئا من شيوخنا كان معروفا بالتقوى والورع ، وهو الشيخ عبد الرحمن محروس ، فقد ذهبنا إليه فى داره نسأله المعونة ، فلم يبخل علينا بالمال ، ولكنه عرض علينا اقتراحا يقول فيه :

، الاحسن يا ابنائى أن تنفقوا هذا المال الذى جمعتموه من المشايخ فى شراء عجل كبير تذبحونه وتوزعون منه على الفقراء ، ثم تجتمعون جميعا فى المسجد الكبير وتقرأون ختمه ، وتهبون ثوابها للمرحوم ، فإن ذلك أنفع له ، وأكثر ثوابا من الكلام الذى ستقولونه فى حفل التأبين ، وربما كان هذا الكلام فيه كذب لأن العلم الحقيقى المحيط بأحوال الناس لا ينبغى أن يكون إلا لله رب العالمين .

الاقتراح كان وجيها ولكن لم يقبله طلاب المعهد بالارتياح ، فأصرروا على إقامة الحفل كما كان مقررا من قبل ، وقد دعى إلى هذا الحفل صفوة أهل الوجاهة والعلماء والأدباء ورؤساء الهيئات ، وفى مقدمتهم الأمير عمر طوسون أحد أمراء البيت المالكة ، وكان يمتاز بين سائر الأمراء والنبلاء بالغيرة على العلم والعلماء ، وكانت صلته بالجمعيات الإسلامية صلة وثيقة ، وفى ذروتها جمعيات الشبان المسلمين العالمية . وكان من الذين حضروا الحفل أيضا المجاهد الكبير عبد الحميد سعيد مؤسس جمعيات الشبان المسلمين العالمية ، والأستاذ حسين أبو زيد المحامى فى أسبوط وعضو الحزب الوطنى الذى شغل منصب وزير المواصلات فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م .

وقد اشتركت فى حفل التأبين نائبا عن طلاب المعهد الدينى فى أسبوط بقصيدة وهذا نصها :

عزیز علی من كان بالامس مادحا	امینا - مُعاق - أن یرى الیوم راثیا
یغالب الاما یرى عند ذکرها	بکاء الدما إثر الدموع تباکیا
رویدک یادھر انڈ لست مُنصفا	إذا انت حاولت المصائب ثانیاً
نعیت امینا وهوال أمة	فاسکت صوتا كان فى الحق عالیا
ولیس زعیما من یحارب دینہ	ولکنه من كان للیدین داعیا
امین - ولم أعهدک من قبل صامتا	تنادى فتأبى أن نجیب المنادیا
لقد کنت للشعب الاسیف امانیا	فجندلت الايام تلك الامانیا
وكانت بک الايام غُرا نواصعا	فلما تناعیت استحالت لیالیا
امین - وقد جاورت فى القبر مصطفى	وجئت فریدا من تبنى العوالیا
وصادفت سعدا قل لهم إن أمة	ترکنا حماها جازها العد قالیاً

ثم لما فرغت من إنشاد هذه الأبيات جاء إلى شيخ من شيوخى معروف بالزهد والتقوى والعلم ، وهو الشيخ عبد الرحمن محروس ، الذى كان يؤثر توزيع الصدقات على إقامة الحفل ، وقال لى : إنك تستحق العالمية من الدرجة الأولى ، لأنك تؤمن أن أصلح الناس لزعامة الشعوب هم رجال الأزهر الشريف الذين يدعون للدين ، فلو أننى عشت لسعيت عند لجنة الامتحان حتى تنال الدرجة الأولى على شرط

أنك تعدنى بأنك لا تقرا الجرائد ، فإن الإجماع على أن قراءة الجرائد حرام ، لما فيها من الغيبة والنميمة التى حرمها الله على عباده المؤمنين .

وحصلت على الشهادة الثانوية بعد سنتين بدلا من أربع سنوات ، وتركت معهد سيوط لالتحق بالقسم العالى بالأزهر الشريف .

## فى رواق الصعايدة

وقد كان مما جرى به العرف أن كل من جاء إلى الأزهر لتلقى العلم على شيوخه الأجلاء ، كان عليه أن يقيده اسمه - قبل كل شيء - فى الرواق المخصص له ، إذ كان هناك رواق للصعايدة ، وآخر للمغاربة ، وثالث للشوام ، ورابع للجبوت ، وخامس هو رواق معمر . فكان طبيعيا أن أقيد اسمى فى رواق الصعايدة حتى يكون لى الحق فى الحصول على أربعة أرغفة صبيحة كل يوم . وكانت هذه الأرغفة الأربعة فطورنا وغداطنا وعشاءنا ، وكان الفول المدمس أشهى ما يأكله الإنسان فى مطعمين من المطاعم حول الأزهر ، أحدهما مطعم الفوال طه حسين ، والآخر مطعم الفوال مهيا ، وكان مطعم مهيا أعرف بأصول أكلة الفول الشهية ، إذ كان هو الوحيد الذى يصنعه بالطماطم والسمن البلدى وهى وجبة لا يذكرها الإنسان اليوم إلا ليمثل خبزا يصفه الواصفون لنعموته ورقته بأذن القطط ، فإذا نظرنا إلى الفول المدمس راوه أشبه بقطعة من الزبد ضاعت فيها معالم الفول ، فأصبح الأكل وكأنه يأكل زبدا خالصا ، ويأويح الذين عاشوا فى تلك الايام على ما كان فيها من رخاء وهناة ، ثم أدركتهم الحياة فى هذه الايام على ما فيها من غلاء وبلاء .

ولقد كنا بعد تناول الفطور فى صحن الأزهر ينصرف كل واحد منا إلى حلقة الدرس ، ليستمتع بأشهى ما فى الحياة فى حلقة شيخ وقور يشرق نور الإيمان فى وجهه إشراقه يستروح فيها المرء الأمن والطمأنينة والسكينة والسلام .

ولست أنسى الشيخ الذى قيدت فى حلقة أخذ عنه الفقه على مذهب الإمام مالك فى « الشرح الكبير » والحديث النبوى الشريف فى « فتح المبدى » بشرح شيخ الإسلام شيخ الأزهر عبد الله الشرقاوى .

وشيوخ الحلقة التى كنت ألتقى فيها هذين الدرسين كان إمام أهل السنة السلفى الصالح الشيخ محمود خطاب السبكي رضى الله عنه ، وعن سائر شيوخى أجمعين ، وإذا انصرفنا من الدرس انصرف كل ذى رواق إلى رواقه . ولست أنسى اليوم الاول الذى دخلت فيه إلى رواق الصعايدة لاتعرف على سائر إخوانى وأهل



اقلیمی ، وقد رأيتهم يتحدثون عن ثورة ١٩١٩ ويختصون بالحديث أربعة رجال :  
الشيخ علي سرور الزنكلوني ، وزميله في منبر الأزهر القمص سرجيوس ، ثم  
الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مع زميله في المنبر الشيخ محمود أبو العيون .

ومما وعته ذاكرتي في هذا الحديث أن الشيخ الزنكلوني كان إذا حضر اثناء  
الثورة ، ومعه القمص سرجيوس يتلقاهما طلاب الأزهر بنشيد يقولون فيه - تأييدا  
للوحدة الوطنية التي هي حياة مصر : « الشيخ والقسيس قسيسان ، وإن تشا فقل  
هبا شيخان » ، فإذا فرغ القوم من حديث الشيخين أو القسيسين ، حسب تعبير  
طلاب الأزهر ، راحوا يتحدثون عن الشيخ أبو العيون ، فيذكرون أنه كان المقدم في  
المنبر ، فإذا اعتقله الإنجليز ، أو فصله الأزهر قام برسالته الشيخ عبد اللطيف دراز ،  
ثم يذكرون كلمة الشيخ دراز ويفرقون في الضحك ، إذ كان الشيخ أبو العيون قد  
اعتقل ، وأعلن أن الشيخ دراز سوف يعلن إلى الجمع أنه خليفة المعتقل العظيم ، فقام  
في المنبر يشق الهتاف به أجواز الفضاء ، ثم بدأ يتحدث فحمد الله قائلا : « أحمد الله  
إليك الذي جعلني خلفا ينتظر الاعتقال لسلف وقع في شرك الاعتقال ، فجعلني -  
سبحانه - أجن خلف لأجن سلف وأمرى وأمركم إلى الله » . وبهذا انعقد لواء زعامة  
جديدة للشيخ دراز ، على إثر زعامة انطوت باعتقال الشيخ أبو العيون .

وقد كان مرجع سعادتي بحديث الوحدة الوطنية على هذه الصورة الرائعة يعود  
إلى بقايا مشاعر الیمة حول تصرف رجل أزهری قديم في قريتي « باقور » . إذ كان  
الرجل شديد التعصب ضد الاقباط هناك ، فكان مما يؤثر عنه أنه يأمر إذا راوا جنازة  
قبطی ، فإن عليهم أن يسارعوا في الابتعاد عنها حتى لا تصيبهم اللعنات النازلة من  
السماء . وذلك بلا شك يناقض اشد المناقضة مع ما كان قد أجمع عليه - الأزهريون -  
شيوخا وطلابا - من الترحيب الكريم بقاء الشيخ الزنكلوني والقمص سرجيوس .

وثمة صورة أخرى كان يلقيها علينا - نحن طلاب رواق الصعايدة - شيخ في  
مقتبل العمر تبدو عليه سمات التأدب بأدب الإسلام الحق ، على أنه كان شديد  
الإعتزاز بمذهبه المالكي واقلیمه الصعيدي . ذلك أنه جلس ذات يوم يتحدث إلينا عن  
ثورة ١٩١٩ حديث الطالب الأزهری الذي اختطف المدفع الرشاش من يد الجندي  
البريطاني يوم أحاطت جنود الاستعمار بطلاب الأزهر يضربونهم ويقتلونهم بغير  
حساب ولا عقاب . واستبدت الحمية بالطالب الأزهری فهجم على الجندي البريطاني ،  
وأخذ منه المدفع ، ثم حاول أن يستعمله دفاعا عن إخوانه فلم يعرف ، فأصابته  
رصاصات من مدفع بريطاني آخر فقتلته ... ثم قال الشيخ بعد أن روى هذه القصة ،  
ولكن الناس لا يعرفون اسم هذا الطالب الشهيد ، ولا أين بلده ولا شيئا عن أهله .

وهنا قام شيخ آخر يقول له : إن قصتك هذه تذكرنا بقصة شريفة في صدر  
الإسلام ، وخلاصة تلك القصة : أن النعمان بن مقرن صاحب رسول الله ﷺ ، قال

له ذات يوم أمير المؤمنين عمر : إني أحب أن أبعثك يا أبا عائذ . فقال النعمان : إن كنت تريد ذلك فإني أحب أن تبعثنى غازيا لا جابيا يا أمير المؤمنين . فقال له عمر : لك ما شئت ، ثم بعث به أميرا على سرية من جنده فقتل من قتل من المجاهدين ، فأرسل بأسمائهم جريدة إلى عمر ، قائلا قتل فلان وفلان وفلان وقتل آخرون لم نعرفهم ، فلم يملك أمير المؤمنين سوابق دمه ، فقال يحدث نفسه ومن حوله : لم تعرفهم ولكن الله عرفهم . وهكذا قال الرجل مطلقا على قصة الأزهرى الذى اختطف المدفع ومات دون أن يعرفه الناس ، إن مثله كمثل واحد من جنود النعمان الذين قتلوا في المعركة ، لم يعرفه الناس ، ولكن الله عرفه ، وأدخله جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وقد كانت تلك الكلمات - في ذلك المجلس - أول كلام سمعته وتأثرت به ، وظللت أرويه للناس في كل مجلس أكون فيه صاحب حديث .

## افتراءات المبشرين

وعلى قدر ما كان اغتباطى شديدا بشيوع المودة بين المسلمين والمسيحيين على يد الشيخ والقسيس - الزنكلونى وسرجيوس - كان المي بالغا بالحديث الذى كان يردده علماء الأزهر وطلابه عن المبشر « زويمر » ومفترياته على الإسلام ورسوله العظيم ، حتى لقد حاول هذا المبشر الغبى أن يهاجم الإسلام في معقل الإسلام ، أعنى الأزهر الشريف . ولولا أن العقلاء من شيوخ الأزهر وطلابه كانوا وسائل تلطيف للعواطف الثائرة والفتن المتربصة لكان الشر مستطيرا والعاقبة وخيمة ، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وقد كان هذا الذى صنعه « زويمر » أقوى الدواعى إلى فتنة عمياء ، ينفخ في نارها حرص بعض الناس على إشاعة الفتن يستغلها السياسة لمصالحهم الشخصية أو مصالحهم الحزبية ، ولكن الطلبة كان يجرى على لسانهم - في ذلك الوقت - حديث يدعو إلى التعقل والابتعاد عن كل ما يثير نفوس المواطنين . ذلك أنه لما أعلن الإنجليز الأحكام العرفية سنة ١٩١٥م حدث أن مرت بجوار بناء المعهد الأحمدي بطنطا جنازة مسيحي يونانى رماها بعض طلبة المعهد ببقايا الخس والملائة وأطراف الجزر ، فهاج القسس اليونانيون وشكروا إلى السلطات العسكرية الإنجليزية في مصر والاسكندرية ، وقد اضطرب لهذا الحادث رشدى باشا رئيس الوزراء اضطرابا شديدا ، وكان من شأن ذلك أن يعين على تهدئة العاصفة التى أثارها المبشر الغبى « زويمر » إثارة لا يعرف مدى أثارها السيئة إلا أولو النظر البعيد .

في هذه الأثناء كان الراى العام وخاصة في الأزهر مشغولا بالحركة الحمقاء التى أقدم عليها مصطفى كمال حاكم تركيا العسكرى . ذلك أنه خلع السلطان

عبد الحميد سلطان تركيا يومذاك فخلع بذلك الخلافة الإسلامية عن السلطان ، وهى الخلافة التى كان يعتز بها ، ويستظل برايتها جميع الامم الإسلامية . وقد كان مما يضاعف ألم اهل الإسلام أن يسمع الأزهريون وسائر الجمعيات الإسلامية أن مصطفى كمال يريد أن يفصل بين سلطنة السلطان ، وبين الخلافة ، وهى التى بقيت فى تركيا أكثر من عشرة قرون ، وكان لها فى سياسة تركيا وعلاقتها بالامم الإسلامية شئون حيوية فى تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء .

ولما كان مصطفى كمال رجلا عسكريا يتلقى معارفه العامة عن غيره من ذوى الاهواء الذين كانوا يجتمعون على عداوة المسلمين ، ويرون أن الخلافة فى تركيا هى المحور الذى تدور عليه عواطف الأمة الإسلامية ومصالحها : لما كان مصطفى كمال بهذه الصفة رأى ما راه له بطانات السوء من أن الخلافة هى سبب نكبة تركيا فى العهد الحديث ، وأن الامم الأوروبية القوية إنما تضطهد تركيا من أجل تلك الزعامة الإسلامية فيها ، ولذلك اندفع فى رأيه هذا - كما يقول الشيخ الظواهري شيخ الأزهر يومذاك - اندفاعا شاردا مرذولا ، فأقدم على التنصل من الإسلام ، واعتبر الدولة علمانية ليس لها بالإسلام صلة من قريب أو بعيد .

هذا ، ولم يكن المضربون وقادة الراى فيهم أقل من الامم الإسلامية اهتماما بشأن هذا الحادث الجلل ، إذ كانت مصر أولى دول الإسلام جميعا بالإسلام ترعى شرائعه وتذود عنه أعداءه ، من حيث كان الأزهر الشريف منارة الإسلام الهادية وحجته البالغة ، وأية ذلك شيخ الأزهر وكبار علمائه وجميع طلابه ، وهم يتوافدون على الجامع ويجتمعون فى أبهائه وصحونه ، ثم يُجمعون على قرارات يقسمون على المضى به إلى غايته ، وهو أن تشترك فى مؤتمر إسلامى جميع ممالك الإسلام محتلة أو مستقلة ، ثم يؤلفون من بينهم لجانا لهذا المؤتمر يطلقون عليها « لجان الخلافة » ، وغايتها تنوير الأمة وإمدادها بالحقائق ، ودعوتها إلى النشاط فى خدمة الإسلام لإحياء الخلافة التى أماتها مصطفى كمال . وقد عهد المؤتمر إلى شيخ الأزهر الظواهري بتشكيل لجان الخلافة فى صعيد مصر ، فاستعان - رحمه الله - بكبار الوفديين والدستوريين وقام بعدة رحلات إلى قنا وأسوان ونجع حمادى ثم إلى المنيا وبنى سويف فكان مع الناس ، أو أمام الناس يلتقى بأهل البلاد داعيا متأثرا ومؤثرا . غير أن التمهيد لإنتعقاد مؤتمر الخلافة بالقاهرة على صورته المقترحة كان أمرا شاقا عسيرا ، ولذلك امتد أمد الدعوة إليه من سنة ١٩٢٠م إلى عام ١٩٢٦م وربما يرجع سبب هذا التأخير إلى أن بعض كبار المسلمين وامرائهم فى الامم الإسلامية قد حملهم سوء الظن على أن يروا علماء الأزهر يدعون دعوة لها ظاهر وباطن . ذلك أنهم ظنوا - معذورين - أن السلطان فؤاد الأول قد أصبح بعد تصريح فبراير ملكا . وقد كان - رحمه الله - رجلا غير عادى وعلى جانب عظيم من التنور ، وقد علمته السنون التى أمضاها فى بلاط مصر أيام عباس ، ثم فى بلاط إيطاليا بعد ذلك ، خبرة فائقة فى شئون السياسة وشئون الحكم ،

وزادته بعدا بأساليب الشرق والغرب . ومادام الملك فؤاد بهذه الصفات العظيمة ، فهو خليف بمرکز الخلافة إذ هو ملك مسلم ، وله في العالم كله مكانة وعزة ويستطيع أن يتكلم عن المسلمين ويدافع عنهم في الحدود التي يستطيعها أى ملك مسلم . فالأمام الإسلامية - إذن - صائبة الحكم في ظلها أن مصر تريد الخلافة وإمارة المؤمنين ، ولكن هذه الامم الإسلامية ملوكا وأمراء لها من العزة والمكانة ما لمصر ، فالحجاز والعراق وإيران واليمن ، لكل منها ملك ، والهنود لهم أيضا مهرجات يعتبرون أنفسهم في مقاطعاتهم ملوكا . وأولئك هؤلاء قد شغفوا بالخلافة أو شغلوا بها . فأخذ كل منهم يرشح نفسه لها ، ويحرض قومه وأمه على الظفر بها . وهكذا أعاد التاريخ نفسه حينما كانت الخلافة في بغداد والشام ومصر ، مثارا لقتال وشقاق ، وعندما تنازع عليها العباسيون والفاطميون ، وذلك كان هو السبب في تأخر الاستجابة لإنعقاد المؤتمر الذى دعا إليه الأزهر الشريف .

ومما يجب التنبيه إليه أن الخلاف الذى كان بين ملوك وأمراء العالم الإسلامى كان هو نفسه بين الدعاة إلى المؤتمر . فرأى الشيخ حسين والى يناهض الشيخ الظواهري وكان الشيخ والى يجاهر بالدعوة إلى الملك فؤاد خليفة للمسلمين .

وعلى الرغم من الإرتباك الشديد حول المؤتمر والدعوة إليه . انعقد المؤتمر بالقاهرة في الميعاد الذى حدد له ، ولكنه كان انعقادا مشوها لأنه لم يكن بالمؤتمر الإسلامى العام ، ولم يكن مظهره بالمظهر الذى تخيله له المهتمون به والداعون إليه . وهؤلاء هم علماء مصر قد جلسوا بين من حضر من المغرب ومن سورية ومن فلسطين ، وقد راحوا جميعا يتشاورون ويتحدثون . ولكن التبرم برجال مصر بدا يستعلن في خطب القوم ومناقشتهم مشيرا إلى سوء ظنهم بعلماء الأزهر ، وأغراض مصر والمصريين .

وفي أثناء هذا الجو العاصف بالأحداث الإسلامية والعربية داخل مصر وخارجها كنا - نحن طلاب القسم الأدبى بالأزهر - نتابع الأخبار التى لم نشهدها وننتفع بالأحاديث التى كان يرويها لنا أساتذتنا بروح مشوب بالغيرة البالغة على شئون مصر والمصريين ، والعروبة والعرب ، والإسلام والمسلمين ، ومع أن ذلك كان يستنفد كثيرا من أوقاتنا ، فإننا كنا نقبل على الدراسة في القسم العالى حتى ظفرت مع زملائى في الفصل بالشهادة العالمية ، وكان الذى يظفر بالشهادة العالمية يلتحق بقسم التخصص في إحدى شعبه وهى : شعبة الفقه والاصول ، وشعبة المنطق والتوحيد . وشعبة التاريخ والأدب العربى ، إذ كان الذى يحذق علوم البلاغة والأدب يستطيع أن ينتفع بعلوم الشريعة والتاريخ والتربية وعلم النفس . وكان طالب التخصص أكبر قدرا ، وأسمى منزلة من طالب القسم العالى . وكان مظهر سمو المنزلة يتراءى في اختفاء الأربعة الأربعة التى قام مقامها ثلاثة جنيهاات يأخذها طالب التخصص على



□ يوم التخرج من القسم العالى تخصص البلغة ( يعادل الدكتوراه ) .

رأس كل شهر ، والجنهات الثلاثة لم تكن بالمال القليل فى تلك الأيام ، فكانت تقوم بحاجات الطالب الضرورية إلى جانب ما كان يبعث به إلينا أهلونا من مال فى حدود الإمكان .

وعلى ذلك استقامت لنا حياة مريحة تمتاز بالرقى الاجتماعى ، والرقى الثقافى ، والآمال العريضة فى مستقبل كريم .

## الأزهر والأحزاب

وهناك أمر لابد من الوقوف عنده لكل من يريد أن يكتب عن الأزهر والأزهريين تاريخاً منصفاً ، لا ينحرف مع الهوى ذات اليمين ولا ذات الشمال . ذلك أن السياسة

الحزبية كانت قد حملت رجال الأحزاب على أن يتنكروا للدستور الذى رضىته الأمة وظفرت به بعد جهاد طويل وقد أراد ذوو السلطان من أرباب الحكم أن يستعينوا ببعض رجال الأزهر ، فالتمسوا من أولئك السادة من يسوغ لهم العدوان على دستور ١٩٢٣ . وصدر المنشور الذى يقول فيه ناشروه : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . وهم يقصدون بأولى الأمر - ناظر الخاصة الملكية ، ورئيس الوزراء الذى وضع دستوراً جديداً ليستبدله بالدستور القديم .

ولقد كانت محاولة الاعتداء على الدستور استرضاء لرجال القصر بمثابة الزيت يلقى على النار فيزيدهما اشتعالاً . ذلك أن الشيخ المراغى شيخ الأزهر كان قد تقدم إلى القصر برأى لإصلاح الأزهر ، ولكن القصر لم يوافق على هذا الرأى لأنه كان ينتقص من سلطان القصر . فلم يجد الشيخ المراغى مندوحة عن أن يستقيل تاركاً منصبه للقصر يتصرف فيه كيف يشاء .

وقد كان من الطبيعى أن يغضب أنصار الشيخ المراغى وأن ينتهزوا الفرصة لإعلان غضبتهم العارمة بمهاجمة البيان الذى أصدره بعض شيوخ الأزهر بتوجيه من القصر ، فكتبوا بياناً أوضحوا فيه معنى الآية الشريفة قائلين : إن الآية رسمت الطريق فذكرت أنه ربما تنازع المسلمون فى أمر من الأمور ، وفى هذه الحال ، يجب أن يرد الأمر إلى ما يراه أهل الحل والعقد عن طريق القياس مصلحة للامة المحكومة بالكتاب العزيز . وأهل العقد والحل فى هذا المقام هم أبناء الشعب المصرى الذى جاهد أعظم الجهاد ، وبذل غوالى التضحيات . ولم تجد الحكومة مناصاً من معاقبة الذين عارضوا البيان المذكور فقررت فصلهم من الأزهر بغير معاش . وقد كان المفصلون سبعين عالماً من خيار العلماء ، وأصحاب الماضى المجيد فى خدمة الوطن العزيز وخدمة الأزهر الشريف . ولا يزال الناس يذكرون رؤوس هؤلاء المفصلين وزعمائهم ، وقد كانوا ستة نفر لهم سابقة جهاد لا يجهلها إلا الجاهلون ، ولا يجحدها إلا الجاحدون . وهؤلاء الستة هم : الشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ عبد الجليل عيسى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد العدوى ، ثم الشيخ حامد محيسن . وما دام الحديث فى هذه الصفحات حديث ذكريات ، فإن من حقها الذى لا نمل اقتضاؤه أن يعرف الناس عن كل واحد من هؤلاء ما كان يمتاز به بين الأزهريين .

فاما الشيخ الزنكلونى : فقد كان رجلاً مرجو الخير ، مقدوراً من كل الذين سمعوا به أو قرأوا عنه ، وخاصة موقفه الوطنى الرائع مع القمص سرجيوس فى ثورة ١٩١٩ . ومما يؤثر عنه من الكلمات التى ذهبت مذهب الأمثال السائرة قوله فى حفل عام : « إن الأديان كالألوان من الطعام وضعت على مائدة ودعى الناس إليها ، فكما أن لكل إنسان أن يختار اللون الذى يحبه ويألفه دون أن يعترض عليه أحد ، فكذلك الأمر

في الديانات فلكل إنسان أن يختار دينه الذي ألفه وشب عليه ، دون أن يكون لأحد حق الاعتراض عليه .

وقد كان الشيخ الزنكلوني رحمه الله أبا لسائر المفصولين ، فلا يبرمون أمرا دون أن يكون له فيه رأى ، وكان موضع أسرار كثير من الناس وربما اختلف الواحد منهم مع زوجته ، فلا تجد أقرب من الشيخ الزنكلوني تشكو إليه ، فإذا هو ماض إلى الزوج المخطيء ومعه عصاه الغليظة التي كانت لا تفارقه حتى إذا ذهب إلى البيت الذي فيه الخصومة نادى الرجل باسمه دون لقب ، كما يفعل الوالد مع ولده المخطيء . ولم يكن ذلك التصرف ناشئا عن رغبة في دعاية أو حب ظهور ، ولكنه كان ناشئا عن عاطفة صادقة تستمد وجودها من سن عالية ، وتجربة عريضة ، ورغبة في إسعاد البيوت التي له بها صلة كصلته بأبنائه المفصولين . وقد أذكر أنه قيل له ذات يوم أن يتقدم باعتباره راسا للمفصولين إلى دار المندوب السامى البريطانى الجديد المستر بيترسون ، وكان هذا المندوب قد وجه دعوة عامة طلب فيها أن يتقدم إليه أصحاب الظلامات بشكاواهم لانصافهم ، فقيل للشيخ الزنكلوني هلا تقدمت أنت بشكوى المفصولين ، وأنت شيخهم وكبيرهم ؟ فهُمَّ الشيخ بأن يضرب الشيخ محيسن صاحب الاقتراح ضربة تقضى على حياته ، لولا أنه بادر إلى الاعتذار قائلا : إنها مجرد مازحة لا صلة لها بالحقيقة . ثم دعا بإخوانه الباقين وقدم لهم عشاء سخيا . فلما فرغوا من عشاءهم توجه إليهم قائلا لهم : « إنى لا أستعين بجورج الخامس على أحمد فؤاد ، وإنه لايسر سبيلا وأخف احتمالا أن أذهب إلى ملك مصر فاشتمه وأدخل السجن ، ولكننى لا أستعين عليه بملك الانجليز مهما حل بنا من متاعب . ولأن تموتوا من الجوع خير لكم في دينكم وديناكم من أن تنصروا رمز الاحتلال على رمز الحرية والاستقلال . فمن شاء أن يكون معى على هذا الاسلوب فهو أخى ، وأنا أخوه . . ومن أبى فهو عدوى وأنا عدوه حتى تلقى الله . » وبهذه الكلمات الحاسمة بلغ الشيخ الزنكلوني منزلة يسجلها له التاريخ ، ولا ريب في أن هذه الكلمات التي قالها بصفته زعيما للمفصولين قد رفعت منزلته ومنزلتهم معه . ثم منزلة الشيخ المراهى نفسه باعتباره رجلا ثار لكرامته معتزا بمنصبه ، فازداد طلبه الأزهر في القاهرة والأقاليم تعلقا بالشيخ المراهى . . وليس يسوغ لأحد أن يرتاب في كلمات الشيخ الزنكلوني بأية أن الرجل رفض جميع الوظائف الادارية بعد أن عرضت عليه ذات بریق يخطف الابصار ويسيل اللعاب . فظل مدرسا في الأزهر يعلم الطلاب ، فإذا رحل إلى بلادهم بدعوة منهم ومن ذويهم يرجون بركاته قام في الناس مقام الواعظ الذي يخاطب الناس بقلبه ، فإذا هو صورة أخرى للواعظ الزاهد الإمام حسن البصرى رضى الله عنه وأرضاه .

وأما الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، فقد كان كما قال هو على منبر الأزهر خليفة للشيخ « ابو العيون » في ثورة ١٩١٩ وكان قد اعتقل وأودعه جيش



الاستعمار في معسكر قصر النيل مرة ، وفي معسكر سيدى بشر بالاسكندرية مرة أخرى ، وكان ذلك عقب خطبته الشهيرة التى قدم نفسه فيها بعد اعتقال الشيخ أبو العين التى قال فيها : « الحمد لله الذى جعلنى أجن خلف لأجن سلف » . وكانت قدوة الشيخ دراز الزعيم محمد فريد والزعيم مصطفى كامل . وقد تدرج في المناصب الإدارية الأزهرية حتى كان وكيلا للأزهر ، وشارك في الحياة النيابية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعدهما ، وكان عضوا في مجلس النواب ، ومجلس الشعب .

وأما الشيخ العدوى فقد كان رجلا من رجال السلف الصالح ، وكان ظاهره كباطنه ، وكان يمتاز بصوت رنان وعلم غزير ، وأسلوب عربى لا يشاركه فيه كثير من الأزهريين ، وكان مما يؤثر عنه من خوالد الكلمات قوله : « والله لو سقط عمود من أعمدة الأزهر ، وكان في وسعى أن أقوم مقام هذا العمود في صيانة البناء لبذلت حياتي فداء لبقاء الأزهر حيطانا وعمدا وثقافة » .

وأما الشيخ شلتوت ، فقد كان رجلا شديد الحرص على التحصيل والقراءة فشغله ذلك عن السياسة . وقد كان السر في فصله إخلاصه للشيخ المراغى وصراحته في اعتبار أولى الأمر هم الشعب ، والذين يمثلون الشعب . فأما القصر والدائرون في فلكه ، فإنهم ليسوا من أولى الأمر في كثير ولا قليل . وقد عرف الأزهر له فضله ، فأخذ السلم الوظيفي من أوله حتى انتهى إلى منصب شيخ الأزهر ، ومن أحسن ما كتبه كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » .

وأما الشيخ عبد الجليل عيسى ، فقد كان عربيا شديد الأنفة من الذل ، وكان من المؤمنين بالسلفية ، وكان شديد الفخر بقريبه حمد الباسل باشا عضو الوفد المصرى . وكان أعظم فخره به أنه كان من دعاة الصلح بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود والامام يحيى حميد الدين ملك اليمن أثناء الخصومة بينهما . وكان مع ذلك قارئا عالما بتفسير القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة . وقد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بكتبه « المصحف الميسر » و « تيسير التفسير » و « اجتهاد الرسول » و « صفوة صحيح البخارى » ، وكان عميدا لكلية أصول الدين . وقد اعتقله زكريا محيى الدين وزير الداخلية في أوائل ثورة يوليو ١٩٥٢ بحجة أنه يوزع المنشورات ضد الثورة ، وقد ضمنته بصفته وزيرا للأوقاف . . فانقذته بذلك الضمان من مذلة النوم في أقسام البوليس . ولا شك أن فصل هؤلاء المجاهدين من علماء الأزهر على هذه الصورة الظلمة كان له أسوأ الأثر في نفوس الناس جميعا . سواء منهم الأزهريون وغير الأزهريين . وقد تجلى هذا الأثر في إجماع الطلاب الأزهريين في القاهرة والأقاليم على الامتناع عن الدروس ، وعقد الاجتماعات المتوالية في الأزهر يعلن فيها الطلاب سخطهم على مشيخة الأزهر ، وعلى من وراءهم من رجال الحكم .

وربما تعاقب على المنبر خطباء كثيرون منهم من كان طالبا بالازهر ، ومنهم من كان طالبا بالجامعة المصرية - جامعة القاهرة - الآن - والمدارس العليا ، وما زال ظلم الظالمين يحرك في نفوس الناس مشاعر الاشفاق على المظلومين بقدر ما يحرك في انفس الناس الخوف من أن يحيق بهم الظلم من حيث كان الظالم لا يقف ظلمه عند حد . فكان مثله كمثّل شارب الماء الملح لا يزداد له شربا إلا إزداد به ظمأ .

وقد وقع ما كان يتوقعه أهل البصر بالأحداث ، فلم يمض زمن طويل حتى قررت الحكومة فصل جماعة من الطلاب الذين كانوا يعطفون على شيوخهم ويرثون لهم ويعرفون حقهم عليهم وفضلهم على الأزهر . وقد كانوا أعوانا صادقين للشيخ المراغى في محاولته إصلاح شئون الأزهر وتطويره تطويرا يمكنه من أداء رسالته التي ينتظرها منه المسلمون ، وينتفع بها الإسلام نفسه على امتداد الزمان واختلاف المكان .

والذين يعرفون الشيخ المراغى يعرفون أنه إمام واسع الأفق كبير العقل قادر على فقه الإسلام باعتباره حضارة تنظر إلى الدين في آفاق الدنيا بقدر ما تنظر إلى الدنيا في آفاق الدين . وتلك منزلة من العلم لم تنتهيا وسائلها إلا للاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده شيخ الإمام المراغى . ومن قبله حجة الإسلام وفيلسوفه الأول السيد جمال الدين الأفغانى .

لقد كان الشيخ المراغى يمتاز بعقل واع ، وبصيرة نافذة أعدته بها تجربة طويلة ، وتقلب في شتى شئون المنازل الاجتماعية . ذلك أنه كان يتلقى مع استاذة الشيخ محمد عبده ما لم يشاركه فيه أكثر زملائه . وقد بدأ الاستاذ المراغى حياته العملية قاضيا في مدينة « دنقلة » بالسودان . وقد ظل في منصبه هذا حتى عين قاضيا لمديرية الخرطوم ، ثم عين مفتشا في وزارة الأوقاف بمصر ، ولم يلبث حتى عين قاضيا لقضاة السودان .

وقد كان أبرز ما يمتاز به اعتزازه الشديد بكرامة منصبه . وقد طال المقام بالرجل في السودان حتى رأى أنه غير قادر على تحمل تبعات منصبه . فغلبه الحنين إلى أهله ووطنه فجاء إلى مصر رئيسا للتفتيش الشرعى ، ثم عين رئيسا لمحكمة مصر الشرعية ، ثم عين عضوا بالمحكمة العليا الشرعية ، ثم رئيسا لهذه المحكمة . ولم يشأ الرجل أن يتقيد بمذهب فقهي واحد بل كان يأخذ من فقه الشريعة بما يرى أن المصلحة تقتضيه وروح الإسلام لا تنتهجه . ولتوافر الثقة به والاطمئنان إلى خلقه ودينه وسعة أفقه ، عين شيخا للأزهر في شهر مايو ١٩٢٨ م . ولا يجهل أهل العلم أنه بدأ عمله في الأزهر باحثا عن الأدواء والعلل التي يشكو منها الأزهريون فيسر الله له الأسباب إلى معرفة الداء وإصابة الدواء ، فوضع قانونا كفيلا بحاجة أهل الأزهر ، وبما يضمن به مضى الأزهر في تادية رسالته على وجه لائق بكرامة العلم وكرامة الإسلام . ولكن الدسائس كثرت من حوله حتى افسدت ما بينه وبين الملك فؤاد ،

فدعاه الحرص على كرامته إلى أن يدع العمل ويترك المنصب في أكتوبر سنة ١٩٢٩ .  
ولعل من الحق علينا - الله ثم للتاريخ - أن نثبت هنا رأى الشيخ المراغى في إصلاح  
الازهر حيث كتب إلى الملك فؤاد مذكرة في إصلاح الازهر قال فيها : لقد أوجب الإسلام  
على أهله بأن تختص طائفة منهم بحمله وإبلاغه إلى الناس على ما تشير إلى ذلك الآية  
الكريمة : « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا  
رجعوا إليهم لعلمهم يحذرون » .

ولقد تولى سلف هذه الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فتركوه  
لأخلافهم ثروة عظيمة في جميع فروع العلم بعد أن درسوا الديانات ، والفلسفات ،  
وكتبوا - مع ذلك - المقالات ردا على جميع الفرق . وأكدوا للعقل حرمة بمقدار ما له  
حريته في البحث والاستقراء . وقد كان الاجتهاد غاية شريفة يسعى للظفر بها كل  
مشتغل بالعلم متفرغ له . ولكن العلماء في القرن الأخير استسلموا للراحة ظانين أنه  
لا مطمع لهم في الاجتهاد إذ كانت أبوابه قد غلقت دونهم ، فأثروا التقليد ورضوا به .  
ثم عكفوا على كتب ماتت فيها روح العلم ، ثم ابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة بمقدار  
ما جهلتهم الحياة وجهلهم الناس . ولقد هوجم الإسلام أكثر مما هوجم غيره من سائر  
الديانات . هوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون .

ومن أجل ذلك كانت مهمة أهل العلم شاقة جدا في طلبها معرفة المذاهب قديمها  
وحديثها ، ومعرفة ما يجد في الحياة من معارف وآراء . ولهذا وجب أن يدرس القرآن  
العظيم والسنة المطهرة دراسة مستبصرة مستنيرة في حدود ما تقتضيه قواعد اللغة  
وترضاه مقاصد الشريعة . وقد ذيل الأستاذ كلماته هذه بمقترحات : أن تكون شئون  
القرآن الكريم في مكاتب تحفيظ القرآن خاضعة لمشيخة الازهر ، وأن يكون قراء  
القرآن والباحثون في تفسيره خاضعين أيضا لتوجيهات مشيخة الازهر يقضون فيها  
بما يرونه متفقا مع القداصة التي لا تنفك عن مصاحبة القرآن الكريم . ذلك أن الناس  
قد نظروا إلى القرآن الكريم على أنه تائم وتعاويز تحفظ من الجن ، وتصون من  
الحسد فاستبدلوا بالتأديب بأدب القرآن والوقوف مع أحكامه وشرائعه صورا هي إلى  
التقاليد الوثنية أقرب منها إلى شرائع الاسلام .

## لقاء عاصف

ولما رفعت مشيخة الازهر الشريف مذكرة الشيخ المراغى هذه إلى القصر  
الملكي ، أحب جلالة الملك فؤاد أن يلقي الشيخ المراغى ليناوقه في مذكرته . فلما  
التقى الرجلان قال الملك : اسمع يا شيخ مراغى إنكم تقولون للتلاميذ وللمسلمين  
جميعا أن الله واحد لا شريك له ، ولو كان مع الله إله آخر لفسد الكون

واختل نظامه . وانت بهذه الاقتراحات تريد ان تكون انت ملكا آخر مع ملك مصر ، وانا لا ارضى ذلك وانت لا ترضى إلا به فاحدنا هو الملك .

يقول أهل الثقة من الذين يعرفون حقائق الأمور ، وما أن سمع الشيخ هذه الكلمات من الملك فؤاد حتى ارتسمت على وجهه إمارات الدهشة المشوبة بالامتناع . ثم قال : يخيل إلى يا صاحب الجلالة أن من رجال القصر من أوحى إليك بهذه الكلمات . وإلا فإن المسئول أمام الله وأمام الناس لا يسعه أن يقول هذا الكلام ، لأن من ورائه جماعة لا يعينهم الإصلاح ، ولا يريدون خيرا للملك ولا للأزهر . فكن ملكا كما تشاء وتخير من البطانات من يقبل منك هذا الكلام ، ولست أنا ذلك الرجل ، لم أكنه فيما مضى ، ولن أكونه فيما يأتى من الزمان . وأرجو الله أن يوفقك إلى ما فيه خير البلاد والعباد . ثم انصرف الشيخ راضيا عن نفسه وقدم استقالته مؤمنا أوثق إيمان بأن الله تعالى لا يتخلى عن الصادقين المخلصين .

وفى إطار من ذكرى هذه الكلمات كنت أتقدم الصفوف : صفوف الثائرين من الطلاب دفاعا عن الشيخ المراغى ، ومن خلال هذه الذكريات كنت أقف على منبر الأزهر الشريف داعيا إلى احتقار الظالمين ، ومن خلال هذه الذكريات التى تحملها هذه الكلمات طرقت مع زملائى أعضاء اتحاد الجامعة الأزهرية باب السيد مكرم عبيد الذى كان سكرتيرا للوفد والساعد الأيمن للنحاس باشا نستقتيه ، فأحالتنا إلى الأستاذ زهير صبرى المحامى ، والعضو البارز فى حزب الوفد المصرى ، فسألناه ما رأى القانونى فى مظاهرة من طلاب الأزهر تجوب شوارع القاهرة هاتفة بحياة الملك وسقوط الحاشية ؟ وأفتانا السيد زهير صبرى بأنكم تسعون إلى القبور من طريق قتلكم بالرصاص من رجال البوليس .

## نصيحة النحاس

وقد كان النحاس باشا حريصا على مجاملة حكومة نسيم باشا حتى كان يسميها الحكومة الصديقة . ومن خلال هذه المشاعر الطيبة دعينا إلى مقابلة الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا فى بيت الأمة . ولما مثلنا وقفا بين يديه قال : انتم اتحاد الجامعة الأزهرية فأجبناه أن نعم ، فدعا بأمين بيت الأمة الأستاذ الريدى قائلا له : هات قلما وورقا فإننى أريد أن أنصح لهؤلاء الطلاب وعليك يا مأمون يا ريدى أن تخبر جرائد الوفد على لسانى بأن تنشر الخطبة التى سألقها على أبنائى فى صدر الصحف ، وأن تجعل لها عناوين بارزة تتضمن أننى نصحتهم بالعودة إلى الدروس ، وأنهم قبلوا نصيحة الزعيم ، حتى لا يخرجوا الحكومة الصديقة التى

يرجى على يدها خير كثير باعادة دستور الامة بدلا من الدستور الخائن الذى وضعت  
حكومة صدقى باشا .

وأذكر اننى رجوت الزعيم فى أن ينصحنا بما يشاء ، فنحن مخلصون للوطن  
ولزعيم الوطن ، ولكن نرجو عدم نشر النصيحة فى الجرائد حتى نتمكن من إقناع  
زملائنا فى الاقاليم بالعودة إلى الدروس والانتهاى من الإضراب . فإننا نخشى أن تنشر  
النصيحة ولكن الطلاب يرفضون ، ونحن فى أشد الحرص على أن تكون نصيحة الزعيم  
على العين والرأس بغير خارج عليها ولا تنكر لها حتى إذا استوثقنا من قبول الطلاب  
العودة إلى الدراسة جاءت نصيحة الزعيم على أثر ذلك فى محلها اللائق بها .

ولكنه لم يسترح لهذا العرض الذى كنا فيه مخلصين للنحاس باشا وللأزهر  
ونجاح حركة الاضطراب ولعودة دستور ١٩٢٢ . وفى هذه الاثناء دخل الدكتور طه  
حسين الذى كان يومئذ ملء سمع الامة ، فرحب بمقدمه النحاس باشا ، ودعا إلى  
الجلوس بجانبه ، ثم توجه بالخطاب اليها قائلاً : هل تقبلون الدكتور طه حسين حكماً  
بينى وبينكم ؟ فرحبنا بهذا التحكيم أشد ترحيب ، وأخذ النحاس باشا يعرض على طه  
حسين القضية طالباً رايه فيها ، فبدأ الدكتور يتحدث قائلاً : لقد ادعشتمونا يا أبناء  
الأزهر الجديد بإجماعكم على راي . على حين أن الأزهريين فى أكثر احوالهم يتفقون  
على أن لا يتفقوا ، ثم تابع حديثه قائلاً : ولقد سمعت كما سمعتم عرض الزعيم الجليل  
فى حرصه الشديد على عدم إحراج الحكومة الصديقة التى يتولى رياستها رجل طيب  
سليم القلب . وإذا اردتم رايي يا أبناء الأزهر ، رايًا يتحرى مصلحة الوطن ، فإنني  
أنصح لكم بالخضوع لنصيحة الزعيم وعودتكم إلى الدراسة . لأننى لا أتصور أن  
يقال لنصيحة الزعيم كونه فى الإدراج فتكون . إذ كان حق الزعيم علينا جميعاً أن  
نسمع ونطيع . وبهذا انتهى الحديث وانتهت المقابلة ، فخرجنا بخفى حنين أو بما هو  
أسوأ من خفى حنين ، فإن الراجع بخفى حنين راجع بشيء ينتفع به بعض الانتفاع ،  
وأما رجوعنا نحن من بيت الامة ، فقد كان رجوعاً باليأس يملا قلوبنا وبالخوف  
يتربص بمستقبلنا .

وقد وقع ما خفنا أن يقع ، فاجتمع مجلس الأزهر الأعلى وقرر فصل المشتركين  
فى حركة الإضراب بغير فرق بين المدرسين فى الأزهر ومعاهده وبين الطلاب فى شتى  
الاقاليم ، والذين يطالعون الجرائد فى مارس ١٩٢٤ يرون قائمة طويلة تحمل أسماء  
المفصولين ، وفى رأس القائمة من الطلاب : أحمد حسن الباقورى رئيس الاتحاد ،  
وعبد الحميد الكريمي سكرتير الاتحاد ، ومحمد خليفة ، ومحمد فايل . اللذان  
كانا طالبين فى كلية اللغة العربية ، وسيد على السلاك الذى كان مدرسا فى معهد  
القاهرة ، وعبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق ، وعبد الله المشد الرئيس الحالى  
للجنة الفتوى بالأزهر ، وعبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق ، وعبد المعز

عبد الستار الموجود الآن في دولة قطر الشقيقة ، واحمد البهى المدرس بجامعة الكويت ، واحمد عبد العال ابو طالب ، وثابت ابو المعالي ، والشيخ حموده غزابه الذى كان مبعوث الازهر في لندن ، والشيخ فكرى يس المدرس بالازهر ، وكثير غير هؤلاء لا يدركهم الحصر .

وقد كان موقف القصر من الازهر مع موقف الشيخ المراغى من الملك فؤاد حديث الاندية والمجالس ، ومازال شعبنا المصرى شديد العطف على ابنائه بمقدار ما هو شديد القسوة على حاكميه ، فليس غريبا أن يكون هذا الموقف أحد الدوافع إلى الاستمرار في الإضراب عن تلقى الدروس . على أن هناك سببا أقوى من كل الأسباب في إثارة النفوس وحفزها إلى ما هو أبعد أثرا وأشد إثارة لحفاظ الوزارة من الإضراب عن تلقى الدروس . ذلك أن الشيخ الفلواهرى - رحمه الله - كان قد حدد الأعداد التى يسوغ لها أن تلتحق بالكليات بعد أن تنال الشهادة الثانوية . ولما كان المضطر يركب الصعب لجأ الطلبة إلى الجامعة الأمريكية يطلبون عندها ما يعرضهم عن الالتحاق بالكليات الأزهرية . وقد أجابهم مدير الجامعة - آنئذ - إلى طلبهم ووعدهم بأن يفتح لهم فصلا جديدا يحصلون منه على شهادة عليا لعلها أحسن نتيجة . وأطيب ثمرا من شهادة الازهر .

ولو أن هذا الأمر كان قد حدث في مصر ، وهى في حالة مستقرة هادئة لكان من الميسور احتمالاه ، ولكن مصر كانت - آنئذ - تموج بالفتن العمياء التى كانت تنفخ في نارها حادثة التبشير التى قام بها المبشرون في مصر سنة ١٩٣٢ ، وكان مصدرها مدينة بور سعيد ، ثم امتدت إلى بعض مدن القطر الأخرى ، وقد وضع المبشرون كتباً للطنين في الإسلام ، فهاج المسلمون وماجوا وراحوا يجمعون التبرعات لمناهضة أولئك المبشرين الأغبياء .

وفيما كان الناس في مصر ثائرين هذه الثورة ، كانت تجيء الأنباء باضطهاد المسلمين في طرابلس الغرب على يد ايطاليا التى انتزعت أراضيهم ، وأخذت منهم أولادهم لتلحقهم بمدارس تبشيرية في روما . وعلى مثل ذلك كان البربر يقومون بما تقشعر منه الجلود فظاعة وفظاظة لا ترضاهم انسانية ولا يقبلها دين .

فهذه الأمور مجتمعة هى التى أثارت الأزهريين ودعتهم إلى الإضراب عن تلقى الدروس ، وإلى ما هو أشد أثرا في نفوس الظالمين من الإضراب عن تلقى الدروس . ولهذا لم يجد مجلس الازهر الأعلى علاجا لهذه الثورات ، إلا أن يفصل القائمين بها والمحرضين عليها . ثم لم يكتف الظالمون بفصلنا حتى بعثوا بقوانين كانت قد ماتت لكى يحاكمونا بها . وقد حوكمنا وحكم على بالحبس سنة ولكن القاضى كان رجلا حر الضمير صاحب دين ، فأمر بوقف التنفيذ .

## ثمرات ثورة الأزهر

وليس مما ينبغي الإغضاء عنه في تدوين هذه السطور ، أن تغفل ما أثمرته ثورة طلاب الأزهر من ثمرات فيها خير كثير ، أولها : التخفف من أثقال العصبية الدينية ، وثانيها : صلة طلاب الأزهر بطلاب الجامعة المصرية ، إذا كان طلاب الجامعة قد ثاروا واضربوا مطالبين بعودة الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا ، والدكتور طه حسين . وكان الأزهر يطالب بتنحية شيخ الأزهر الشيخ الأحمدي الظواهري وتعيين الشيخ المراغي مكانه ، وثالث هذه الأمور وهو أهمها - فيما أرى - تلك المقالات التي كان يتعصب فيها كل فريق لرايه في منطق صحيح صائب وأسلوب أدبي فصيح على ما كان في تلك المنشورات من كلمات نابية ، وغمزولز لا يليق بأهل الإسلام فضلا عن أن يكونوا من الدعاة إلى التآدب بأدبه العظيم .

ومن صور هذه المنشورات صورة منشور كتبه عالم معروف بأسلوب أدبي فصيح ، وهو الشيخ محمود الغمراوي الذي كان يخاصم الشيخ المراغي وأصدقائه والمتعصبين له خصومة سافرة لا تتحرج عن قوارص الكلم وقسوة الأسلوب . وقد نشر الرجل مع الذين يشاركونه رأيه منشوره هذا في كتاب حبسه عن التداول ما تضمنه من اتهامات باطلة وكلمات لا يرضاها العلم ، ولا يليق بكرامة العلماء . وقد سمي هذا الكتاب « الأزهر وجماعة إخوان الصفاء » . وفي ذلك الكتاب يقول - رحمه الله :

« الأزهر - شفاه الله - كان وثيق الأركان شديد القوى حديد الهمة صارم العزم - صارعته غَيْرُ الدهر فصارع غير الدهر فصرعها ، ونازلته نوازل الأحداث فنازلها مدى قرون يجرب بعضها بعضا ، ونفض يده من مصارعة الغير ومنازلة النوازل ظافرا قاهرا . أيها القارئ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ثم قل أعوذ برب الناس من شر الوسواس الخناس . أما أنتم يا مراكيب الإصلاح المدعى ودراسات التجديد المزعوم فأحز دعوانا أن أصلح الله نفوسكم وجدد عقولكم وله الحمد على السراء والضراء » .

وقد كان هذا المنشور ردا على منشور كتبه اتحاد طلاب الجامعة الأزهرية الذي كنت انتشره برياسته ، والذي كان يعقد جلساته في عربات الترام من روض الفرج إلى العتبة ، ثم من العتبة إلى روض الفرج حتى نكتب المنشور ونتخذ القرارات بعيدا عن أعين البوليس ، وفي هذا المنشور هذه الكلمات : « يا أبناء الأزهر في القاهرة وفي الأقاليم لا تنهائونا في تحقيق مطالبكم ، ولا تضعفوا بقول القائلين : إنكم تعرضون عاما من عمركم للضياع ، وقلوا للناس ولأنفسكم مع الناس ، فليضع هذا العام وليتضع بعده أعوام ، وليبق الأزهر مأوى لليوم ومنعيا للغربان ، فذلك أنبل في منطق

الدنيا ، وأجمل في منطق الدين من أن نقبل العدوان على الدستور بدستور يبيح للظالم فصل العلماء ، وحبس الطلاب دون ذنب اقترفوه أو جرم ارتكبهه والله معكم يتركم أعمالكم .

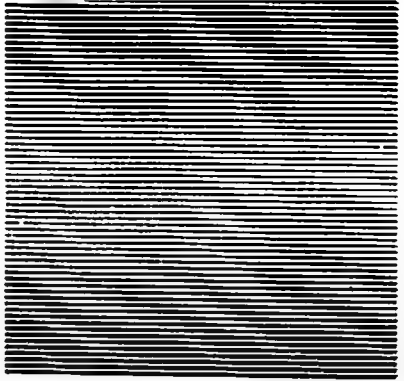
ولقد ظلت الثورة ماضية إلى غايتها حتى عين الشيخ المراغى مرة أخرى شيخاً للأزهر في أبريل - كما طالبنا - فلتقاه الأزهريون أمنية من أكرم أمانيتهم حققها الله تعالى لهم بعد معاناة شاقة وبلاء شديد .

وقد رأى الشيخ أن يسهم الأزهريون بنصيب في البعث التي ترسل إلى الجامعات الغربية ، فبعث البعث إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ، ثم رأى - رحمه الله - أن يتصل بأبنائه الطلبة عن طريق الدرس والتأليف ، فبدأ يدرس كتاب - في أصول الفقه - ومازال في منصبه تزيده الأيام وقاراً حتى لبي نداء ربه في الرابع عشر من رمضان سنة ١٣٦٤ هـ - ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .


ولما عاد الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر بدأ أول ما بدأ بأعادة الفصولين جميعاً أساتذة وطلاباً ، وفي مقدمتهم الستة الكبار الذين احتملوا بالفصل مشقات بالغة وضيقاً شديداً مدة خمس سنين عجاف . وقد كان المتخرج من الأزهر في أقسام التخصص يفعل مدرسا في الأزهر بالمجان في انتظار درجة تخرج ، فيعين عليها بثلاثة جنيهاً شهرياً ، ولكن الشيخ المراغى رفع هذه المكافأة الضئيلة إلى ثمانية جنيهاً . . وكنت أحد الذين عينوا بثمانية جنيهاً مدرسا في معهد القاهرة ! .







## القسم الثاني



ف صفوف الإخوان المسلمين





## الفصل الثاني

### اللقاء مع البنا والأمانة التي حملها في قبل استشهاده

من الإنصاف للتاريخ القول بأن الأستاذ حسن البنا كان يرى الأزهر كما يراه الشيخ المراهي نفسه . فكان كثيرا ما يقول : « إن كل شاب مسلم هو شاب أزهري » . وبهذا المنطق القائم على الصدق العقدي ، والصدق التاريخي ، كان الأستاذ البنا - رحمه الله - من الذين أيدوا أعظم تأييد حركة الطلاب الأزهريين في ثورتهم وكان مرجع ذلك - في مبلغ علمي - إلى توقعه الانتفاع بطلاب الأزهر .

وأية ذلك أنني لأول ما لقيته وأنا طالب في قسم التخصص سنة ١٩٣٣ م رأيت منه إقبالا على الحديث معي والحفاوة بي . وقد مضى يحدثني في صوت خفيض بآماله الكبار في إصلاح المجتمع الإسلامي في ظل من دعوة الإخوان المسلمين . وقد لاحظت في حديثه معاني تحتاج إلى مزيد من إيضاح ، فجعلت استعجله في الحديث إلى بما يوضح المبهم ويجلي الغامض . إذ كان ذلك هو الأهم في سعينا إلى حفل الإسرائء والمعراج الذي كان منعقدا في فناء عمارة الشماشرجي بشارع محمد علي على يسار الذهاب إلى القلعة . ولقد أذكر أنه بدأ يتحدث عن قصة الإسرائء حديثا علميا بعيدا عما ألفه الناس في مثل هذه الأحفال ، ولما كان يعلم أنني أعالج الشعر سألتني : « هل قلت شيئا في قصة الإسرائء ؟ فإن مثلك لا يترك هذه المناسبات دون أن تتحرك بين جنبه عواطفه الإسلامية التي لا ترضى إلا إذا أعلنت إلى الناس ما يرضى العاطفة الإسلامية في أنفس المسلمين » .

فأجبت في تواضع شديد : لقد قلت أبياتا في هذه القصة الشريفة وأنه ليسعدني أن يؤذن لي بإلقائها في هذا الحفل المهيّب ، فلم تكن كلمته التي سمعتها منه إذنا بل كانت أمرا لا سبيل إلى مخالفته أو التهاون في إيمضائه ثم رقيت المنبر فقلت :

صوت طربنا له قد بات يشجينا	ما نرى شخص ذي صوت يغنينا
أرهف خليل سمعا طالما نعبت	فيه الهموم وخل الصوت يشجينا
إن الأغاني ما هزت لمكرمة	لا أعلم العقل يأبأها ولا الدينا
هذا الحديد يغني صادحا غردا	لا يخطيء اللحن ما حاكى المغنينا

كأنه بين أهات يرددها صب يثبك ما يشجيه تلحيناً  
وسلهموا أنكروا أن النبي سري وأم بالمسجد الأقصى النبيينا  
أينطقون حديداً لأحياة به فيملا الأرض إفصاحاً وتبيننا  
ويستقلون فوق الريح طائرة تسابق الريح طيراً في مغانينا  
فيصبحون ومصر عش طائرهم ويظهرون بروما أو بأثينا  
ويعجز الله أن يسرى محمده في لحة الطرف ما أغبى الممارينا

وقد كان أخى الشيخ محمد خليل الخطيب الفيدي - وهو العارف بالله الذى يتبرك الناس به في مدينة طنطا - كان في الحفل وكان أشد الحاضرين سعادة بهذه الأبيات وخاصة حين أنشدت البيت : أرهف خليلي سمعاً فقد وقع في نفسه - رضى الله عنه - أننى أعنيه بكلمة « خليلي » ، وذلك ما قصدته فعلاً . ثم لما فرغت من إنشاد القصيدة أخذ الأستاذ المرشد بيدي قائلاً : إما أن أكون في كلمتى قد نثرت نظمك ، وإما أن تكون أنت قد نظمت نثرى . ثم استطرد يقول : شعرك مع نثرى من قبيل اتفاق الخواطر ، ولست تنكر اتفاق الخواطر . وأنت متخصص في البلاغة والأدب العربى ، وقد وقع في نفسك - بلا ريب - أمر اتفاق الخواطر بين امرئ القيس ، وطرفة بن العبد البكرى ، فإن أحدهما لم يأخذ من الآخر ولكن كلا منهما قال ما قاله الآخر بغير تبديل إلا في قافية الشعر ، فذلك حيث قال امرئ القيس :

قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل  
وأما طرفة بن العبد فقد قال :

لحوله أطلال ببرقه ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد  
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ولست تنكر - حفظك الله - أن يكون هذا اللون من المنطق صورة من ثقافة الأستاذ المرشد - رحمه الله - ذلك أنه كان يحفظ ديوان المتنبى ويستشهد به كلما احتاج إلى ذلك في مجلس حديث أو موقف خطابة مضموماً ذلك إلى ما متعه الله به من حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فكان كما يقول أسلافنا « إهاباً حشى علماً » .

ومنذ تلك الليلة السعيدة وجدت في أعماق نفسى أننى محتاج إليه في أمور الدنيا وأمور الدين ، فكنت حريصاً على الالتقاء به كل أسبوع مرة على الأقل . ولا أنكر أننى تخلفت عنه في رحلة رحلها من الاسكندرية إلى أسوان ، ثم من بورسعيد إلى الدار البيضاء . فلما اشتدت ثورة طلاب الأزهر كان الإخوان بتوجيه

المرشد خير نصير لها ، إيماننا منه بأن نجاح هذه الثورة على يد أحد الأعضاء البارزين في الإخوان المسلمين إنما هو نجاح لدعوة الإخوان المسلمين .

وليس يغيب عن المعنيين بشئون الأزهر أنني كنت زعيم تلك الثورة التي كانت تطالب بعودة الشيخ المراغى إلى منصب شيخ الأزهر ، ثم بإخراج بطانة السوء من القصر الملكي ، ثم بإنصاف الأساتذة الذين فصلوا من وظائفهم من أجل حرصهم على كرامة الأزهر وشرف الوطن . وما كانت عناية الله - تعالى - لتتخلي عن الصادقين المخلصين الذين أجمعوا أمرهم على مدافعة الظلم وقهر الظالمين ، أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . ولهذا نجحت ثورة طلاب الأزهر التي تشرفت بزعامتها ، فخرجت بطانة السوء من القصر وعاد الشيخ المراغى إلى منصبه .

وكان أول عمل قام به أن يرد الحقوق إلى أهل الحقوق ، فأعاد الذين فصلوا من وظائفهم ورفع مكافأة المتخرجين في أقسام التخصص من ثلاثة جنيهاً إلى ثمانية ثم نظر إلى الأزهر في الإطار العام فبعث بعثات إلى ألمانيا وفرنسا وإنجلترا يروجون بذلك للأزهر خيراً يستطيع به أن يقوم بجهد مقدور في خدمة الإسلام . وقد كان هذا - بلا ريب - تفكيراً طيباً لو أنه مضى إلى غايته الشريفة ، ولكن تحكم الهوى في اختيار المبعوثين حول الخير شرراً والحسن قبحاً . وبدلاً من أن يرحب الناس بهذه البعثات ضاقوا بها صدراً ، وكانت قذى في الأعين ، وانحرفوا في الاختيار . إذ كان بعض المبعوثين لا يصلح أن يكون عنواناً للأزهر الشريف . وقد أدرك هذا الشيخ المراغى بعد عام أو عامين فأسف حين لا يغنى الأسف شيئاً .

غير أن الرجل - رحمه الله - كان قد أضاف إلى الخير المجلوب بالبعوث ، خيراً آخر أراد أن يظفر به عن طريق نفى العصبية الحمقاء عن الدين في رسالة بعث بها إلى مؤتمر الأديان العالمي الذي انعقد في لندن سنة ١٩٣٦ م . وكان المؤتمرون قد دعوه إلى حضور المؤتمر وإلقاء كلمة فيه فاستجاب الرجل ، وأناط عنه أخاه الشيخ عبد العزيز المراغى الذي كان في لندن مبعوثاً إلى جامعتها . وفي هذه الرسالة يقول رحمه الله : « الناس في مواجهة الدين رجلان : أحدهما : رجل مؤمن قوى الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شر الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة تتور فيه عناصر الحقد على المخالف له ، فهو له مبغض وبه متربص . وهذا - بلا ريب - أبين حاجة إلى توجيه إيمانه توجيهها نافعاً ، وإلى تنقيته من الشوائب حتى يكون تدينه سليماً معافى من العلل والآفات . وثاني الرجلين : رجل ضَعُفُ إيمانه وأقفر قلبه منه ، وهذا النوع موجود بين الطبقات التي تسمى « الطبقات المستنيرة » ، وإذ قد كان الأمر على هذه الصورة ، فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية المشاعر الدينية التي تعمّر القلوب ، وتملأ النفوس هبة الله منه ، ورفقا بعباد الله . وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد لتحقيق الغرض ، مكتفياً بالإجمال تاركاً التفاصيل للسادة

أعضاء المؤتمر ، وما يكشف عنها تعاونهم الصادق بين الأعضاء وبين الذين يحبون الإنسانية ويكرمونها تكريماً مستمداً من أوامر الله تعالى . ومن هذه المسائل - فيما أرى - إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد ، ثم توجيه الوعظ الدينى هذا الإتجاه الإنسانى بالأساليب التى يقرها أهل كل دين لواعظيه وخطبائه وكتابه . وأهم من ذلك كله جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائماً على أساس عقلى ، إثارة للحق ورغبة صادقة فى الوصول إليه مع البعد عن الاحتيال فى ذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة فى توجيه الاعتقاد . وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع حسماً نزيهاً صادقاً الرغبة فى المسألة ، والحرص على العيش فى أمن وسلام .

## الموقف الإسلامى الصحيح من الإخوة المسيحيين

فى هذه الأثناء كان الأمير شكيب أرسلان أمير البيان العربى قد ظهر له كتاب اسمه « الحل » وكان كتابه هذا يتضمن أحداثاً رآها الرجل ، وتأثر بها ومات دون رآيه دفاعاً عن الحق وابتغاء للثواب من الله رب العالمين . وقد كان الناس يتناولون رسالة الشيخ المراغى إلى مؤتمر الأديان على ما فيها من تسامح ، ثم يوازنون بينها وبين الواقع الدينى لبعض المتدينين فى أوروبا ، فيرون الفرق شاسعاً واسعاً بين سماحة المسلمين وبين تعصب الغربيين .

وقد كان الأستاذ البنا حريصاً على أن يقتنى كل كتاب يظهر فكان أهل المكتبات فى جهة الأزهر يقصدونه ، وفى أيديهم كل ما يروونه صالحاً فى العرض على الأستاذ ليختار منه ما يشاء ، ورحم الله الحاج مدنى الذى كان قاموساً للكتب لا يعدله قاموس مكتوب . وقد كان الأستاذ البنا يقرأ علينا فى دار الجمعية - بعطفة الدالى حسين فى جهة المغربلين - ما كان قد دونه الأمير شكيب فى كتبه وأست أملك إلا أن أرويه بنصه ، حيث قال رحمه الله : « إن الخليفة العباسى « المتوكل » كان يؤاخذ المسيحيين على إهمالهم التمسك بدينهم ، كما فعل مع طبيبه « حنين » وكان قد بلغه عنه أنه بصق على صورة السيدة العذراء مريم ، فجلبه ثمانين جلدَةً ثم سجنه حتى أعلن توبته مما كان قد قارفه مما تضيق به صدور المتدينين مسيحيين ومسلمين ، ولما فتح المسلمون العراق هربت قبيلة إباد - وكانوا مسيحيين - إلى بلاد الروم ، فكتب أمير المؤمنين عمر إلى هرقل يطلب إليه أن يردها إلى أماكنها فأخرجها هرقل من دياره ، وكان على الجزيرة - يومئذ - الوليد بن عقبة ، فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، فكتب إليه أمير المؤمنين يأمره أن يتركهم على دينهم الذى اختاروه .

وفي مدة السلطان العثماني إبراهيم ، استولى الأتراك على عاصمة جزيرة كريت سنة ١٦٤٥م . وقد كان المسيحيون في تلك الجزيرة يساعدون أهل البندقية ضد الأتراك ، فأراد السلطان إبراهيم أن يقتل المسيحيين في مقابلة ذلك ، ولكنه لم يستطع أن يمشي إلى غايته ، لأن المفتي أسعد زاده عارضه في هذا الأمر معارضة شديدة ، قائلا له : إنك تخالف الشريعة الإسلامية ، ونحن لا نفكر على ذلك مهما حاولت أن توقعه بنا نحن رجال الإسلام من محنة وبلاء . ولم يجد السلطان إبراهيم بُدا من أن ينهزم ، ويتراجع عما كان قد أراد . وبذلك لم يقع سلطان العثمانيين في الشناعة التي وقع فيها ملوك الأسبان . ذلك أنه لما غلب فرديناند وإيزابيلا على آخر مملكة للعرب في أسبانيا وقعت في سلطانهما دولة بني الأحمر . فعقدا مع المسلمين معاهدة تضمن لهم حقوقا كثيرة من جملتها حريتهم الدينية ، غير أنهما كانا ينويان باطنا نقض تلك المعاهدة ، وقد أسسا مع ذلك ديوان التفتيش الذي كان يحمل المسلمين واليهود على اعتناق المسيحية بالإكراه ، إلا أن يجلووا عن البلاد ، فجلا أكثر المسلمين إلى تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، ووصل منهم أناس إلى مصر . غير أن أكثر اليهود ذهبوا إلى تركيا وأثروا الإقامة بالقسطنطينية وسانليك وأزمير .

وقد كانت هذه القراءات مع الأستاذ حسن البنا تثير في نفوسنا نحن شباب الإخوان أقسى ما يأكل القلوب حرقة والمأ ، وكان ذلك يأخذ بأيدينا أخذا شديدا إلى الموازنة بين هذه الأعمال البربرية . وبين الصورة الكريمة التي شهدناها العالم كله في ثورة سنة ١٩١٩ وقد كان يلتقي في الانتصار لمصر المسلم والمسيحي في صحن الأزهر وتحت منبره الذي كان يتداوله الشيخ الزنكلوني والقمص سرجيوس في تسامح كريم وأدب عظيم .

## منطقة القناة دارا للإخوان

وفي تلك الأيام التي كنا نتجول فيها من أجل دعوة الإخوان المسلمين ، رغب إلى الأستاذ المرشد أن أصحبه إلى مدينة الاسماعيلية ، وأنا يومئذ في أواخر سنوات الدراسة بقسم التخصص بالأزهر ، وهناك رايت ثمار غرسه في تلك المدينة شيئا لم يكن يخطر بالبال . فلقد كانت مدينة الاسماعيلية وسائر مدن القناة دارا للإخوان المسلمين ، يقد إليها كل منتسب إليهم مقتنعا بدعوتهم حريصا على الانتظام في سلكهم . وأذكر أنني أقيت خطبة عيد الفطر في صحراء الاسماعيلية بين مئات من أهل المذاهب ورجال الطرق وعلماء الإسلام ، ثم انعقد مؤتمر بعد ذلك في مدينة بورسعيد ، وكان مؤتمرا في شكله وموضوعه ، فقد أخذ المؤتمرين يرددون الأناشيد الدينية الصوفية إيمانا منهم بأنهم مراقبون من جهة الحكومة المصرية ، ثم من جهة الحكومات الأوروبية عن طريق مخابراتهم العالمية ، وكان الغروب يخشى أشد خشية



أن تقوم في دنيا الإسلام جمعية تحترف السياسة باسم الدين ، فتكون أشد خطراً على الاستعمار والمستعمرين من دولة الخلافة الإسلامية في تركيا . التي كان يتزعمها سلاطين آل عثمان ، والتي قوض بنيانها مصطفى كمال أتاتورك . ومن أجل ذلك حرص الأستاذ المرشد حسن البنا على أن يظهر الإخوان المسلمون بمظهر الدراويش الذين يجتمعون على تلاوة المأثورات التي هي دعوات دينية كان أسلافنا يتخذون منها وسيلة إلى القرب من الله . وكان أمل الأستاذ البنا من ذلك أن يصرف اهتمام العالم الغربي عن الإخوان المسلمين باعتبارهم هيئة سياسية يخشونها على نفوذهم في الاستقلال والاستقلال .

## النشيد الرسمي للإخوان

وحين انتهى المؤتمرون في بورسعيد انصرفنا نحن أبناء القاهرة عن طريق بحيرة المنزلة في مركب بخارى أثيق . وفي هذا المركب الذي كان يشيع البهجة في النفوس جرى حديث الأناشيد التي هي شعار الجماعات ، فرغب إلى الأستاذ البنا أن أنظم أبياتاً من الشعر تصلح أن تكون النشيد الرسمي لجمعية الإخوان المسلمين ، ولم أملك إلا أن استجيب ، وإن استجمع ذهني ، وجميع عواطفى الدينية والوطنية لكى أظفر ببضعة أبيات من الشعر ، فجاءنى منه ما لم أكن أتوقع مجيئه في يسر وسهولة . فإذا هذه الأبيات التي عرضتها على الأستاذ البنا فريضها وأنشدها بعد ذلك في كل حفل حللنا فيه ، ثم أعلن إلى الإخوان أن هذا هو النشيد الرسمي لهم ، وهذه الأبيات التي لم تكن من وحى شيطان الشعر ، كما يقول أدباء اللغة العربية ، بل كانت من وحى ملك كريم من ملائكة الشعر المؤمن ، كما يقول الأستاذ البنا :

يا رسول الله هل يرضيك إننا أخوة في الله للإسلام قمنا  
ننفض اليوم غبار النوم عنا لا نهاب الموت لا بل نتمنى

أن يرانا الله في ساح الفداء

أن للدنيا بنا أن تطهرا نحن أسد الله لا أسد الشرى  
قد قطعنا العهد إلا نقبرا أو نرى القرآن دستور الورى

كل شيء ما سوى الدين هباء

غيرنا يرتاح للعيش الذليل وسوانا يهرب الموت النبيل  
إن حيننا فعلى مجد أثيل أو منينا فبلى ظل ظليل

حسبنا أنا سنفنى شهداء

وعلى هذا النحو الذى تنتشر له الصدور ، مضى الإخوان فى القرى والمدائن ، واتخذوا شعارا لهم هذه الكلمات : « الله غايقتنا ، والقرآن دستورنا ، والرسول زعيمنا ، والموت فى سبيل الله اسمى امانينا . »

وما من شك فى أن المعسكر الاستعماري فى الغرب والشرق أصابه الفزع الشديد ، إحساسا منهم بالخطر الذى يهددهم من قبل هذه الجمعية التى أقبل الناس عليها إقبالا شديدا وعلقوا عليها آمالهم فى الإصلاح المنشود : إصلاحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، والمستعمرون دائما يعرفون الطريق الذى يقضى بهم إلى الكيد الشديد لأعدائهم ، ولهذا بدا الغرب يوسوس للرؤوس فى الأمة العربية ، والأمة الإسلامية ، زاعما لهم أن هذه الجمعية خطر عليهم ، وعلى سلطانهم فى دنيا العروبة والعرب ، وفى دنيا الإسلام والمسلمين .

## شهداء الإخوان

ولست استبعد - فى مبلغ إدراكى - أن تكون إثارة قضية فلسطين فى الثلاثينيات وسيلة إلى عمل يبعث القلق والاضطراب فى رؤوس الحاكمين بمقدار ما يبعث سوء الظن فى أنفس الشعوب المحكومة ظاهرا بحكام وطنيين ، وهم فى الحقيقة حكام يستندون إلى المستعمرين . وليس يجهل الذين يعلمون أن الشباب أطوع لمقتضيات عقيدته وأسرع استجابة لنداء هذه العقيدة . وأية ذلك فى شباب الإخوان المسلمين تتجلى فى أمرين :

أحدهما : مسارعة بعض الشباب إلى مشاركة المجاهدين فى فلسطين مع أخ لهم لا يعرف كثير من الناس أنه من طلائع دعوة الإخوان المسلمين وهو الشيخ الشهيد عز الدين القسام ، وكان من الإخوان الذين لا يشق لهم غبار - رضى الله عنه - فقد قتل تحت لوائه فى فلسطين شاب مصرى من خيرة شباب الإخوان هو الأخ أحمد رفعت الذى كان طالبا فى كلية التجارة ، والذي كان لا يركب الترام ، إيماننا منه بأن الشركة التى تملك الترام هى شركة استعمارية ، فكل من يعينها ولو بمال ضئيل ، إنما يعين قوة استعمارية على قتل الأبطال المجاهدين فى معارك فلسطين .

وثانى الأمرين : طالب مهندس اسمه عز الدين ، وقد حاول أن يصنع متفجرات ، فاستأجر لذلك مسكنا فى شارع البرامونى بحى عابدين بالقاهرة ، وأخذ يحاول فى مسكنه تجربة اختراعه ، ولكنه لم ينجح فقد قتلتة تجربته ، وهو فى ريعان الشباب على عتبات أمل عظيم يسعد به أهله ومواطنيه .

ومن قبل هذين الشهيدين أحمد رفعت وعز الدين كان قد استشهد برصاص

الكونستبلات الإنجليز في حكومة نسيم باشا سنة ١٩٣٥ عبد الحكم الجراحى ،  
ومحمد عبد المجيد مرسى وكانا من طلاب جامعة القاهرة المرجوين . وقد كانت أسرة  
الشهيد الجراحى في أشد الحاجة إليه والاعتزاز به والفجعية فيه . ولقد أذكر - بهذه  
المناسبة - أن هذا الشهيد مضى دون أن يفكر فيه أو يرثى لأسرته أحد إلا رجلا واحدا  
هو الذى ذكرنى به وبأسرته وأنا يومئذ وزير الأوقاف وذلك الرجل هو أخى الصحفى  
الحر مصطفى أمين أجزل الله له العطاء في هذه الحياة الدنيا و . يوم لا ينفع مال  
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولقد أذكر أن الحكومة القائمة آنئذ خشيت من أن يشيع طلاب المدارس  
والجامعات جثمان الشهيد الجراحى فباخفت الحكومة الجثمان في مشرحة مستشفى  
قصر العينى اتقاء لغضبة الشعب بكل طوائفه من طلاب وعمال إذا قامت هذه المظاهرة  
في الجنازة ، ولكن الطلبة الأحرار سرقوا الجثمان ، وتم لهم ما أرادوا من تشييع  
الجنازة على مرأى ومسمع من أبناء مصر أجمعين . وقد كان في طليعة هؤلاء اللصوص  
الشرفاء الدكتور نور الدين طراف الذى عين وزيرا للصحة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢  
والدكتور عبد الفتاح إسماعيل الذى كان مديرا لجامعة الكويت ثم وزيرا للتعليم  
العالى ، وقد كنت معهم باعتبارى رئيس اتحاد الجامعة الأزهرية .

ولا ينسى الذين يذكرون الأحداث التاريخية ذات القيمة الوطنية ذلكم اليوم  
الذى خرجت فيه مصر تشيع جثمان الفقيد الجراحى إلى مثواه الأخير ، فقد كان يوم  
عصيبا تتجلى فيه روعة الوحدة الثقافية بين طلاب الجامعة وطلاب الأزهر الشريف  
وسائر المدارس العليا ، وأبناء الشعب المصرى العظيم .

## ثلاث قواعد لعمل الإخوان

لقد كانت دعوة الإخوان المسلمين تزداد مع مرور الأيام قوة إلى قوتها ، وينضم  
إليها جنود مع جنودها ، وخاصة بعد أن وضع الشهيد الإمام حسن البنا القواعد  
التي تستند إليها في زحفها إلى غايتها الشريفة ، ولم تكن غايتها إلا إصلاح المجتمع  
إصلاحا يقوم على شريعة الإسلام ويستصحب في عمله الدائب روح الإسلام . ولقد  
كانت القواعد التي وضعها الإمام الشهيد تدور على أقطاب ثلاثة تحتاج إلى توضيح :

اولها : تغيير العرف الذى كانت الشعوب المغلوبة تحتكم إليه . ومثال ذلك أن  
المسلم يخجل من أن يرد سلوكه إلى أصل في الإسلام . فإذا قدمت إليه كأس خمر  
مثلا ، فإنه كان يعتذر عن قبولها بأنه « معهود » ، وأن الأطباء نصحوه بعدم الاقتراب  
من الخمر حرصا على صحته ، وقد كان الأجدر به أن يعتذر بأن الإسلام حرم عليه

الخير ، فهذا هو المعنى المراد بكلمة « تغيير العرف » . وعلى هذا يقيس المسلم - أعني الأخ المسلم - كل الرذائل الاجتماعية التي يدعى إليها ، فلا يخجل من المجاهرة بأن الدين يمنعه كما كان يحدث كثيرا عند بعض الطبقات في المجتمع الإسلامي .

**وثاني الاقطاب الثلاثة :** الطريق الدستوري بمعنى أن يجتمع الإخوان في أية دائرة انتخابية ، ثم يرشحوا من بينهم واحدا له عصبية تمكنه من الظفر بمقعد في البرلمان . فإذا لم يجدوا ذلك في صفوفهم ، فعليهم أن يؤيدوا واحدا يكون أهلا لتأييدهم حتى يظفر بهذا المقعد الخطير ، فإذا اجتمعت لدعوة الإخوان فئة تعزز بالإسلام ، وتستند إلى عصبيات قوية ، فإنهم بعد ذلك قادرون على أن يتقدموا بمشروعات قانونية يكون من شأنها رفع حمية الشعب المصري ويسط نفوذ الإسلام الذي لا يضيق به أحد من المواطنين مسلما كان أو غير مسلم ، لأن الخير بذلك - أنشد - يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين .

**فاما ثالث الاقطاب الثلاثة ،** فليس في حاجة إلى نشره في رسالة أو تدوينه في كتاب . ذلك أن هذا القطب لا يعنى إلا الاستيلاء على الحكم بالقوة القاهرة والثورة الظافرة التي يخطط لها فلاسفة مؤمنون ، وينفذها شجعان مخلصون ويستثمرها لخير الأمة أمناء صادقون .

## وثلاث شعب . .

### في الجيش والشرطة والدعاة

وبناء على ذلك كانت هناك ثلاث شعب تتقيا غاية واحدة وكل يعمل في مجاله غير حريص على الظهور .

شعبة في الجيش قوامها الضباط والجنود ولهم رئيس مسئول عنهم .

وشعبة في الشرطة لهم رئيس مسئول عنهم أيضا .

وشعبة الدعاة القادرين على الدرس والبحث . ورؤساء الشعب الثلاثة مسئولون أمام المرشد العام للإخوان المسلمين .

وغير ذى حاجة إلى بيان ، أن رجال الأحزاب ورجال السياسة كانوا يحرصون - أشد الحرص - على الاتصال بالإخوان المسلمين ، رجاء الانتفاع بهم في معترك الانتخابات ، وسائر المجالات الوطنية العامة ، ولقد كان في مقدمة أولئك الحراص على ذلك الأستاذ عبد المجيد إبراهيم صالح باشا عضو الأحرار الدستوريين ، وأحد

وزرائهم المستنيرين ، فقد اتصل بى ذات يوم ورغب إلى فى أن أرشح له رجلا له بفكر الاخوان المسلمين صلة ، وله بينهم مقام مرموق ، وقد كان الرجل رحمه الله من القلائد الذين يجلس المرء إليهم ، فيرى فيهم من دلائل الخير والاخلاص فى النصيحة ما يحرضه على الضن بهم فى الانتفاع من مخالطتهم وعقد أواصر الصداقة بينه وبينهم . وقد كان أمرا طبيعيا أن أستاذنه فى تأجيل الاستجابة لمطلبه إلى حين ريثما أفكر فى الأخ الصالح لهذه المهمة ، ولكن الرجل قال : إننى معجب بكاتب يتحدث عن الإسلام حديث العاقل الحريص على مزج مطالب الدنيا بمطالب الدين ، فسألته بدورى من تقصد ؟ فقال رجل يسمى خالد ، فأكون شاكرا لو أنه جاء يزورنى فى حلوان فى اليوم الذى يراه ، وكان يقصد أخى الأستاذ خالد محمد خالد بعد أن تعرف على أفكاره من كتابه ، من هنا نبدا ، الذى كان قد ظهر فى تلك الايام ، ولم أجد بدا من امضاء رغبته إلى غايتها ، فأخبرت أخى خالد ، ولم يكن عضوا بجماعة الاخوان المسلمين ، وسألته أن يجتمع بالوزير الفاضل عبد المجيد باشا ابراهيم .

ولم يكن عبد المجيد باشا هو الوحيد من أعيان المصريين الذى يؤثر أن يتقرب إلى الاخوان المسلمين ، وأن ينهل من منابع ثقافتهم ، وقد كان هو وأمثاله كثيرا ما يؤيدون الاقتراح الذى يرمى إلى أن يؤيد الاخوان المسلمون فى دوائرهم الانتخابية رجالا لهم ثقافة رفيعة وخلق رضى ودين قويم ، وكان الجميع يكرهون أن ينقلب الاخوان حزبا سياسيا لأن للسياسة ميادين قد تناقض الدعوة الدينية ، وقد تكون ضد المصلحة الوطنية . وذلك أن الأستاذ المرشد رأى من مصلحة الدعوة ، أن يرشح نفسه لمجلس النواب فى دائرة الاسماعيلية ، فاقبل الاخوان على قيد أسمائهم فى تلك الدائرة ، وكانوا الألفا من المواطنين الذى حفظوا كلمة يرددونها يؤيدون بها ترشيح من يرشح نفسه للانتخابات : « إن الله ليؤزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وليس يخفى على أهل البصر بشئون السياسة أن وجود هذا اللون من التفكير فى البرلمان قد يثير متاعب للحكومة وربما فتح بابا من الشر لدسائس المستعمرين ، فرفضت حكومة احمد ماهر - رحمه الله - أن تقبل أوراق الترشيح التى تقدم بها الأستاذ المرشد ، وبعد محاورات طويلة ومشاورات كثيرة قبلت الحكومة على مضض أن يرشح الأستاذ البنا نفسه عن الدائرة المذكورة . ومبلغ العلم أنها لم تقبل هذا الترشيح إلا بعد أن فكرت فى وسيلة غير مشروعة تحول بين المرشد وبين النجاح فى الانتخابات . وبطانة السوء قادرة دائما على أن توسوس للحاكم بما يرضيه مهما يكن ذلك خارجا على المألوف ، أو موقعا فى حرج شديد .

ولذلك اسقطت الحكومة الأستاذ البنا على الرغم من الألف التى انتخبته عن صدق وإخلاص . وكما ذكرت قيد الاخوان المسلمون فى القطر المصرى كله أسمائهم فى دائرة الاسماعيلية ، وقد كانوا الوفا مؤلفة . وكان طبيعيا أن تسقط الحكومة الأستاذ المرشد عن طريق التلاعب الذى يثير الحفاظ ، ويدعو إلى لقاء الجريمة

بجريمة مثلها أو أشد أثرا في الانتقام من العابثين بالحريات المتغاضين عن أقدار الناس ، وإنكارهم حقهم الذي يقرره لهم الدستور ، ويحرضهم على اقتضائه مهما تكن النتائج شديدة الوقع على الناس . ولقد يذكر الذين عاصروا هذه الأحداث أن الآلاف الذين قيدوا أسماعهم في قوائم الانتخابات كانوا قادرين على أن يحدثوا ثورة في الاسماعيلية وما حولها لولا أن الأستاذ المرشد تدارك الأمر بحكمته ، وتهدد الثائرين من الاخوان بما جعلهم يستبدلون بالثورة في وجه الحكومة طريقا آخر لم يكن للأستاذ المرشد يد ولا له به علم ، ولو أنه عرض عليه لأنكره على الاخوان الغاضبين الثائرين أشد إنكار ، ولكن الشباب دائما لا يستطيع أن يرى في الآفاق البعيدة ، ما يستطيع أن يراه رؤوس الدعوات الذين ذاقوا الحياة خيرا وشرها ، وحلوا ومرها ، وهم الذين تقول فيهم الحكمة الصادقة : « رأى الشيخ خير من مشهد الشاب » .

## الاخوان المسلمون يلجأون للعنف بعد إسقاط البنا في الإنتخابات

كان الاخوان المسلمون على كثرتهم فريقين : فريق تطلق عليه كلمة « المحيط العام » وفريق آخر تطلق عليه كلمة « النظام الخاص » . وكان النظام الخاص يحكمه الاعجاب بالنفس والاحتكام إلى التضحية والفداء . وكان المحيط العام محكوما بما يقرره مكتب الارشاد بمنأى عن التطرف والاحراج ، فكان إخوان المحيط العام معروفين بأعيانهم وأسمائهم واتجاهاتهم . لأنهم كانوا يخطبون ويكتبون ويتجولون في أرض الإسلام لا يخفى أمرهم على أحد ممن ينتسب إلى دعوة الاخوان المسلمين . وأما النظام الخاص فلم يكن المنتسبون إليه معروفين إلا في دائرة ضيقة ولأحد معروفين ، وقد كان لهؤلاء اجتماعاتهم الخاصة بهم ، وربما كانوا يعملون في جهات مختلفة يجهل بعضها بعضا جهلا شديدا . ومن سوء حظ الدعوة أن هذا النظام الخاص رأى أن ينتقم لاسقاط المرشد في الانتخابات بدائرة الاسماعيلية . وكان من أشد المتحمسين لفكرة الانتقام هذه محام شاب يتمرن على المحاماة في مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى ، الذى كان علما من أعلام الحزب الوطنى وهو المحامى الشاب محمود العيسوى . فما أعلنت حكومة الدكتور أحمد ماهر باشا الحرب على دول المحور لكى تتمكن مصر - بهذا الاعلان - من أن تمثل في مؤتمر الصلح إذا انتصرت الديمقراطية على النازية والفاشية . رأى النظام الخاص أن هذه فرصة سنحت للانتقام من رئيس الحكومة ، ووجه محمود العيسوى إلى الاعتداء على المرحوم أحمد ماهر باشا ، فاعتدى عليه في البرلمان بطلقات سلبته حياته التى وهبها لمصر منذ عرف الوطنية رحمه الله رحمة واسعة .

كان الشعب في هذه الفترة ضائقا بالحزبية والاحزاب ، وكانت هناك جماعات من الشباب جمعت بينهم كراهية الاستعمار ، فأرادوا أن يؤلفوا من بينهم جماعة تعتنق مذهبا سياسيا معتدلا بعيدا عن التطرف . وقد زارنى أحد هؤلاء الوطنيين الصادقين وهو الاستاذ محمد المعلم - صاحب دار الشروق للنشر الآن - واستعرضنا معا أسماء ذات تاريخ معروف وقيدت هذه الاسماء في كشف ، وكان من بينهم المحامى محمود العيسوى ، والدكتور حسن نور الدين الوطنى القديم الذى زامل الزعيم سعد باشا زغلولى في معتقله في جزيرة مالطة - وقد كان الرجل من أعضاء الحزب الوطنى الاقدمين ، فظل متمسكا بربطة العنق السوداء حزنا على مصطفى كامل حتى لقي ربه .

ويبدو أن البوليس السياسى - بعد مقتل أحمد ماهر باشا - قد عثر على هذا الكشف في مكتب الاستاذ عبد المقصود متولى - وفيه هذه الاسماء فاعتقلوا أصحابها جميعا وهم أحمد حسن الباقورى - الدكتور ايوب عامر - الدكتور حسن نور الدين - وجمال الشوقاوى - والدكتور نعمان ، والدكتور البقرى ، وآخرون طال بنا العهد فنسينا أسماءهم .

ولقد كان في وجود اسمى في قائمة أسماء من بينها محمود العيسوى دليلا على اننى شريك أو شبه شريك في الاعتداء على أحمد ماهر باشا .

وإلى سجن الاستئناف الذى اختاروه مثنى لنا على كآبته وقسوة الحياة فيه . عشنا أسوأ أيام حياتنا ، إذ كان الطابق الذى نزلنا فيه يجاورنا فيه محكوم عليهم بالاعدام ، وقد ارتدوا الرداء الأحمر الذى يرتديه هذا النفر من المجرمين . ولقد كان كل ذلك محتملا ميسورا لولا اللوحة النحاسية الصغيرة التى كانت تحمل رقم السجين ومن حولها دائرة سوداء كتب عليها قضية اغتيال أحمد ماهر باشا ، وقد ظللنا في هذا السجن مدة أسبوعين ننظف الحجرات بأنفسنا ، ولا نكاد نرى ضوء الشمس إلا حين ننزل في ساحة السجن نمشى في نظام عسكري حوالى الساعة ، وموظفو محكمة الاستئناف التى تجاور السجن ينظرون إلينا من الشبابيك ، أو من أعلى المبنى بين ساخر منا ، ومشفق علينا . ولم تكن هذه المرة الأولى التى أزور فيها سجن الاستئناف فقد زرته من قبل سنة ١٩٢٤ وأنا يومئذ طالب في آخر سنوات قسم التخصص في حركة الأزهر . ومن أجل هذه المهانات بين سخرية الساخرين ، وشماتة الشامتين كان العنف باسم الدعوة أقبح شيء نتمثله أو نتخيله . وليس يسع الذين قرأوا تاريخ امتنا إلا أن يمتقوا العنف فضلا عن القتل مهما تكن الدواعى إليه والمسوغات له في نظر الخادعين أو المخدوعين .

إن كل بلاء نزل بساحة الإسلام والمسلمين إنما نشأ بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وتغذت شجرته من دم ذلك الشهيد العظيم ، وفي تاريخنا الحديث رأينا

العنف يأخذ الطريق على خطط الإصلاح التي أراد لها زعماء الأمة أن تقود وأن تسود . وذلك يتجلى على غاية الوضوح في تاريخ الحزب الوطنى الذى كان يتزعمه مصطفى كامل ومحمد فريد . ذلك أن الزعيم أحمد عرابى كان قد أثر القوة وسيلة للإصلاح ، ولكنه أخفق ، وأخفقت معه الثورة العرابية ، فاحتلت انجلترا مصر سنة ١٨٨٢م فخيم على البلاد جو من الخضوع والاستسلام وبقي سائداً في حياتها مضروباً عليها فترة من الزمان . وقد كان الناس يتسألون أنئذ كيف تقوم حركة وطنية لاستنقاذ الحرية واستخلاص الاستقلال من يدى أقوى دولة نفوذاً ، وذلك بلا ريب شأن الغلو واللجوء إلى القوة منذ عرف الناس تاريخ الإصلاح ، ولذلك كان الأستاذ البنا حكيماً في أنه بدأ بتربية الشعب عن طريق تغيير العرف ، ثم الطريق الدستورى ، فإذا قامت ثورة بعد هذين الركنين فإنها بلا ريب مدركة حظها من النجاح ، ولكن الذين استغلوا مشاعر الغضب في إسقاط الأستاذ المرشد في الانتخابات فلجأوا إلى التخطيط لاغتيال ماهر باشا ، كانوا إلى حماسة الشباب أدنى منهم إلى رزائة الشيوخ المجربين .

وإلا فإن الاستعانة بالعنف الدامى على تأييد خطوات الإصلاح والتمكين للمصلحين لم يثمر إلا أسوأ النتائج ، كما يتجلى ذلك للذين ينظرون في أحداث التاريخ نظراً قائماً على التأمل والتدبر والاستبصار . أية الصدق في هذه القضية تتجلى في الحركة الكمالية التي لجأ إليها مصطفى كمال أتاتورك ، فإنه باغتياله خصومه قضى على تاريخ الدولة التركية ، وجعلها تابعة في مجالات السياسة العالمية بعد أن كانت سيدة في دنيا العالمين . وعلى هذا النحو مضى الأمر في ألمانيا النازية فإن هتلر بسلوكه طريقه العنف مع خصومه رد ألمانيا إلى وراء ، بعد أن خسرت نفوذها العالمى وسمعتها التي كانت موضع التقدير والاحترام . وعلى هذا النحو نفسه درجت إيطاليا الفاشية فكلفتها الاستبداد الدموى من زعيمها وزيائتيه ما جعلها بغيضة إلى الناس ، ثم أبدلها بحياتها المستقرة حياة أخرى يسودها القلق والفوضى عن طريق الأولوية الحمراء .

وعلى هذا النحو يرى المتأمل ثورة اليمن ، والأمر فيها ليس يحتاج إلا لمجرد استعراض التاريخ ، فإن تلك البلاد التي كانت ترجى لخير كثير أصابتها الفتن الحمقاء ، فأبدلتها بما كانت ترجوه من خير عظيم شراً مستطيراً لا يصبر على لأوائه إلا الصابرون .

وأنت إذا تركت التطواف في الأفاق البعيدة إلى النظر في ثورة مصر سنة ١٩١٩ فإنك سترى الزعيم سعد زغلول ، وقد التف من حوله الشعب يتلقى عنه أعظم ما يتلقاه شعب من زعيم مخلص أمين ، ولكنه لم يستطع أن يبلغ ما كان يتمنى لأن لجوء - اليد السوداء - إلى العنف وضع العقبات الكأداء في طريق خطوات الإصلاح المنشود ، وقد كانت الثورة توشك أن تؤتى ثمارها طيبة شهية لو استقامت لها الطريق



إلى ما كان يرجوه لها رجل متعه الله بنظر بعيد ، ورأى سديد وزاده الأزهر الشريف ، قدرة على التعمق في البحث على ما كان يقول هو نفسه - رحمه الله - من أنه كان يوازن بين المذاهب ، فيرتضى منها أقربها إلى الأخذ بما تقبله العقول .

## البنا ما لم يكن ليرضى الفتن

وقد كانت هذه المعاني لا تخفى على ثقافة الأستاذ البنا الذي متعه الله ببصيرة نافذة ، وعقل واع ، وصبر لا نظير له في قراءة كتب التاريخ . فمثله - رحمه الله - لم يكن ليرضى هذه الألوان من الفتن التي ترمى بالشعوب إلى حضيض المذلة والهوان . على أن الأمر لو كان وقفاً عند استباحة الدماء المعصومة في شريعة الله ، لكان ذلك أمراً ميسوراً احتماله ، مقدوراً على التماس وجه له يسوغ المصير إليه ، ولكنه تعدى ذلك إلى ما يجاني الحق ، ويقود إلى أسوأ سيئات التأويل . ذلك أن يقول قائل : إن رسول الله أمر بالاعتقال ، ثم يستشهد لقوله هذا بمقتل كعب بن الأشرف ، فإذا هو - على ذلك - يتقاضى عن حقائق لا ندحة للمسلم عن النظر إليها ، والایمان بها في هذا المقام . وأولى هذه الحقائق أن ثمة فرقاً بين رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم من الهوى ، وبين غيره من الذين تصرفهم الأهواء ، ولا تحوطهم عناية الله ، كما تحوط رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم ، فقد كان كعب هذا رجلاً شاعراً سيداً في قومه يُقتدى به ، وما أكثر ما هجا رسول الله ، وتناول أعراض المسلمين ، واستخف أشد الاستخفاف بنظامهم الذي أقاموا عليه حياتهم ، وليس في وسعك - حفظك الله - أن تقع على شعر من شعر كعب ، وتستطيع أن تستدل به على مدى جرائمه في مجتمع المدينة المنورة . وذلك أن المسلمين كانوا يفتنون أشد الفتنة أن يحفظوا شعراً هجاء لرسول الله ، أو ينال من أعراض المسلمين مع نهى رسول الله إياهم عن رواية هذا الشعر أو حفظه ، بما جاء في الحديث الصحيح : « لأن يمتلئ جوف أحدكم بما أو صديداً ، خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به » . وإليك ما رواه البخاري في صحيحه مما يتعلق بكعب حيث ذهب إليه من وجوه العرب من دعوتهم الحاجة إلى أن يطلبوا منه قرضاً على الطريقة التي كانت سائدة آنئذ في المدينة قبل الهجرة ، فلما طلبوا منه سلفة قال لهم أرهنوني نساءكم ، فقالوا له كيف نرهك نساءنا على ما في ذلك مما ينال أعراضنا بسوء ، ويشوه سمعتنا بين الناس ، فقال لهم ، فإن لم تفعلوا فأرهنوني أبناءكم ، فأجابوه إن في ذلك مذلة لأبنائنا ، ولكننا نرهك دروعنا . وهذا الحوار يعطيك الصورة التي كان يسخر فيها كعب بوجوه القوم ، وكبارهم من العرب .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ملا من أصحابه ، لقد أذى كعب الله ورسوله والمسلمين ، وحرص قريشا على الأنصار ، وقد فهم المسلمون من كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفهمه كل من يتدبر القرآن الكريم في مثل

قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينقوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

فهل يستطيع المسلم الحق أن يزعم لنفسه من عناية الله به ما حاط الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من عناية وصيانة وتأييد ؟ ثم هل يستطيع المسلم الحق أن يرى من تصرفات حكام الأمة في هذا العصر ما يضع الحاكم في سلطان الآية الشريفة ، فيبيح قتلهم أو صلبهم ، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف بحجة أنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا .

مبلغ علمي أن ذلك أمر مستحيل لا يفكر فيه ، ولا يرتضى الاتجاه إليه ، والاخذ به أولئك الذين رزقهم الله من الإيمان به ، والخوف منه ما يحول بينهم وبين التأويل البعيد .

لقد كنا وكان الناس معنا يسمعون عن نفس محلات شيكوريل بكل ما فيه من بضائع ، ومن فيه من رجال ونساء وأطفال ، فكنا نكذب أشد تكذيب هذه الكلمات التي تجرى على السنة الناس ، وكان سند تكذیبنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى نهيا صريحا عن قتل النساء والأطفال ، كما تشير إلى ذلك خطبته الشريفة التي ترويه كتب السيرة ، وفيها هذه الكلمات الصريحة التي لا تحتمل التأويل بوجه من الوجوه : « لا تغلوا ولا تقطعوا شجرا مثمرا ولا تنحروا بهيمة إلا لما لاكمه ، وستمرون بقوم ترهبوا في الصوامع والديار ، فاتركوهم وما تفرغوا له » .

فكيف يطبق المسلم أن يسمع عن نفس أكبر المحلات التجارية في قلب مدينة القاهرة ، وقد أبرزت الصحف يومئذ أن من الذين نسفوا أطفالا كانوا يسيرون في شارع فؤاد الأول ، وأن من الذين نسفوا أيضا عرائس كن مع أهليهن يتجهزون لتحقيق آمالهن الغوالي في مستقبل سعيد . نقول كيف يطبق المسلم أن يسمع بهذه الأحداث الأليمة منسوبة إلى الإسلام ، وهو يعلم أن ذلك افتراء لا صلة له بإنسانية حية يقضى في جسد إنسان ، ولكن الناس إذا استقر في أذهانهم معنى من المعاني منسوبا إلى فرد أو جماعة من الناس ، فإنهم يجعلون كل المعاني المتشابهة منسوبة إلى ذلك الشخص أو تلك الجماعة ، ومضيا مع هذه القاعدة نسب الناس في الداخل والخارج كل أحداث العنف الدموية إلى الإخوان فإذا هم - في السنة الناس - إلى الخوارج أدنى منهم إلى أهل الحق والعدل من المسلمين .

وهكذا صار الإخوان يضربون مثلا للشر الذي لا يرضاه الله لعباده المؤمنين : ومن ثم حمل المستعمرون عليهم في الشرق والغرب ، فأصبحوا مضغة في أفواه الذين لا يعلمون الحق ، ولا يباليون أن يعطوه ، أو يجهلوه ما داموا يجدون في هذا الاتهام

شفاء لصدورهم ، وتيسيرا للطريق بين ايديهم إلى الاستذلال والاستغلال .

وإنه ليحزننى - كما كان يحزن كل مسلم - أن تلصق هذه التهم الشنعاء بالاخوان . ولعل هذه البلبلة وسوء الاحدثة بين الناس حملت على الزهد فى الانتساب إلى الاخوان ، فانقسموا بعضهم على بعض ، وكان أول من خرج من صفوفهم شيخ العشيرة المحمدية الشيخ محمد زكى ابراهيم ، ثم جاء انقسام آخر كان أغرب وأعجب ، ووجه الغرابة والعجب فيه أن أولئك المنقسمين ، كانوا فى كثير من الاحيان يتناولون الطعام ببيت واحد منهم ، فكانوا يجلسون حول المائدة ، وقد تركوا الكرسى الذى على رأس المائدة يطلب صاحبه لأن أحدا لا يجلس عليه ، فإن سأل سائل لماذا تركوا هذا المقعد خاليا أجابه مجيب بأنه متروك خاليا لأنه ينتظر قادما عظيما يجلس عليه ، ولم يكن هذا القادم فيما يذكرون إلا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فرغ القوم من طعامهم انتقلوا إلى مكان آخر فى ندوة علمية أو سياسية ، ثم يتحدث أحدهم عن آيات القرآن العظيم ، ويستعرضون كل الاخوة الذين أثروا اجتناب الاخوان فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ، ثم يأخذ هذا الفقيه المتحدث فى تحديد الأشخاص الذين تليق بهم الآيات التى يريد ، فيزعم لاهل الندوة أن هذه الآية نزلت فى فلان ، وقد كان ذلك أخطر الانقسامات التى أصابت صفوف الاخوان . لقد كان الاخوان المسلمون ثروة خليقة بالضم بها ، والحرص عليها ، وافتدائها بكل مرتخص وغال ، لكى تظل ماضية إلى غايتها الشريفة فى احقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ورفع خسيصة الانسان عن طريق الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتربية على مكارم الأخلاق التى كانت هى السبيل الفارد بالقدرة على انهاض الشعوب وإحياء الامم . ولكن سوء التأويل الذى لجأ إليه بعض المنتسبين إلى الدعوة هو الذى صرف اهل الدين من فقهاء المسلمين عن الانسلاک فى سلكها والحماس لها ، والانضواء تحت لوائها . وما زال سوء التأويل لآيات الله وكلمات الرسول مفتاحا للشر ، وسبيلا إلى ارضاء الهوى ، والانحراف عن صراط الله المستقيم ، فإذا شئت مثلا لسوء التأويل فإنك واقع عليه فى كلمات قالها صاحب ندوة « الخلمية » حول الآية الكريمة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » - فقد فسر الشاب الذى كان يزعم الفقه بالقرآن كلمة « الحكمة » فى الآية الشريفة بأنها السيف !! لكى تقابل فى نظم الآية « الموعظة الحسنة » . والناس فى كل الأحوال مطبوعين على الاعجاب بالغرائب ، وأخذها عن يرويها لهم محقا كان أم مبطلا ، وبصيرا أم غير بصير .

ولقد كان من سوء حظ الدعوة والدعاة أن يتبع اثر شباب مصر المسلم ، شباب كثير فى دنيا العروبة والاسلام . فى ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، وفى سورية وفلسطين واليمن والعراق والأردن وما وراء ذلك من بلاد العجم إيران والهند وباكستان وأفغانستان ، فأخذوا عن شباب مصر المسلم ما كان قد اعتنقه من أفكار

يضيق بها الحاكم والمحكوم في كل الشعوب ، ومن أجل ذلك نبتت في كثير من الشعوب الإسلامية نوابت من سوء الاحدوة عن الاخوان .

## اتهامات باطلة للبنا

وبدا الكيد للدعوة والدعاة في داخل مصر وخارجها ، وكانت الحجة التي يتوسل بها المغرضون إلى الكيد للدعوة والدعاة ، إن الأستاذ المرشد يريد استحياء نظام الخلافة لنفسه حتى لقد زعم بعضهم أنه من دعاة الباطنية الذين يظهرون الإسلام ويستغلونه في إرضاء نوازعهم إلى السلطان باسم الدين . وبهذا المنطق العجيب ، المجاني للحقيقة بدأت الحكومات التي لها بالغرب صلة ثقافية أو سياسية ، تعمل على تعويق خطى الإصلاح ، وبث العقبات في طريق المصلحين المخلصين ، حتى جاءت إلى الحكم وزارة حسين سرى باشا في أوائل الأربعينات ، وضعت تشريعا يحرم على الجمعيات الخيرية العمل السياسي ، وكان المقصود الأول من هذا التشريع هو جمعية الاخوان المسلمين . واذكر أنني زرت في هذه الايام الأستاذ المرشد فقال : « إنهم يحرمون على الاخوان النهوض بالدعوة التي أسسوها في ظل الاسلام ، وعملوا لها هذا المدى الطويل ، وليس من المعقول أن تكون هناك جمعية دون أن تكون لها هيئة رأى ، وقد رايت وأرجو أن يوافق الاخوان على ما رايت أن تكون للجمعية هيئة رأى تتحدث في السياسة مستندة إلى نشاط الجمعية ، على أن تكون هيئة الراى هذه مؤلفة من الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام أول سفير لمصر في باكستان ، والأستاذ محمد حسن عشاوى ، والأستاذ الأديب وهيب دوس ، وهذه الهيئة لا يملك أحد أن يعترض عليها لأنها تجمع خلاصة المفكرين في مصر ، ثم لأنها انتظمت مجموعة من الرجال تتوافر بهم لهذا البلد الكريم اسباب الوحدة الوطنية . وكان اختيار وهيب دوس عضوا في هذه الهيئة يعنى الإشارة إلى أن نظام الحكم الاسلامى يتسع لأن يكون ولاية الامر فيه من غير المسلمين . وطبيعى أن هذه الخطوة من المرشد العام لم تقابلها الحكومة بما يستحق من العناية والتقدير فنقلته إلى الصعيد ، أخذا للطريق عليه ، ودفعوا لقوة تأثيره على الناس ، ولكن الرجل كان له في نفوس الذين يختلط بهم ، أو يتحدث إليهم سلطان عظيم ، ولذلك التف الناس به في صعيد مصر بغير فرق بين المسلمين والمسيحيين ، أما المسلمون فقد كان التفافهم به عن طريق أخوة العقيدة ، وأما المسيحيون فقد كان التفافهم به عن طريق سعة تفكيره ، وحسن عرضه للشرعية الإسلامية ، عرضا يضمن للمسيحيين ما لهم من حقوق ، ويدفع عنهم خطر التعصب المقيت .

وبعد حين من الدهر جئنا بالأستاذ البنا إلى القاهرة ، ثم إلى معتقل الزيتون إبقاء لخطره ، وخاصة دروسه في يوم الثلاثاء من كل اسبوع . فقد كانت دروسه في

الحلمية الجديدة يومئذ مهني أرواح الوطنيين ، وربما كان يحضر هذه الدروس كبار في العالم الاسلامي اذكر منهم على سبيل المثال : الداعية الاسلامي العظيم محمد عبد العليم الصديقي ، الباكستاني ، وكان رجلا بصيرا بشئون الاسلام والمسلمين ، وقد نذر حياته للتبليغ بالاسلام في ارض الله ، وكذلك اذكر من هؤلاء السادة : الاستاذ محمد علي الطاهر ، الفلسطيني ، صاحب جريدة الشورى ذات المقر الانيق في شارع الملكة الذي هو الآن شارع رمسيس . وقد كان في دار الاخوان بالحلمية على يمين الداخل جناح صغير اذكر أنه قد نزل فيه لفترة طويلة من الزمن الاستاذ المجاهد الحبيب بوزقبة رئيس الجمهورية التونسية الشقيقة . ومن أبرز هؤلاء الذين لا أنساهم اليمنى الفيوز الشاعر محمد صالح المسمرى ، ولا ينسى الذين ينصفون التاريخ الاستاذ العلامة البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء في الجزائر ، والاستاذ الفضيل الورتلاتي ، وكثيرا من أهل الفضل والغيرة الذين لا نذكر أسماءهم ، ولكن الله يذكرهم في ملا عنده صالحين مخلصين صادقين . وما دام الحديث قد قادنا إلى هذه الأسماء ، فإن من الحق علينا أن نعرف الناس بها . فاما السيد الصديقي الباكستاني ، فإنه كان رجلا أمدته حياته المجاهدة بقوة الفكر والقدرة على استخراج أصدق النتائج من أصح المقدمات ، غير أنه كان - مع ذلك - حريصا أشد الحرص على التقيد بلزوم المثل الأعلى دون انحراف عنه ، لا يبالى في ذلك رضا الراضيين ، ولا سخط الساخطين . وأما السيد محمد علي الطاهر ، فكان عربيا متزنا الفكر مذهب القول يمضي حيث يلتقى مع العقلاء المخلصين ، ويكره الغلو والمتغالين ، فكان رجلا سمحا هادئ الطبع محتشم القول إلا فيما يمس الديمقراطية التي كان يؤمن بها ، والأصدقاء الذين كان يعتز بهم ، فعند ذلك لا تقف ثورته عند حد ، ولذلك اعتقلته الحكومات المصرية ، وضيق عليه الخناق .

وأما السيد محمد صالح المسمرى ، فإنه كان رجلا ثائرا شاعرا ، وقد كان من التأثيرين على الامام يحيى حميد الدين إمام اليمن ، وقد قتل بعد أن فشلت المؤامرة على الامام فحكم عليه بالاعدام . وقد كان لهذه المؤامرة أسوأ الأثر في كل حديث عن الاخوان المسلمين حتى كان الرأي العام في بلاد العروبة والاسلام ينظر إلى جمعية الاخوان على أنها جمعية باطنية يتزعمها رجل لا هم له إلا أن يثير الفتن ، ويسفك الدماء ، وقد شارك في تنمية هذا المعنى الكاذب اعداء الدعوة الاسلامية ، والذين يتربصون بشعوب العروبة والاسلام سوء المصير . وما زال أرياب المطامع في الشرق والغرب يفتنون كل دعوة إصلاح ، ويعملون على إحاطتها بكل ما ينفر الناس منها ، ويشيع في الدنيا سوء الاحدوث عنها حتى يطمع فيها العدو ، وينصرف عنها الصديق . وعلى هذا النحو مضت هذه السنة ، فنالت من الاستاذ المرشد نبلا شديدا وحرضت عليه نوازع الشر العالمي تحريضا شاملا فأصبح - رحمه الله - موضعا لنقد الناقدين وهوى المفسدين ، وهدفا لتآمر المتآمرين سواء في ذلك القريب منه والبعيد

عنه ، لأن الفتن عمياء لا تبصر ولا تتحرى ولا تفكر في العواقب ، ولكنها تسعى دائما إلى شفاء الغيظ بأى ثمن ، ومن أية طريق .

وأما البشير الإبراهيمي فقد كان - رحمه الله - واسع الأفق رحيب الفكر شديد الغيرة ، وحسبه شرفا أنه سيد من سادات جمعية العلماء ، وزميل من زملاء الرجل الكبير بن باديس الذى صان للجزائر المجاهدة كيانهما الحق في اللسان العربى المبين ، والدين الإسلامى الحنيف . ولكى يعرف الناس جمعية العلماء في الجزائر ، ينبغي لهم أن يعرفوا على وجه اليقين أنها هيئة من الهيئات العاملة لخير الجزائر ، لا تستطيع أى هيئة أن تنافسها في هذا المجال الشريف ، ولا أن تدعى أن لها مثلها يدا في توجيه الأمة الإسلامية الجزائرية للصالحات ، وتربيتها التربية العقلية الروحية المثمرة . وهذا النوع من التحرير لا يقوم به ولا يقوى عليه الا العلماء الريانيون ، إذ كان هو الأثر الطبيعى للإصلاح الدينى الذى حملته جمعية العلماء . وبذلك التحرير العقل الذى أساسه توحيد الله والإعتزاز بشريعة الله الإسلامية ، تمكنت جمعية العلماء في الجزائر من توحيد الميول المختلفة والنزعات المتضاربة ، وأسقطت في الأمة أصناما كانت تتبعها باسم الدين ، أو باسم السياسة . لقد جاءت جمعية العلماء في تلك الأمة المجاهدة على عبوس من الدهر ، واستبداد من القوة ، فنفتحت من روح العروبة في تلك الأنساب ، فإذا هي صريحة ، وسكبت من سر البيان العربى في تلك الالسنه ، فإذا هي فصيحة ، وأجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز ، فإذا هي ناصعة بيضاء لم يزلها تقادم الزمان إلا جدة . فجمعية العلماء هي التى حققت للجزائري نسبة العربى الصريح ، بريئا من شوائب الاقاراف والهجنة ، وأحييت في نفسه شعور الاعتزاز بكرامته . وجمعية العلماء هي التى أثبتت للاستعمار الفرنسى أن الدماء البربرية التى مازجت الدم العربى أصبحت عربية بحكم الإسلام ، وبحكم العمومة والخفولة الممتدين في سلسلة من الزمن ذرعا أربعة عشر قرنا من الزمان .

إن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري مع إخوته في جمعية العلماء الجزائرية هم الذين أبقوا للجزائر عروبتها ، وقد أشاع الاستعمار في جوانبها جاهلية بلا مكارم ودنيا بلا روح . ومهما يكن الاخلاف في الجزائر المجاهدة قد بذلوا من أرواح عزيزة غالية وقدموا من تضحيات ، فإن الأساس الذى بنوا عليه جهودهم وجهادهم إنما هو نتاج جمعية العلماء ، وكل عمل تم على يد الاخلاف ، فإنما أساسه وأصله جهد كريم بذله الأسلاف ، فرضى الله عن الشيخ البشير الإبراهيمي ، وعن سلفه العظيم بن باديس ، وعن كل المجاهدين في سبيل الظفر بحريتهم والاعتزاز بكرامتهم التى ليس لأحد فيها فضل ، وإنما الفضل كله لله رب العالمين .

وأما الاخ الفضيل الورتلاني ، فقد كان رجلا حرا في تفكيره ، قادرا على أن يكون عمله صورة لقوله متسقا مع مخبره . ولقد أذكر أنه كان يحدثنى دائما عن

الشرق والغرب حديث الرجل الذى رأى وقرا وتأثر بذلك تأثرا شديدا ، أفاض عليه عشق النظام الديمقراطى ، وأطلق لسانه بالدعوة إلى كراهية الاستبداد والمستبدين ، وبعض أهل العلم يذكرون أنه كان من الذين نهضوا نهوضا واحدا فى فتنة اليمن التى انتهت بقتل المرحوم الامام يحيى وهو فى الطريق يرحمه الله .

## إلى الامام يا روميل

كانت أوروبا شديدة الحق على نازية هتلر فى المانيا وفاشية موسيلينى فى ايطاليا ، وفى احوالها السيئة هذه فاجأ بريطانيا ما لم تكن تتوقع من المصريين الذين كانت تربطهم بها معاهدات ، فإذا شباب هذا البلد يعالنون الانجليز بالعداء ، فيخرجون إلى الشوارع فى القاهرة والاسكندرية هاتقين ذلك الهتاف المريب : « إلى الامام يا روميل » . يحسبون أن تقدم القائد الالمانى سوف يخلصهم من استعمار بريطانيا لبلادهم . وقد بلغ بهم الغباء أن رفعوا الصليب المعقوف ( شعار المانيا ) يبتغون بذلك لفت الأنظار إلى استبدال استعمار انجليزى باستعمار المانى . وقد غفلوا عن حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهى أن الاستعمار كله واحد لا فرق بين بريطانيا و المانيا . وغير ذى حاجة إلى بيان أن هتاف شباب مصر بالقائد الالمانى قد أثار حق الانجليز ، فكان أن أحاطت الدبابات بقصر عابدين ، ووجه المندوب البريطانى « سير مايلز لامبسون » إنذارا إلى الملك فاروق فى الرابع من فبراير سنة ١٩٤٢ وفيه يقول :

« إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتشكيل الوزارة ، فإن الملك فاروقا يتحمل تبعه ما يحدث » .

ولم يستطع الملك أن ينفرد بالتفكير فى هذا الحدث الاليم ، فدعا زعماء الأحزاب ، فاجمعوا رأيهم على أن هذا الانذار مهانة ، وأن هذه المهانة لا تتجه لشخص الملك ، ولكنها تتجه إلى الأمة كلها بغير فرق بين رعية وراع ، ولا بين محكوم وحاكم . وتطورت الأحداث بسرعة دعت الملك إلى اسناد الوزارة إلى المرحوم مصطفى النحاس باشا ، وهنا قال الدكتور احمد ماهر متجها بالخطاب إلى النحاس باشا :

« إنى أكره للنحاس باشا خليفة الزعيم سعد زغلول أن يكون اليوم فى هذا الموقف ، وأرجوكم يا رفعة الزعيم أن لا تقبل الوزارة على هذه الصورة التى لا تليق بخليفة سعد زغلول » .

والذين يعرفون تاريخ مصر الحديث ، لا ينبغي أن يجهلوا احمد ماهر باشا . فقد كان الرجل من رجال السياسة وعلماء الاقتصاد إذ كان قد تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٨ ثم سافر إلى فرنسا فنال الدكتوراة من جامعاتها ، فلما عاد إلى

مصر عين استاذا بمدرسة التجارة العليا ، ثم اشتغل بالحركة الوطنية ، وانتخب سنة ١٩٢٤ عضوا بمجلس النواب ، ثم عين وزيرا للمعارف ، وأنشأ حزب الهيئة السعدية سنة ١٩٣٧ ، ثم انتخب رئيسا لمجلس النواب سنة ١٩٣٩ ، ثم عين رئيسا لمجلس الوزراء في أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، ولكنه قتل في شهر فبراير سنة ١٩٤٥ إذ أطلق عليه المحامي الشاب محمود العيسوي رصاصات بدار البرلمان لأسباب سياسية أشرنا إليها في الصفحات السابقة . وانتهز هذه السانحة لأقرر - لله ثم للتاريخ - أننا شعرنا نحن رجال الأزهر الشريف بأن للوطن العزيز حقا علينا يتعلق بالانذار البريطاني ، فيسر الله لي بصفتي رئيسا لاتحاد الجامعة الأزهرية أن أجتمع بالأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، والأستاذ محمد زكي حسين ، والسيد توفيق عمر ، وبدأنا نستعرض الأحداث ونبحث عن الطريق الذي يفضي بنا إلى قضاء حق الوطن علينا ، فلم نجد إلا أن نكتب منشورا عنوانه « كنا فرتقب » . وقد عاتبنا فيه النحاس باشا عتابا وقورا لا يثير الحفاظ ، ولا يرمى بالخيانة أحدا من المواطنين ، ثم بحثنا عن مطبعة تطبع لنا هذا المنشور فأعيانا العثور عليها ، فألجأتنا الضرورة إلى الاستعانة برجل من رجال الحزب الوطني القدامى هو احمد السراوى الذى كان يعمل ترزيا . وكان من التلاميذ المخلصين لمدرسة مصطفى كامل ، وقد تولى طبع هذا المنشور على الآلة الكاتبة حتى يسر الله لنا الأسباب إلى الظفر بمطبعة في أقصى الصعيد ، وقامت بطبع المنشور الذى كنت قد أضفت إليه أبياتا من الشعر كان كثيرا ما يرددها سعيدا بها الصديق الجليل المرحوم دسوقي باشا أباطلة الذى كان يحتضن الأدباء والشعراء يوم كان وزيرا للأوقاف ، وفي هذه الأبيات قلت متحدئا عن النحاس باشا - رحمه الله - :

أنام على الضيم السيوف المواضيا  
ونام بحضن « اللورد » جذلان راضيا  
وأمسك عن أعداء مصر جهاده  
وارسل في شعبه الحر داميا

ومن حق الذين شاركوا في اخراج هذا المنشور للناس أن نقدمهم للقراء عرفانا لحقهم على الوطن والمواطنين . فأما الأستاذ عبد الرزاق السنهوري ، فإن العالم العربى يعتبره شيخ القوانين الدستورية ، وهو الذى وضع دستور السودان ، وأسس نادى مصر يناقس به كلوب محمد على ، وقد عين وزيرا للمعارف في العهد الملكى ، وكان رئيسا لمجلس الدولة أيام قيام ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ، وقد كان مرجعا مهما في كل القوانين التى سارت في ضوئها الثورة ، ومن أظهر أعماله أنه هو الذى كتب وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش لولى عهده الأمير احمد فؤاد . وقد صحبته إلى السودان لافتتاح برلمان السودان عام ١٩٥٤ فكان موضع التجارة



والتكريم من الشعب السوداني الشقيق . ومما يدعو إلى الأسف الشديد ، أن هذا الرجل العظيم قد اعتدى عليه بالضرب بتحريض من الذين خالفوه في الرأي ، فكان لهذا الاعتداء أسوأ الأثر في أنفس الذين يعرفون أقدار الرجال داخل مصر وخارجها . وأما الأستاذ محمد زكي حسين فقد كان رجلا حقوقيا ، وكان عضوا بارزا في الهيئة التأسيسية للأخوان المسلمين ، وقد عين وكيلا لوزارة الأوقاف في عهد الثورة .

وأما السيد توفيق عمر ، فهو رجل له نشاط سياسي واتصالات واسعة ، وله غيرة وطنية جعلته موضع الحب والتقدير عند الكثير من رجالات مصر المخلصين .

## دعوة إلى المعتقل

وقد انتهى إلى علم البوليس السياسي أنني أنا الذي فكر في هذا المنشور وطبعه على ورق صقيل ، وفي نظام بديع أنيق وبحروف واضحة جيدة ، فلم تجد الحكومة بدا من اعتقالى ، فجاء ضابط من ضباط البوليس السياسي يستدعيني لمقابلة مهمة ، وكان من المصادفات العجيبة الاليمة وجود والدى في تلك الليلة معنا . وكان مثل هذا المنظر الذى جاعنى به ضابط البوليس مما لم يعهده الناس إلا حيث تكون هناك جريمة وأجرام . فلما أخبرت والدى بأننى مدعو إلى معتقل في مصر ليضعة أيام ثم أعود ، لم يملك دموعه وهو الرجل الذى احتمل من شدائد الحياة وقسوة الأيام ما تنوء به شمم الجبال . ثم لم يخضع لها حتى يبكى بل صبر وصابر لا يبالي شدة تنزل به ، ولكنه في هذا الموقف يبكى على مرأى ومسمع من ابنه وزوجة ابنه التى كان يعتبرها بنتا له ، أو أعز بناته عليه .

وقد كان مما يؤلنا جميعا أشد ألم وأبلغه وجود كبرى بناتى ليلي بيننا ، وكانت طفلة لم يجاوز عمرها ثلاث سنين ، ولقد كانت الخطة مرسومة على أن يذهب الضابط بى إلى قسم بوليس السيدة زينب ريثما يعدون لى مكانا أقيم فيه فى سجن من السجون ، أو معتقل من المعتقلات ، ولكن مدير الأمن العام الذى كانت تربطه صلة نسب بأصدقائى من آل خشبة فى أسيوط ، رأى أن المكان اللائق بمثلى هو سجن الأجانب . ولعل الذى حمله على ذلك تقديره لمركزى كزعيم لطلاب الأزهر وحركته منذ سنة ١٩٢٤م . وال خشبة ، هم عائلة تعتز بنسبها العربى ، وهم من أعيان أسيوط ، ولى بهم صلات طيبة منذ أن كنت طالبا فى معهد أسيوط ، فكنا كثيرا ما نحضر حفلات سياسية تقام فى مناسبات شتى .

وقد كان منظر الضابط مع بكاء أبى شديد القسوة على طفلة فى مثل عمر ابنتى ليلي ، فظلت تخشى كل من يرتدى بدلة ضابط . وذات يوم جاء لزيارة الأسرة ابن عم

زوجتى الدكتور عمر دراز الذى كان يومئذ ضابطا طبيا فى الجيش ، فلما رآته ابنتى ليلي صرخت فى وجهه قائلة بلهجة الاطفال : « أنت جاي تأخذ ماما كمان مش كفاية أخذتو بابا » . ولم يسع الضابط الفاضل إلا أن يحمل الصغيرة ، ويبكى وهو يقول لها : « أنا جاي علشان أشوفك ، ونروح نشترى شيكولاتة » .

وأذكر إننى مع حارسى بلغنا سجن الأجانب فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وهناك قابلت لأول مرة وجها بريطانيا شديد العبوس تمثلت فيه « مالكا » خازن جهنم وبوابها . فأمر الرجل لبعض معاونيه بأن يأخذونى إلى الزنزانة التى أعدوها لى فى الطابق الثانى من السجن ، وكانت رقم ٢٧ . وقد كان فى الطابق الأول المربية الكبيرة السيدة نبوية موسى صاحبة مدارس بنات الاشراف ، وكانت معنية بالشئون الوطنية المصرية عناية جعلتها تجاهر بخصوصية النحاس باشا منكرا عليه أشد الانكار قبوله رئاسة الوزارة تحت تهديد الديابات ، وفى ظل الانذار الانجليزى . وكان معها فى الطابق نفسه فتاتان متهمتان بالتجسس ، إحداهما مالطية ، والأخرى فلسطينية . وكان يجاورنى فى زنزانتى الضابط الطيار حسن عزت . وإلى جانب هاتين الزنزانتين كانت هناك ثلاثة يقيم فيها فريد أبو شمادى ، الذى كان له نشاط سياسى بعيد عن الحزبية والأحزاب ، وكانت له علائق طيبة بالقصر الملكى لعلها هى التى أنزلت سجن الأجانب .

## علقة ساخنة للبولندى

وكذلك كان يقيم فى الطابق نفسه رجل يوغوسلافى كان قد اعتنق الاسلام فى السودان وسماه شيخه عبد القادر المكاشفى ، وقد كان متهما أيضا بالتجسس . وكان فى الطابق نفسه شاب بولندى طويل اللسان قليل الادب أرغما سوء أدبه ذات يوم على أن نضربه « علة » ساخنة لقاء وقاحته ، وذلك أنه قال لأحد حراس السجن : « أن الملك بتاعكم حرامى غشاش » . وقد أثارتنى مع زميلى الضابط الطيار هذه الكلمة إثارة شديدة حملتنا على أن ندخل ذات يوم عليه فى زنزانته ندفعه بالأيدي ونركله بالأقدام حتى فقد الوعي أو كاد . وقد اعتبر مأمور السجن صنيعنا هذا عملا يقتضى ابلاغ النيابة العامة به ، فجامنا وكيل نيابة يحقق معنا ، وكانت أجوبتنا كلها تتلخص فى أننا ضربنا هذا البولندى لأننا نرى الملك كالعلم ، فالذى يجترئ على إهانة الملك ، أو رأس الدولة يكون قد أهان علم الدولة ، فلا يملك وطنى صحيح الوطنية إلا أن يخضع لثورة عارمة بين جنبيه تسوقه إلى عقوبة المعتدى على وطنه .

وقد كانت هذه القضية سببا فى إجراء حركة تنقلات فى السجن فنقلنا نحن - أنا وحسن عزت - من سجن الأجانب إلى معتقل ماقوسة فى صعيد مصر . ولما كان سجن

الأجانب لا يقدم طعاما للمسجونين فيه ، كانت أسرتى تبعث إلى يوميا بوجبة غداء ، وذات يوم بعثوا إلى بالوجبة المعتادة مع شقيق زوجتى السيد محمد فريد دراز ، ولكنه لم يجدنى فى السجن ، ولعله كان من حسن حظه اننى لم أكن موجودا لأنه استولى على فرختين اختص نفسه بواحدة ، والأخرى لابن خالته العقيد مصطفى عبد العاطى الذى استشهد فى حروبنا العسكرية . وفى بلدة ماقوسة إحدى بلاد مديرية المنيا أنزلونا فى قصر أنيق ذى حديقة غناء ، وكانت الحكومة تعطينا بدل معيشة ، وكان المعتقلون يمثلون مختلف الطوائف والأحزاب ، وكانت كثرتهم الغالبة من المأخوذین بجريمة الكتاب الأسود الذى كان مكرم عبید باشا يهاجم فيه أعنف هجوم النحاس باشا ، وذلك بعد أن اختلف الصديقان النحاس ومكرم .

## أنور السادات زميل اعتقال

وأذكر من أولئك المعتقلين فى ماقوسة أنور السادات ، وزميلي فى سجن الأجانب الطيار حسن عزت ، والأستاذ عبد الوهاب حسنى المحامى الذى كان حلو الفكاهة قادرا على تقليد أصحاب السلطان فى طريقة أحاديثهم ، وموسى صبرى الذى رأس تحرير جريدة الأخبار ، وعدد من أنصار مكرم عبید باشا أذكر منهم خليل صليب ، ونجيب ناشد ، وجورج الراهب ، وآخرون من الذين اعتقلوا بتهمة الترويج للكتاب الأسود ، والأستاذ عبد المغنى سعيد وكيل وزارة القوى العاملة الأسبق ، وكان من أصحاب الثقافات الواسعة ، وكان أميل إلى المنهاج الإسلامى فى إصلاح شئون المجتمع ، وقد كنا نجتمع معه ويحاضرنا فى أمور شتى بعضها يتصل بالإصلاح الاجتماعى على المنهج الإسلامى ، وله فى هذا عدة مؤلفات منها كتاب « النظام الاقتصادى الإسلامى » ، وكتاب « الإسلام بين الدعوة والعودة » ، وربما كان الداعى إلى اعتقاله انتسابه للاعتزاز بالإسلام ونظمه الاجتماعية والاقتصادية ، وقد كانت الشبهة هى الحكم العدل فى رأى البوليس السياسى دون تثبت أو تحقيق إلا فى القليل النادر . وكان معنا أيضا الدكتور حسن نور الدين ، والأستاذ أنور كامل الذى ميزه الله بقدرة فائقة على الفناء بالانجليزية ، كما يتغنى بها أهلها ، وغير هؤلاء كثير من المواطنين الذين كانوا يمتقنون الاستعمار ، ويعتبون على النحاس باشا موقفه فى الخضوع لتهديد المندوب السامى البريطانى .

وكان المعتقل قليل الغرف ، فأثر المعتقلون - فرارا من حر الصيف - أن يناموا فى حديقته ولهذا فكر ثلاثة منهم فى الهرب وهم : أنور السادات ، وحسن عزت ، ومحمود يوسف الذى كان يرى الحياة سلسلة من الفكاهة متصلة الحلقات ، فكان يضحك للشدة التى تنزل به ، كما يضحك للرخاء الذى تمتد سبله بين يديه ، فقد

كان وكيلا للنائب العام ثم قاضيا ولم يمنعه منصبه من المغامرة وشتم خصومه السياسيين وهو في منصب القضاء .

وقد دعاه ذات يوم أحد أصدقائه لتناول الغداء عنده مع السيد احمد انور الذى كان مديرا للسجن الحربى ، وفيما هم يتناولون الطعام جرى ذكر الرئيس جمال عبد الناصر ، فلم يملك محمود يوسف لسانه فأخذ يسب ويشتم الرئيس ، فلما انتهى الغداء قال له احمد انور : إذا لم تكن معك سيارة فتعال معى ، ومنزلك فى طريقى أوصلك إليه ، ومضى معه محمود بحسن نية ، وانطلقت بهم السيارة ، ولكنه بدلا من أن يوصله إلى داره أخذه إلى السجن الحربى ، ووكل به من الجنود من يقوم بتأديبه ، ثم أخذ المسكين وانهالت عليه الكراييج ، وهو يستغيث ولا مغيث ، وبعد يوم أو يومين روى أن ما ناله من العقاب يكفى فى تأديبه ، فذهب إليه احمد انور قائلا له : اسمعنى صوتك ، وانت تشتم نفسك ، كما شتمت الرئيس عبد الناصر ، وإلا فإنك ستبقى هنا طوال عمرك أو تموت ، ولم يسع المسكين إلا أن يشتم نفسه ، بأقذر الألفاظ .

وبينما نحن فى حديقة المعتقل ، جاءنى الزميل حسن عزت ذات ليلة ، وأحاطنى علما بأنهم سيهربون فى هذه الليلة ، ثم قال : إن القفز من السور هو أول خطوة فى الهروب ، فإذا نجحت الخطة فسنتقى فى القاهرة ، وإذا وجدنا عوائق تحول بيننا ، وبين النجاة من أيدي الحراس ، فسنعود إلى النوم فى الحديقة ونشارك فراشك ومكانك الذى تنام فيه ، فإذا جاعك الحراس وسألك فقل لهم : إننا كنا ننام بجوارك .

وغير ذى حاجة إلى بيان أن السجناء ، لا يكادون يتركون بغير حراسة يقضى ورقابة شديدة ، ومن أجل ذلك أخفق الثلاثة فى الهروب من المعتقل ، فعادوا إلى ما كانوا فيه . وقد كان هذا التصرف سببا فى إثارة قائد المعتقل فضيق علينا الخناق وحاول أن يحرمانا من بدل الطعام ، ومنع نزولنا إلى المستشفيات التى كنا نرى فى النزول إليها فرصة تخفف عنا وطأة الاعتقال . وعلى ذلك النحو نفسه حالوا بيننا وبين ما كنا تعودناه من السير ليلا قبل النوم ، فضاق المعتقلون بهذا التصرف الأحق ، وراوا أن يعلنوا ثورة على حراس المعتقل ، فبدأوا بالقاء بعض الاثاث فى الطريق ليمنعوا حركة السير ، ويثيروا الرأى العام ، وهنا لم تجد نقطة الحراسة وسيلة اشفى للصودر من اطلاق الرصاص على المعتقلين ، وكان الامر جدا لا هزل فيه ، فظلت المعركة قائمة بين الطرفين حتى تدخل اعيان محافظة المنيا فى حسم الخلاف ، وأرضاء الطرفين .

وهنا عاود الزملاء الثلاثة محاولتهم الهرب مرة ثانية فنجحوا ، وكان القدر الاكبر من نجاح الخطة مردودا إلى معونة طيبة من بعض الذين كانوا فى نقطة خفر

السواحل ، أو مركز الهجانة بالقرب من مدينة المنيا ، والمصري مفطور على مساعدة المظلومين .

## اجازة من الاعتقال لتشجيع جنازة الوالد

وبعد عشرة أيام من هذا الحادث ، دعانى قائد المعتقل إلى مكتبه لخبرهم فيما أخبرنى رسوله إلى ، فلما أجيبته أجلسنى على مكتبه ، ودعا لى بفنجان من القهوة على غير ما تعودنا من غلظته وخشونته وسوء أدبه ، وقد لمحت على مكتبه عدة أوراق بعضها برقيات مرسلة إلى المعتقلين من أهليهم ، وقد لمحت فى إحدى البرقيات اسمى ، فاستأذنت الرجل فى أن أقرأ البرقية ، فأذن بعد أن طلب لى كوبا من الماء ، وأخذت أقرأ البرقية ، فإذا هى رسالة من خالى الشيخ حسن أحمد هيكىل ، الأستاذ بالأزهر ، وكان يقضى الاجازة السنوية بباقور ، وفى البرقية أن والدى قد توفى ، فكان طبيعيا أن استأذن مدير المنيا فى أن يسمح لى بالسفر إلى قريتى باقور لأشارك فى تشييع جنازة والدى فأجاب بأنه لا مانع ، وقد أغرانى هذا الجواب الطيب بأن استعد للسفر ، وفى نفسى عاطفتان متناقضتان أشد التناقض : عاطفة فرح لأننى سآرى اولادى وامى ، وعاطفة حزن اليم لموت والدى الذى كان آخر العهد به ليلة اعتقالى والدموع ملء عينيه ، وفيما أنا متهىء للسفر أخبرتنى المديرية بأن وزارة الداخلية ترفض سفرى ، وتلزمنى حياة المعتقل . فلم أجد وسيلة اقرب من أن أبعث ببرقية إلى النحاس باشا الذى كان يعرفنى معرفة شخصية منذ ثورة الأزهر ١٩٣٤ م وقد كتبت اليه - رحمه الله : « إن أشق شىء على نفسى أن أحرم من تشييع جنازة والدى ، كما حرمت من رؤيته وهو يفارق الحياة . وأنتم اعرف بعاطفة الأبناء نحو الآباء ، فأرجو أن لا أحرم من تشييع جثمان أبى إلى مثواه الأخير » .

ولم ألبث إلا قليلا حتى قال لى قائد المعتقل استعد لتستقل آخر قطار يصل إلى اسبوط ظهر اليوم التالى ، وذهبت يصحبنى الحارس إلى باقور ، ولكن بعد فوات الاوان ! ! ثم مضت بنا الايام على ما كنا فيه من ألم وضيق قرابة عامين ، ثم فرج الله كربنا ، فخرجنا إلى حيث يعيش الأحرار فى دنيا الناس .

وقد كان اعتقالنا على هذه الصورة مسبقا باعتقال آخر فى القصر نفسه ببلدة ماقوسة ، وكان يزاملنا فى المرة الاولى الشيوخ الأجلاء : محمد عبد اللطيف دراز الذى نقل من القاهرة إلى مشيخة معهد الزقازيق ، وسليمان نوار شيخ معهد القاهرة ، ومحمود السيد مدير مكتب شيخ الأزهر ، وأنا وكنت آنئذ معاقبا بنقل من معهد القاهرة إلى معهد شبين الكوم فى مديرية المنوفية .

وليس ينبغى التفاضى عن موقف كريم فى هذا المقام كان يقوم فيه العالم الجليل

الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية آنئذ ، وشيخ الأزهر فيما بعد . ففى مقابلته للملك صارحه بأنه يكره لصاحب الجلالة أن يقترب تاريخه بأمانة علماء الأزهر ، وشيوخ معاهده ، وقد حملت هذه الكلمات الملك على أن يصدر أمرا عاجلا للنحاس باشا بالافراج عن العلماء المعتقلين فوراً ، فأفرج عنا بعد اعتقالنا بثمان وأربعين ساعة فكان هذا أقصر اعتقال لى فى حياتى .

## القرشيخ فى دائرة الخليفة

وفى الدنيا التى خرجنا إلى نورها من ظلمات السجون والمعتقلات ، أعلنت الحكومة عن الانتخابات لمجلس النواب سنة ١٩٤٥ ، وقد رايت أن أرشح نفسى لعضوية مجلس النواب ، فتقدمت لذلك فى دائرة الخليفة بالقاهرة ، وكنا أحد عشر مرشحا ، وكانت معركة فريدة بين المعارك الانتخابية ذلك أن أحدا لم يكن يعرفنى فى هذه الدائرة من أبناء الشعب ، وبعد فترة جد قصيرة وقف إلى جانبى أئمة المساجد والأزهريون ، وأكثر الأخوان المسلمين ، وأخذت الدعاية للانتخابات لونا جديدا يثير الانتباه . وقد كان بعض المرشحين يستعين بالمال على شراء أصوات الناخبين ، فقام طلاب الأزهر الذين كنت مدرسا لهم ، وعلماء بين شيوخهم ، وقائدا لحركتهم بمواجهة هؤلاء المرشحين بأسلوب جديد ، فكانوا يركبون الدراجات ويضعون على ظهورهم لافتات كتب عليها بالخط الجميل : « الراشى والمرقشى فى النار » . وهذا اللون من السلوك البعيد عن الحزبية القائم على التزام روح الاسلام ، كان من نتائجه أن يسقط المرشحون دون أن يحصلوا على التأمين ، وأن تكون الاعادة بين مرشحين اثنين : أحمد حسن الباقورى وحمامة الطرابلسى .

ومن الإنصاف للتاريخ ومعرفة الفضل لأهله ، أن أبناء الدائرة كانوا يتكفلون بنفقات السراقات ، كما يعرف ذلك كثير من أهل تلك الدائرة التى كانت تتألف من منطقة السيدة نفيسة والأبجية ، ومنطقة عرب يسار ومنطقة الحلمية الجديدة ، غير أن كل ذلك لم يستطع أن يتغلب على السيارات الحمراء التى كان يشرف عليها ويوجهها رجال الخاصة الملكية . ولم تكن هذه السيارات قد ظهرت للناس الا ليلة الانتخاب ، فقامت فى السرادق الشعبى الذى أقامه أهل الدائرة لى وقلت :

إننى اعتقد أن التجاح الحق ليس مقصورا على الظفر بالأصوات ، ولكن فى الظفر بالعواطف الطيبة التى تحيا فى صدور أبناء مصر العزيزة ، وتهديهم إلى سواء السبيل ، إنى أعاهدكم على أمور ثلاثة - إذا قدر لى أن دخلت مجلس النواب - أحدها : العمل على تقريب الفوارق الطبقيه بين المواطنين ، فليس من الإسلام ولا من الوطنية ولا من الإنسانية أن يكون الشعب طائفتين : طائفة تموت من التخمة ، وطائفة

أخرى تموت من الجوع . فأنهيا : العمل على تقوية أواصر الوحدة الوطنية . وثالثها :  
تحرير البلاد من نفوذ الاستعمار .

وقد وقع ما كنت توقعت ، فنجح منافسى حمادة الطرابلسى بسبب تدخل رجال  
الخاصة الملكية بسياراتهم الحمراء ، ولست أملك بعد هذه الكلمات التى ذكرتها  
الا أن أثنى أبلغ ثناء وأطيبه على شيوخى الذين كانوا من الناضحين فى الدائرة ، وفى  
طليعتهم الشيخان الجليلان إبراهيم حمروش ، ومأمون الشناوى . وببدة أن نتيجة  
الانتخاب بينى وبين منافسى على هذه الصورة قد أثارت سخط الأحرار فى الدائرة ،  
وخاصة شباب الأزهر وطلابه الذين أرقوا أشد إرهاب فى المعركة الانتخابية ثم لم  
يظفروا بالنتيجة العادلة التى كان ينتظروها أهل الدائرة جميعا من مختلف النزعات  
والمذاهب .

## بعثة من عدة رؤساء وعضو واحد

ويبدو أن الحكومة تحاول إزالة هذا الأثر السئ للمعركة الانتخابية ، فاختارونى  
عضوا فى بعثة الشرف الملكية المسافرة لأداء فريضة الحج .

ففى ذات يوم استدعانى السيد إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء  
الاسبق ، وكان يومئذ وزيرا للصحة ، فلما ذهبت اليه حسب الميعاد أخبرنى فى أسلوب  
أديب أنه أختير أميرا للحج ، ثم قال لى : ولقد اخترتك عضوا فى بعثة الشرف  
الملكية ، ولعل فى هذا الاختيار ما يشرح صدرك ، لأننا إن كنا قد ظلمناك فى  
الانتخابات ، فانتا نحب أن نتصافح فى أظهر مكان فى الأرض ، فأسرع فى اتخاذ  
الاجراءات اللازمة فى مثل هذه الأحوال لأن موعد السفر قريب .

ولم يشأ الرجل - رحمه الله - أن يترك هذه الفرصة دون أن يذكر لى أسماء  
الأعضاء الذين تتكون منهم بعثة الشرف وهم السادة : كمال الطرابلسى الذى عين  
أميرا مساعدا لبعثة الحج ، ومحمد عبد الرحمن الجدبلى مدير المساجد ، وحامل  
حصنة الحرمين الشريفين من غلة الأوقاف - وهو ما كان يعرف بالصورة - ثم  
عبد القادر زعتر مدير الحج بوزارة الداخلية ، ثم الشيخ طوموم الذى عين اماما  
للبعثة ، ثم الدكتور مختار عبد اللطيف طبيب الأسنان الذى كان يعرف نفسه بأنه  
ضابط الاتصال بين البعثة والأسرة السعودية الكريمة . وقد كانت مهمة البعثة - قبل  
ذلك كله - أن تعيد المياه إلى مجاريها بين الأسرتين الملكيتين : الأسرة السعودية فى  
المملكة العربية السعودية ، وأسرة محمد على فى مصر ، وكان قد حدث بين  
الأسرتين سوء تفاهم نشأ عنه تعطيل المحمل الذى هو عبارة عن كسوة الكعبة

الشريفة في مكة ، وكسوة الضريح الشريف في المدينة المنورة ، وكذلك وقف « الصُرة » التي كانت ترسل في كل عام إلى الأراضى المقدسة لكي توزع أموال أوقاف الحرمين الشريفين على المستحقين في تلك الأوقاف ، وكان هذا الخلاف بين الأسرتين موروثاً عن السلطان حسين . وسافرت البعثة وكان من المصادفات الطيبة أننا قابلنا في جدة الملك عبد العزيز ، ونحن في ملابس الإحرام .

ومن الطرائف التي يحسن ذكرها في هذا المقام أن كل واحد من أعضاء البعثة كان له لقب يمتاز به ، فقد انتظمت أمير الحج ومساعد أمير الحج وحامل الصرة وإمام البعثة وضابط الاتصال ومدير الحج بوزارة الداخلية ، فلم يكن هناك عضو سوى ، ولذلك لم أجد بد من تصرف ذهب في الناس مذهب الملحة ، إلى جانب أن فيه لونا من العتاب . فعندما استقر بنا المقام في فندق مصري في مكة ، سألت أحد الذين أنست إليهم : إني أحب أن أطبع بطاقة تحمل اسمي وعلمي ، وتدل الناس على شخصي . فطلب إلى الرجل الصيغة التي أحب أن أكتبها في البطاقة ، فكتبت له هذه الصيغة التي أحب أن أكتبها في البطاقة : « أحمد حسن الباقوري المدرس بالأزهر الشريف وأعضاء بعثة الشرف الملكية » . ولم يصدق الرجل عينه ، فسأل : هل هذه البطاقة لك ولأعضاء البعثة ؟ فأجبته أنا أعضاء البعثة ، لأن من غير المعقول أن يكون في البعثة خمسة رؤساء يرأسون عضوا واحدا ، فينبغي أن يكون هؤلاء الرؤساء رؤساء على أعضاء ، وهؤلاء الأعضاء هم الفقير إلى الله تعالى الذي هو أنا .

وقد كانت هذه الملحة تجرى على السنة كثير من الحجاج في ذلك العام من مصريين وغير مصريين . ولقد يسر الله الطريق إلى ما تقربه العيون ، وتشرح له الصدور من عودة المودة إلى ما كانت عليه من قبل بين البلدين الشقيقتين ، وتفضل العاهل السعودي الكبير بقبول دعوة الملك فاروق التي حملها إلى جلالته أمير الحج للتفضل بزيارة مصر . والذين شاهدوا مقدم جلالة الملك عبد العزيز إلى مصر لم يكونوا يتوقعون أن تخرج مصر كلها في شوارع القاهرة التي كان يمر بها موكب جلالته ، حيث كان أملا من أمال المسلمين لحمايته الحرمين الشريفين ، وخدمته مع أسرته الكريمة حجاج بيت الله الحرام ووزار مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وكان من حسن حظي أنني رأيت الملك عبد العزيز في هذا الموسم ثلاث مرات : إحداها في جدة ونحن بملابس الإحرام ، والثانية حين تشرفنا بمقابلة جلالته ورفعنا إليه كتاب الملك فاروق ، والثالثة حين دعى إلى قصر عابدين لتناول طعام العشاء . والحق أن الرجل كان يزداد في كل مرة هيبه إلى هيئته ، فإذا تحدث لم يتجاوز حديثه إلى الناس الإطار الذي تتجلى فيه الدعوة السلفية على ما فيها من جمال وجلال .

وقد نشأ عن لقاء الملكين في القاهرة ما كان ينتظره دعاة الأخوة الإسلامية من المشاعر الطيبة بين الشعبين الشقيقتين . الشعب المصري العريق ، والشعب



السعودى العظيم ، فاختلفت الشائعات التى كانت تجرى على ألسن الناس ، زاعمة أن المملكة العربية السعودية كانت ضائقة الصدر بالحجاج المصريين .

وكان انكشاف هذه الغمة وتبديد تلك المزاعم سببا فى سعادة الكبار من الاخوان المسلمين ذلك أن الأستاذ البنا كان سلفى النزعة وإن يكن صوفى السلوك ، وليس هناك تناقض بين السلفية المعتدلة والصوفية المخلصة ، فإن الجانب العاطفى فى الإسلام مشهود مقدور ، وقد كان الامام الجليل ابن تيمية نفسه - فيما ذكر بن القيم - لا ينكر التصوف ، بأية أنه قال فى هذا الباب شعرا يؤيد ذلك ، وينهض دليلا عليه ، فذلك حيث يروى الثقات قوله رضى الله عنه وأرضاه .

أنا الفقير إلى رب البريات	أنا المستكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى	فمن مجبرى من المستمكن العاتى
وتلك حال عباد الله أجمعهم	فعنده وحده القيت حاجاتى

## ليس نظاما خاصا واحدا بل نظامين

أذكر أن الأستاذ المرشد حين عاد من آخر حجة حجها كان سهل القيادة حريصا على أن يسمع لكل متحدث إليه ، ذلك أنني كنت بين مستقبله ، فقال لي لأول ما صافحته ، لقد استقبلنا القبر الشريف بنشيد الإخوان الذي نظمته ، ولقد وقع في نفسي أن في ذلك بشرى طيبة لك . فحمدت الله وحمدت له هذه المكرمة ثم قلت له : إن لي اليك رجاء اعتقد أن فيه خيرا كثيرا للإسلام والمسلمين ، ثم لمصلحة الدعوة ، وهو أن تذهب مع من تشاء لتقييد اسمك في سجل التشريعات الملكية بقصر عابدين . فابتسم الرجل ابتسامة الذي يعرف ما تعنى هذه الكلمة في هذه الحال ، وقد استجاب فعلا ، وذهب إلى القصر ، وقيد اسمه استجابة لرجائي الذي لم أقصد به الا مطاردة الاشاعات المغرضة التي كانت تتغيا وضع الإخوان المسلمين موضعاً يسر العدو ويسوء الصديق . ذلك أن الذين كانوا يتتبعون الأحداث في الأربعينات ، لم يكن يخفى عليهم أن يروا سلسلة من الفجائع يلصقها أعداء الحق بجماعة الإخوان المسلمين ، وهم يبتغون بذلك أن يضعوها في الموضع الذي يعرضها للمحن التي لا تسعد بها دنيا ، ولا يرضى عنها دين .

وأول تلك الأحداث الفاجعة ، نسف محلات شيكورييل ، ثم نسف شركة الاعلانات الشرقية ، ثم فجعة سينما مترو ، وهذه الأحداث الفاجعة تقع في مصر ملاذ الإسلام ، ومعاد العروبة . وغير خفى على البصراء بشئون الاجتماع البشري أن سواء الناس وعامتهم ، لا يعنون بتحري الحقائق ، ولكنهم يقنعون أبدا بالشائعات التي ترضي خيالهم مهما تكن بعيدة عن الحق أو قريبة منه ، فكَذَلِكَ قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

أنظر الشعب ديون كيف يوجون اليه  
ملا الأرض هتافا بحياتى قاتليه  
يا له من ببغاء عقوله في اذنيه

وحقيقة أخرى لا تخفى على أهل البصر أن شعبنا في مصر كان يعتبر الإخوان المسلمين - هم المسئولين عن هذه الفواجع مهما يكن موقف الجماعة منها رضاء بها

أو سخطا عليها . ولعله لا يخفى على أهل النظر أنه إذا اشتهر انسان بمعنى من المعانى ، فإن الناس ينسبون إلى هذا الانسان كل معنى يليق به ، ولو كان بريئا منه براءة الذنب من دم يوسف عليه السلام . وكان الرأى العام في تلك الفترة من الزمان ينسب الأحداث المثيرة للرعب إلى جماعة الاخوان المسلمين ، فهم الذين نسفوا محلات شيكوريل ، وهم الذين حاولوا نسف حارة اليهود ، وإن كان الواقع غير ذلك ، فذلك هو شأن الناس في كل زمان ومكان . ومما يأكل القلب حرقه وأسى أنه في أثناء هذه الفترة من اختلال الأمن ، قتل الخازندار القاضى فى المحاكم الاهلية على باب داره فى حلوان فزعم الناس - مسايرة للحقيقة الاجتماعية - أنه إنما قتل بيد الجهاز السرى لجماعة الاخوان ، ثم زعموا ما هو شر من ذلك ، وهو أن هذا القتل كان بتحريض من الأستاذ البنا ، مع أن الأستاذ رحمه الله كان يقول فى صراحة لا تحتمل التأويل : إنه لم يأمر بذلك ، ولا أشار به ولا رضيه فى تصريح أو تلميح ، ولكن الناس كانوا يصمون أذانهم عن هذا القول الصريح لأنهم عرفوا أن القاتلين حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم ، من شباب الاخوان المسلمين . ثم كيف يستقيم فى ذهن طالب الحق أن يستحل حسن البنا دم مسلم ، وهو يروى عن أم سلمة - رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتكرهون ، فمن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم . ولكن يصعب على طالب الحق أن يرضى بما يزعمه بعض قصار النظر من أن الأستاذ المرشد كان قد حرص على قتل القاضى الخازندار .

ومادام الحديث حديث النظام الخاص ، فاننى ابدا من ذلك بأن أقرر - لله ثم للتاريخ - أن نشاطى فى جماعة الاخوان المسلمين ، لم يجاوز المحيط العام خطيبا فى محفل أو مسجد ، فلم يكن لى علم بالانظمة السرية بوجه من الوجوه ، ومبلغ علمى أن النظام الخاص الذى يسميه بعض الناس بالجهاز السرى إنما أنشئ لتدريب الراغبين فى الجهاد عن طريق العمل الفدائى فى فلسطين أولا ، ثم فى مصر ضد الاحتلال البريطانى لمنطقة قناة السويس .

ولقد تكلم الأستاذ المرشد كثيرا عن شعوره إزاء الاحتلال الأجنبى فى منطقة القناة ، ولا ريب فى أن مقاومة الاحتلال هنا وهناك كانت تستلزم فتح باب العمل الفدائى ضد قوات الاحتلال ، وكذلك فعل الاخوان ، فقاموا بأعمال رائعة فى ميدان الجهاد فى فلسطين ، وفى معارك القناة ، وقد شهد بروعة هذه الأعمال وارتقائها إلى مستوى البطولة جميع الذين عاصروا هذه المعارك من رجال الجيش ، ومن أبناء فلسطين ، وليس ينسى الناس تلك الكلمة التى كان يتحدث بها الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين وزعيمها فيقول فى صدق المجاهد : « إن اليهود ليسوا فقط فى فلسطين ، ولكنهم كذلك فى مصر ، وفى كثير من البلاد التى لهم فيها نفوذ » .

وقد كان جبل المقطم ساحة للتدريبات على استخدام الأسلحة فكان شباب النظام يتدرب على صورة تكاد تكون علنية ، وكان يقوم على تدريب بعض هذه التشكيلات الفدائية بعض الضباط في القوات المسلحة من أعضاء النظام الخاص ، ومن بينهم جمال عبد الناصر ، وهذه الحقيقة يعرفها كثير من الاخوان ويستطيع الحاج حسنى عبد الباقي - وهو علم من اعلامهم - أن يوضح أمرا يعرفه أصدق المعرفة ، فقد كان يستضيف مجموعات من أولئك الفدائيين في قريته بين أسماع الناس وأبصارهم ، ولذلك أصبحت أنظمة الحركة تعيش في أثناء هذه التدريبات وعين الحكومة تتابع هذه الأحداث ، وتتربص الظروف التي تهىء لها الإمساك بهؤلاء الفدائيين .

وليس يجهل أهل الرأي من الاخوان أن من أهم هذه المجموعات التي كانت تقوم بالتدريب في جبل المقطم هي المجموعة التي كان يديرها المهندس سيد فايز الذي قتله النظام الخاص بعد أن أنشق بعضهم على بعض - وقد كانت طريقة قتله تجافي المروءة والدين وتبعث الاسى في أنفس الذين يحترمون مولد رسول الله ، ذلك أن الذي قتله تحرى ذكرى المولد النبوى الشريف فبعث اليه في بيته صندوقا من حلوى المولد ، فلما حاول فتح الصندوق انفجر في وجهه فقتله ، وقتل أخاه الأصغر الذي كان يقف بجانبه ، وقتل بنتا صغيرة كانت تسير في الشارع الذي يقع فيه مسكنه مع أسرته .

وقد كان هذا القتل يدرج مجموعة من الفدائيين في جبل المقطم ، وكانت قد وقعت هذه الجماعة في قبضة رجال الأمن ، ومعهم الأسلحة وسائر ما يحتاج اليه التدريب . فاتصل المرشد العام بالحاج أمين الحسنى طالبا اليه أن يتدخل بحجة أن هذه التدريبات إنما كانت من أجل فلسطين ، وذلك حق ، وقد قرر المقبوض عليهم هذه الحقيقة في التحقيق ، فأفرج عنهم ، وسلموا الأسلحة وسائر الأجهزة للهيئة العربية العليا لفلسطين ، ثم سلمت هذه الهيئة الأسلحة إلى الفدائيين ، فعادت بذلك إلى النظام الخاص . وكان طبيعيا أن تدون أسماء الذين أفرج عنهم في سجلات التحقيق ، كما كان طبيعيا أيضا أن يستولى رجال الأمن على جميع ما كان معهم من أوراق كانت مفتاحا إلى معرفة أعضاء النظام الخاص باسمائهم الحقيقية واسمائهم الحركية .

## حقيقة صلة عبد الناصر بالإخوان

وجملة ما علمته من بعض أهل الثقة ، ومن مذكرات بعض الاخوان أن جمال عبد الناصر كان قد بدأ صلته بالحركة قبل ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ بسنوات طويلة ، وتحديد هذه المرحلة يعرفه الأخ عبد المنعم عبد الرؤوف زميل عبد الناصر في الجيش ،

وفي حركة الاخوان . وقد ارتبط بالنظام الخاص الاول يعمل في صفوفه فيدر بهم ويخرج معهم في رحلاتهم ، وكان يستضيفهم الاخ الحاج حسن عيد الباقي في قريته « الرقه » من بلاد مركز الصف بالجيزة ، ولم يكن عبد الناصر لينسى الحاج حسنى في ضيافته له في قريته ، فكان جزاؤه على هذه الضيافة ان اوصى به خيرا . وهو في السجن الحربى ، كما اوصى بالبحث عن الاسلحة التى كانوا يتدربون عليها في كل مكان مهما كلفهم ذلك .

وقد عاش الاخ عبد الناصر في النظام الخاص الاول فخيرهم عن قرب ، وعرف افكار قيادتهم ، ووقف على مدى قدرتهم وثقافتهم ، وخاصة المسئول عنهم - الاخ عبد الرحمن السندى - وكان الاخ جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الاخ عبد الرحمن السندى ويعرف أسلوبه الذى كان يعمل به في النظام الخاص ، وأن هذا الأسلوب كان يقوم على السيطرة المطلقة مع انه ليس على مستوى ثقافى وفكرى يؤهله لهذه المسئولية . ولذلك رفض عبد الناصر ان يعمل تحت رئاسة عبد الرحمن السندى - وان ظل على صلة به بعد ذلك - ولكن على أساس من التعاون بينهم ، على ان يكون الاستقلال لعبد الناصر وجماعته ، وأن يكون التعاون في بعض القضايا والمواقف التى يرى عبد الناصر التعاون فيها . وما كان هذا ليرضى عبد الرحمن السندى ، ولهذا كان عبد الناصر يزور السندى في مستشفى قصر العينى وقت أن كان يعضى فيه عقوبة السجن في قضية سيارة الجيب . وكان ذلك في شهر يونيه من عام ١٩٥١ . وقد مكث عنده في هذه الزيارة وقتا طويلا يقول فيه بعض أعضاء النظام : إن هذه الزيارة كانت فاصلة في التفاهم بينهما .

وقد كان أول لقاء تم بينهما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ عند قبر الشهيد حسن البنا حين أدى جمال عبد الناصر صلاة الجفنة في مسجد الامام الشافعى ، ثم ذهب لزيارة قبر الامام البنا ، وقال كلمته المشهورة يخاطب الاخوان الذين كانوا في السراى لا تظنوا أيها الاخوان المسلمون أنني اجنبى عنكم ، فإنى واحد منكم .

وهنا يقول بعض الاخوان ، إن الاخ عبد الناصر كان يعمل في النظامين ، النظام الذى يرأسه الاخ السندى ، والنظام الذى يرأسه الاخ صلاح شادى . ولم يكن تفكير عبد الناصر بعيدا عن تفكير الامام البنا رحمه الله ، فلو كان قد امتد به العمر ، لكان قد قرب اليه الاخ صلاح شادى ، ووكل اليه أمر النظام الخاص .

وسبب ذلك مواقف كثيرة نذكر منها : أن عبد الرحمن السندى اتخذ منفردا برأيه قرارا بمقتل القاضى الخازندار ، وكذلك رفض التعاون مع الاخ صلاح شادى عندما حاول الامام الشهيد توحيد قيادة النظامين بعد مقتل القاضى الخازندار . وسبب ثالث أهم من هذين السببين ، وهو قيام الاخ السندى بضرب شركة الاعلانات الشرقية دون الرجوع إلى الاخوين صالح عشماوى ، والدكتور حسين

كمال الدين ، كما جاء ذلك على لسان الاخ الدكتور حسين كمال الدين في حضور الاخ الدكتور كمال خليفة . وربما كانت هناك أسباب أخرى عند الامام الشهيد يعلمها هو بحسه وفطنته ، ولم يفصح عنها لاحد ممن حوله . غير أن الذين كتبوا عن الامام الشهيد ، وعن نظام الجماعة العام والخاص ، هم بلا ريب من الثقات العدول ، ولذلك أخذ عنهم مطمئنا إلى كل كلمة يقولونها وفي طليعتهم السادة الاخوان : صلاح شلبي ، ومحمود عبد الحليم ، وعبد الحفيظ الصيفي ، وحسن عشموي وغيرهم .

ولو كنت قد علمت هذا عن طريق الاتصال بهذه الأحداث ، لما وجدت أدنى حرج في أن أذكر ما ذكرت ، وأنا اسنده إلى نفسي ومعلوماتي الخاصة لأن التاريخ أمانة يسأل الله عنها عباده المؤمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

على أن من الحق الذي لا ينبغي كتماننا أن مجاهدة المعتدين لم تكن مقصورة على جماعة الاخوان المسلمين بل لقد شاركهم في ذلك الجمعية الشرعية بزعامه الشيخ محمود خطاب السبكي - رضي الله عنه - كما أخبرني بذلك الاستاذ المرشد حسن البنا ، ذلك أن مجاهدة الغاصبين والمستعمرين عمل تزكية الفطرة ، وتحرص عليه الشريعة ، والتدريب على استخدام أجهزة الجهاد ، هو أول الطريق إلى مجاهدة الأعداء . وسند ذلك ما أخرجه في التيسير عن عقبه بن عامر من أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة . صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله - الذي يناوله لمن يرمى به - فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، كل لهو باطل ، ليس من اللهو محمود الا ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعدما علمه ، فانهما نعمة كفرها .

فإذ قد كانت مجاهدة الغاصبين والمستعمرين أمرا موصولا بالدفاع عن الحرمات ، وصيانة المقدسات ، فقد كان طبيعيا أن يكون كل ذي دين حريصا على التدريب يستوى في ذلك الغرض جماعة الاخوان المسلمين ، والجمعية الشرعية السبكية .

## مقاتلة المواطنين . . أمر كرهه الرسول

بيد أن ما هنا وقفة لا نرى ندحة عن الإشارة إليها ، وهي أن الانحراف عن هذه الغاية المشروعة في قتال الغاصب المحتل إلى غاية أخرى تتحرى مقاتلة المواطنين أمر كرهه للمسلم رسول الله ﷺ بقوله الشريف الذي نهى فيه عن قتال المصلين ،

فاذا اقدم مسلم على قتل أخيه الذى انقاد لشرائع الإسلام ، فإن ذلك بلا ريب خطأ فى الاجتهاد ضرره أكبر من نفعه ، وشره أكثر من خيره ، فاذا جاهد الرجل مفتصباً لبلده ، أو معتدياً على مقدساته ، فإن ذلك أمر تزكیه الفطرة ويرضاه الدين . فأما إذا خيل له أن مجاهدة مواطنيه ، أو ولى الامر فى بلده ، فشر سلاحه فى وجهه ، فإن ذلك صدق فى المروءة ووهن فى الدين . ويتمثل هذا الفرق بين هاتين الصورتين من صور الجهاد . قتال الغاصب المحتل ، وقتال المواطن الأعزل ، يظهر الفرق غاية الوضوح بين مجاهدة العدو ومقاتلة الغاصب وبين الاعتداء على الأمنين العزل من كل سلاح يدافعون به عن أنفسهم ، فقتل رجل يؤدى عملاً لبلده مثل القاضى الخازندار هو بلا ريب عمل ياباه المصلحون الذين يحرصون على التقيد بالتزام حدود الله ، ولذلك تقع الكلمة التى قالها المرشد حسن البنا أحسن موقع فى نفس كل ذى دين ، حيث قال بعد أن بلغه مقتل القاضى الخازندار على رأى ومسمع من كثير من المواطنين :

« إن هذه الرصاصات التى أطلقت على الخازندار إنما أطلقت فى صدرى » .

ولم تكن هذه الكلمة الصادقة التى قالها الأستاذ المرشد أمراً ناشئاً من فراغ ، فانه كان قد قال من قبل فى معرض الوصايا لرجال الدعوة كلمات كنت قد دونتها يومئذ لقوة أسلوبها وحلاوة نظمها إذ قال رحمه الله :

« أيها الاخوان المتحمسون ، اسمعوا منى كلمة عالية مدوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا ، إن طريقكم مرسومة خطواتها موضوعة حدودها ، ولست مخالفًا هذه الحدود التى اقتنعت بها كل الاقتناع مؤمناً بأنها أسلم طريق للوصول إلى غايتنا . نعم قد تكون طريقاً طويلة لكن ليس هناك غيرها ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقتطف زهرة قبل أوانها ، فليعلم أننى لست معه فى ذلك بحال .

أيها الاخوان : الجموا عواطفكم بمنطق عقولكم ، والزمو الخيال صدق الحقيقة ، والواقع ، ثم اكتشفوا الحقائق فى ومضات الخيال . ولا تميلوا كل الميل هنا أو هناك ، ولا تصادموا نواميس الكون فانها غالبة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها إلى ما ينفع ويفيد . ثم استعينوا ببعضها على بعض ، واحذروا أن تغامروا بجهودكم فتصبحوا حيارى فقدوا الطريق . وهيهات أن تنهيا لكم السبل إلى ما تنتفعون به فى دنيا أودين » .

فهذه كلمات بيّنة الدلالة واضحة الغاية ليس اليها سبيل لتبديل أو تأويل ، فاذا لم يسمعها الناس على ما ينبغى لها فخالقوها - متعنتين أو متأولين - فليس الذنب فى هذه الحال ذنبه ، ويظلم الحق أحسن ظلم من يحمل المرشد تبعه قتل أو نسف أو تخريب . وليس فى الوسع أن نتغاضى عن أثر هذه الأحداث فى نفس الحراس على أمن الشعب وكرامة الدولة ، فإن الحكومة القائمة آنئذ وجدت نفسها فى موقف حرج

امام معارضيهـا من الاحزاب ، وامام مؤيديها من الشعب ، فلم تجد بدا من أن تتصرف تصرفا يستبقى لها بعض الكرامة في أنفس الناس ، وكان مما يسر لها السبيل إلى استبقاء بعض هيبتها سقوط سيارة الجيب في قبضة رجال الأمن ، فقد يسرت هذه السيارة السبيل امام الحكومة إلى معرفة اسرار النظام الخاص باوراقه ، واسماء اعضاءه ، وبعض معداته ، وقد قالت لهم الاوراق والمستندات التي وقعوا عليها هذا هو النظام الخاص للحركة ، وهذا هو رئيسه والمسئول عنه عبد الرحمن السندى ، فالتقى القبض على كثير من أعضاء النظام وفي مقدمتهم المسئول عنه ، وادخلوا السجون ثم قدموا للمحاكمة بترتيبهم السرى ، وبذلك تنفست الحكومة الصعداء ، وأخذت تعد قرارها بحل جماعة الإخوان المسلمين . ولم يعد النظام الخاص بكل وسائله قادرا على حماية الحركة ونظامها العام ، كما كان يقرر ذلك لنفسه عن نفسه . وفي هذه المرحلة التي وقعت فيها كل هذه الأحداث الاليمية تحركت السلطة الحاكمة يظاهرها الراى العام في الداخل والخارج ، فأصدر رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى باشا قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين .

## بعض أعضاء مكتب الإرشاد لا يعلمون !

وبسقوط سيارة الجيب في قبضة رجال الأمن انكشف امر النظام الخاص بالإخوان المسلمين ، انكشاف الحقائق التي لا سبيل إلى انكارها ، فاستولت الدهشة على النفوس ، وفي مقدمة الذين استولت الدهشة عليهم بعض الأعضاء في مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية فراحوا يناقشون أمر النظام ويتساءلون عن قيامه في حركة الجماعة فيقولون : هل تحتاج الحركة في تحقيق اهدافها إلى قنبلة ومسدس ؟ أو تحتاج إلى علم وثقافة ؟ ثم هل هى في حاجة إلى من يحميها من خصومها واعدائها ؟ أو أنها في حاجة إلى منهج واضح لفكر سياسى واقتصادى يضعها موضعا تتمكن فيه من الاستيلاء على عقول الناس وعواطفهم حتى يقبلوا عليها إقبال الراغب في اصلاح المجتمع اصلاحا يقوم على تمكين قوة الديمقراطية ، ودعم قواعد العدل ورفع الوية السلام ؟

ولكن الذين كانوا يتحاورون لم يستطيعوا أن يصنعوا شيئا يغير الأوضاع ، إذ اصررت قيادة النظام الخاص - بزعامة السيد السندى - على بقاء النظام على الرغم من إنحداره إلى تصرفات ضارة ، وحوادث فاجعة ارتكبتها النظام دون الرجوع إلى الاستاذ البنا الذى كان هو وحده المسئول امام الراى العام ، وامام جميع الإخوان عن كل ما يأتية النظام ، ولذلك - رأى رضى الله عنه - أن يفحى الأخ السندى عن رئاسة النظام لولا يتابع الأحداث المؤسفة تتابعا شغله عما يريد .



ومما ضاعف متاعب الإمام الشهيد أنه كان بين الأخوين شادى والسندى سوء تفاهم حاول الأستاذ المرشد أن يزيله ، فلم تمتد له إلى تلك الغاية الشريفة سبيل .

## نظام خاص آخر

وكان الأستاذ صلاح شادى شديد الولاء للأستاذ المرشد ، وكان موضع ثقته حتى ولاه رئاسة قسم الوحدات الذى كان يقوم بنشر الدعوة بين جنود الجيش وضباط الصف تحت إشراف وتوجيه المرشد العام ، وقد ضم الأستاذ صلاح إلى هذا القسم مع بعض ضباط البوليس ، فأصبح هذا القسم هو النظام الخاص الثانى فى الجماعة الذى يتعاطف مع الإخوة : منير دله ، وحسن عشاوى ، وعبد القادر حلمى عديل الأخ حسن عشاوى ، والأخ صالح أبو رقيق ، والأخ فريد عبد الخالق ، وهم جميعا من أقرب المقربين إلى الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين ، كما ظلوا أقرب المقربين أيضا إلى الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام الثانى للإخوان المسلمين .

وبتدبر هذه المعانى يبدو على غاية الوضوح أن جماعة الإخوان المسلمين كانت تتألف من التنظيم العام للجماعة ، وإلى جانبه النظام الخاص الذى كان ينتظم شعبتين :

شعبة يرأسها عبد الرحمن السندى ، وشعبة أخرى يرأسها الأخ صلاح شادى . ولا ريب فى أن هذا الإزدواج كان أمرا تضيق به صدور المصلحين الذين يقوم عملهم الأصيل على توحيد الكلمة بين العاملين . ولذلك حاول الأستاذ المرشد العام حسن البنا أن يوحد قيادة النظام الخاص حتى لا يتفرد السندى باتخاذ القرارات دون رجوع إلى المرشد ، فدعا إليه الأخ صلاح شادى ، ثم طلب إليه أن يصحبه إلى منزل السندى الذى كان يجتمع فيه مندوبو النظام فى القاهرة والأقاليم ، غير أن السندى رفض أن يحضر الأخ صلاح شادى هذا الاجتماع .

وهذا - بلا ريب - موقف غريب لا مناص من اعتباره تمردا على قرار اتخذه رأس الدعوة ومرشد الإخوان حسن البنا ، وإذا كان المجتمعون قد أيدوا السندى فى موقفه هذا ، فإن ذلك لا يعنى إلا أن إنشقاقا قد حدث فى صفوف الجماعة ، ولم يكن فى وسع الأستاذ البنا أن يعلن إلى الإخوان هذا الموقف حتى لا يوجد فرقة أو خلافا ، وخاصة وأن السندى ومن معه كان لهم رأى فى الأخ صلاح شادى ونظامه ، فكانوا ينكرون وجوده أصلا .

وإن من أعجب العجب أن السندى فى موقفه هذا لم يكن يلاحظ الظروف

الصعبة التى واجهت المرشد العام بسبب تحرش الحكومة بالجماعة واضطهادها إياها . وذلك تصرف غريب ربما حمل على سوء الظن به ، وخاصة إذا اقترن ذلك بما كان يشاع عنه من أنه يتخذ القرارات الخطيرة من نفس ، وقتل دون الرجوع إلى المرشد العام . إذ كان هو الذى حكم على القاضى الخازندار بالإعدام ، وكان هو الذى أمر بنسف شركة الاعلانات الشرقية ، فهذان الأمران لم يكن ليرضى عنهما من يؤثر مصلحة الدعوة ، ويلتمس لها السبيل إلى أن تبلغ غايتها فى إصلاح المجتمع على أسس صالحة يرضاها الله تعالى لعباده المؤمنين .

وقد كان من نتيجة هذه التصرفات والخلافات أن الأستاذ المرشد بدأ يعيش فى جو من القلق الاليم ، ويحتمل عينا ثقيلا من هم مقعد مُقيم ، فقد اصطلح عليه أمران تنوء بهما الرواسى ، وهما خشيته على الدعوة التى أنفق فيها عمره ، وابتغى فيها ثواب الله العظيم فى الدنيا والآخرة ، ثم خشيته على وطنه أن تشتعل فيه نار الفتنة التى تعرضه لإستبداد الحاكمين واستغلال المحتلين . وقد كان نصب عينيه - رضى الله عنه - أن الأمم الاستعمارية ذات منهاج واحد ، وأن بعضها يأخذ عن بعض ، وقد صنعت فرنسا فى الجزائر بجمعية العلماء ، ورئيسها بن باديس ما يتأبى تصويره على الخيال ، ثم جاءت على أثرها إيطاليا فصنعت بالوطنيين الصادقين - فى ليبيا - وفى طليعتهم عمر المختار ما لا قبل لأدمى به ، ولا قدرة لإنسان على احتماله .

ولم يكن ذلك الذى صنعت فرنسا ، ولا هذا الذى صنعت إيطاليا إلا نكاية بالإسلام وأهله . وإن يخالجك الشك فى أن الأستاذ المرشد كان يعرف من أخبار الجزائر وليبيا والسودان ومصر ما نعرفه نحن اليوم ، لأنه كان كثير القراءة شغوفا بالكتب التى تثمرها المطابع . وقد كان الحاج مدنى الكتبى بمنطقة الأزهر لا يكاد يرى فى دور الإخوان المسلمين إلا وفى يده كتاب يقدمه للمرشد . وتجار الكتب لا يكاد يخفى عليهم كتاب ، فهم أعرف بالكتب من كثير من العلماء والمتعلمين .

وقد توقع الأستاذ البنا شرا ينزل به ، أو بجماعة الإخوان المسلمين معه ، فأخذ يحتاط فى كلماته ، وفى تصرفاته ، وفى رحلاته داخل البلاد وخارجها ، مع علمه بأن الحذر لا يدفع القدر ، والله تعالى يقول : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

إن أحدا لا يشك فى أن جماعة الإخوان المسلمين أقوى جبهة كانت تعمل للإسلام ، ولإصلاح شئون المجتمع المصرى فى ظل الإسلام ، وقد كانت فى أطوارها المختلفة تجاهد المستعمرين والمغتصبين ، وتدعو إلى مجاهدتهم كلما تهيأ لها إلى هذه الدعوة سبيل ، ومن هنا كان يتوقع كل ذى نظر بعيد أن أمرا خطيرا لابد أن يقع بالإخوان استنادا إلى أن الاستعمار طريقته واحدة يقتدى بعضها ببعض ، وكما صنعت فرنسا بجمعية العلماء فى الجزائر ، وكما صنعت إيطاليا بالمجاهدين فى

ليبيا ، فلابد أن تصنع بريطانيا بجماعة الإخوان المسلمين في مصر . إذ كانت جماعة الإخوان ذات صلات وثيقة بجماعات المجاهدين في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وكانت مجاهديها في مناهضة الفاسيين والمستعمرين ، لا تقل في موازين الاستعمار عن مجاهيد الأحرار المجاهدين في الجزائر وليبيا وسائر بلاد المغرب العربي الإسلامي .

وقد وقع ما كان يتوقعه أهل النظر الصحيح فنشطت بطانات السوء منتهزة سوانح الفرص في مختلف صورها للإيقاع بجماعة الإخوان ، وإيفار صدور الحاكمين عليها عن طريق تذكيرهم بالأحداث التي تخرج الحكم وأهله ، وتوقع الشعب المصري في فتن عمياء ينفخ في نارها المتربصون بالوطن العربي في مصر ، وفي كل بلد عربي تربطه به صلة من وحدة الفكر ، واتحاد المصير .

## حل جماعة الإخوان

ولا شك أن النقراشي باشا - رحمه الله - كان يعرف منزلة الإخوان معرفة كاملة ويعرف مع ذلك أن الفاسيين المحتلين لبلاد الإسلام كان من أعز أمانيتهم أن يروا جماعة الإخوان موضع اضطهاد الحكومة بحيث لا يبقى لها نشاط يثير أنفس الشعوب على الاستعمار والمستعمرين ، وعلى كل من يستجيب دعوتهم ، أو يجري في طريقهم .

وغير خفى على المؤرخين لحركات التحرير أن النقراشي باشا قد بدأ مع زميله أحمد ماهر باشا حياتهما السياسية فدائين ينتميان إلى « حركة العيد السوداء » التي كانت تغتال رؤوس الاستعمار الإنجليزي في مصر والسودان ، ولا شك أيضا في أن الرجل كان يعلم علم اليقين أن الانتصار للمبدأ لا يبالى الشدائد التي تنزل بأصحاب المبادئ مهما اقتضاهم ذلك بذل الغوالي من الدم والمال ، ولذلك كان من العجيب أن يذهل النقراشي باشا « الفدائي » عن إدراك هذه الحقيقة ، وهو يتهاى لحل جماعة الإخوان المسلمين الذين كانوا يرون الانتصار للإسلام بدعوتهم أعز وأقدس من انتصاره هو وزملاؤه للحركة الوطنية ، فإذا كان مبدؤه قد هوّن عليه بذل نفسه في سبيل القضية الوطنية ، فإن مبادئ الإخوان المسلمين لابد أن تهون عليهم بذل أنفسهم في سبيل حمايتهم للعقيدة التي هي في الواقع أعز وأقدس من كل عزيز مقدس في دنيا الناس . ومن هنا يعجب الإنسان أشد العجب من اعتقال الإخوان المسلمين في أثناء عودتهم من حرب فلسطين ، وهم الذين ارتقوا إلى مرتبة البطولة في تلك المعارك الشرسة ، كما يقرر ذلك رجال قواتنا المسلحة ، وأهل الغيرة على الوطن في سائر أقطار العروبة والإسلام .

وايا ما كان الامر ، فإن الكارثة قد وقعت ، وأصدر النقراشى قراره المشنوم بحل جماعة الإخوان المسلمين ، ثم اتبع ذلك تصرفا آخر ادخل في باب الشفاعة من قراره حل الجماعة ، وهو قراره بتصفية موجودات الإخوان وممتلكاتهم على أسلوب يثير الحفاظ ، ويوقظ الضغائن في صدور المتحمسين من شباب الإخوان المسلمين . وقد كان من شأن هذا التصرف أن يحمل المتحمسين من شباب الإخوان على أن يلقوا السيئة بسيئة مثلها أو أكثر سوءا منها ، ولو أن إضطهاد الجماعة كان قد إقتصر على حلها دون المعالنة بتصفية ممتلكاتها لكان الخطب اقل سوءا وأيسر احتمالا ، ولكن إيقاع الأمرين : الحل والتصفية حمل المتحمسين من الشباب على أن يتصوروا النقراشى معتديا على الإسلام ، ومعلنا الحرب على المسلمين ، فقرر نظامهم الخاص أن يثاروا لأنفسهم أو لجماعتهم . فكان ما أراد الله أن يكون من مصرع النقراشى في وزارة الداخلية ، فقتله عبد المجيد حسن الذي كان طالبا بمدرسة الطب البيطرى في النصف الثانى من نوفمبر ١٩٤٨ . والذي يعرفه الثقات من الإخوان أن القاتل لم يكن وحده في وزارة الداخلية ، بل كانت معه جماعة في جملتهم الضابط أحمد فؤاد الذى كان من أعضاء النظام الخاص ، ولعل هذا الضابط هو الذى يسر لدخول القاتل عبد المجيد أحمد حسن وزملائه إلى مبنى وزارة الداخلية .

وبقتل النقراشى باشا خلا كرسى رئاسة الوزارة فخلفه إبراهيم عبد الهادى الذى كان رئيسا للديوان الملكى . ولاشك أن إبراهيم عبد الهادى قد جاء إلى هذا المنصب الخطير وصدره يشتعل حقدا وغيظا يستحيل معه أن يقف الحاكم في حدود العدل ، وقد كان الحق والغيظ في صدره يمازجه خوف شديد على نفسه من الإخوان المسلمين ، وتلك صورة تدعو إلى البطش بالخصوم على أى وجه وبأى أسلوب .

وكان الأستاذ المرشد علما من أعلام المدرسة الصوفية التى أنشأها أهل التصوف الحق في ظلال وارفة من التأدب بأدب القرآن الكريم ، وعلى رأس هذه المدرسة الجليلة الإمام الشاذلى - رضى الله عنه - وقد كان شيخ الأستاذ المرشد في هذه المدرسة ، الشيخ عبد الوهاب الحصاى الذى كان شيخا لجميع الإخوان المسلمين عن طريق مشيخته للأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا .

ولسنا نتجهم الحقيقة إذا اعتبرنا الأستاذ البنا مع ذلك - زميلا للإمام عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، والإمام الثعالبى في تونس ، والإمام الجليل محمد بن على السنوسى في ليبيا . وهؤلاء السادة كانت لهم - بلا ريب - مميزات من علم غزير ، وحس دقيق ، ووجدان شريف ، وغيرة على شعوبهم ومريديهم . وقد قاوم هؤلاء السادة الاستعمار في شعوبهم بكل ما تناله أيديهم من وسائل المقاومة ، فرأى الناس شعب الجزائر يلجأ إلى السلاح لإكراه المستعمر على الجلاء عن بلاده التى لا ينبغي أن تكون إلا للشعب الذى عاش على أرضها واستظل بسمائها . والذين قرأوا

تاريخ الجزائر يرون مقدار ما تجشمه هذا الشعب من مشقات لا يصبر على لوائها إلا أولئك الذين تولى تربيتهم الصنادقون المخلصون من شيوخ الإسلام في تلك البلاد المجاهدة ، وفي طليعة أولئك الشيوخ الإمام الثائر عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي ، والإمام الشاذلي الذي لا ينبغي أن يخفى على الناس فضله في تربيته أجيالا من الناس كادوا يلتحقون بالتابعين الذين اغترفوا من تبع النبوة على يد أصحاب رسول الله ﷺ .

والذين يريدون أن يتعرضوا للحديث عن الأستاذ البنا ، لا مندوحة لهم عن الإلمام بالأحوال السياسية التي كانت تسود مصر والعالم العربي في أثناء حياته ومزاولة الإصلاح الاجتماعي عن طريق دعوته . ذلك أن البيان الذي نشره في الناس - بناء على طلب إبراهيم عبد الهادي باشا - عقب اغتيال النقراشي باشا كان فتح بابا إلى حسن التفاهم بينه وبين رئيس الحكومة ، ولولا المحاولات التي كان يستبد بها بعض الإخوان ، لكانت الحال غير الحال ، ولكن محاولة نفس مبني محكمة مصر قد أغلقت هذا الباب ، وفتحت بابا آخر للشر لا يقف البلاء فيه عند حدود الاحتمال ، فقد أصطلى بنار الفتنة الغالب والمغلوب ، والحاكم والمحكوم وجمع معتقل الطور والهايكستب خير المسلمين - في مبلغ ما أعلم - جمعا ملا الصدور غيظا ، وأيقظ الكراهية للحاكم في كل بيت في مصر ، وفي الأقطار العربية ، والإسلامية الشقيقة .

وكان الأستاذ المرشد في هذه الأحداث يحمل أعباء لا يطيقها إلا المجاهدون الصابرون حتى لقد حرم على نفسه - في مبلغ علمي - الطعام الطيب ، فإذا سئل عن سبب ذلك أجاب بأنه يشارك إخوانه فيما يتحملونه في السجون والمعتقلات ، ولو كان في وسعه أن يفعل فوق ذلك لفعل .

وقد كنت يومئذ وكيلًا لمعهد القاهرة الديني الأزهرى ، وكان يزورنى في المعهد كثيرا من الإخوان ، وكنا كثيرا ما نتناول طعام الغداء في حجرة من حجرات المعهد ، وكان من الذين يزوروننى في المعهد الشيخ سيد سابق ، فكنا إذا جلسنا نتشاكى ، وعلى لسان كل منا قول الشاعر الحكيم :

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وكننت أنس أشد الأنس بزيارة الشيخ سيد سابق ، وكثرة تردده على في معهد القاهرة ، وفجأة انقطع ففقدت بانقطاعه جليسا فاضلا .

ذات يوم جاءنى بعض الإخوة ، وفي حرص شديد أبلغنى رسالة تتلخص في أن الأستاذ المرشد يطلبنى لأمر مهم لا ينبغي التخلف عنه مهما كانت الأعذار ، وقد حدد

لى مكانين : اءءءما فى شارع نوال بالءقى ، وءانىءما فى ءار الشبان المسلمى فى مكءب  
ءءءور ىءىءى ءرءىبرى رءمه الله .

وفى اللىوم ءالى ءهءى إلى شارع نوال فلم اءرف الطرىق إلى منءل الاسءاء  
مفىر ءله ، فظللء اءور فى الشوارع ءلى ءول شارع نوال ءءى ءعبء ، ومءء ءءماى  
السىر على غىر هءى إلى غىر غاية ، فآءءر الإنصراف إلى ءارى فى ضاءىة ءلوان .

وفى اللىوم ءالى ءامنى الشءص نفسه وءءء لى ءار الشبان المسلمى قىبل  
صلاء المغرب ، وكان رئىس الشبان المسلمى اللواء صالء ءرب باشا ءء ءرك  
القاهرة ، وءهء إلى أسوان بعء أن راءى الاسءاء المرشء ءسن البنا ىءرءء ءءىرا على  
ءار الشبان المسلمى ، وبعء أن راءى الاعءقال لا ىءءصر على الإءوان المسلمى  
بل ىءءاوزهم إلى الشبان المسلمى . ءلك أنه ءصّ على ءاء ىوم ءصّة ءلاصءها : أن  
أءء الشبان كان ءء ءءلف عن مكءبه فى ءمءىة فسأله صالء باشا عن سبب  
ءءلف . فءال له : لءء ءنء معءقلا لللىة قىبل الماضىة وامضىءها فى قسم الشرطة .  
ثم روى له ءءىءا ءار بىنه وبنى الشرطى الذى اعءقله : ءىن ءءلنا إلى قسم الشرطة  
ءلء للشرطى ءالء على المكءب فى مءءل القسم : إنهم اعءقلونى وانا مش إءوان  
مسلمى ، ولكنى شبان مسلمى ، ءرء على ءانلا : ءلكم مسلمى ... ءءه ىا عسكرى  
ءءله السءن !! وعن هءه الفوضى ءلى لا ءفرق بىن إنسان وإنسان ، وبنى هىئة  
وأءرى اضطر صالء باشا أن ىسافر إلى أسوان .

ثم ءهءى ءسب الموءء الذى ءءءه لى الاسءاء المرشء ، فلقىءه فى ءرفة من ءرف  
المركز العام للشبان المسلمى ، وكان معه زوء آءءه الاسءاء عبء الكرىم منصور  
المءامى ، فلما اسءقر بنا المءلس طلب الاسءاء المرشء إلى صهره أن ىكون بوابا ،  
فلا ىأذن لأءء فى الءءول ، لانه سوف ىءءء ءءىءا ءاصا لا ىنبغى إعلاءه لأءء من  
الناس . وصدع صهره بالامر ، ووقف على باب ءءرة ، ثم ءعل الاسءاء المرشء  
ىءهىءا للءلام ، وءء ارءسمء على صفءة وءهه معان ءءىرة لم اءهءها فىه من قىبل ، ثم  
أقبل على فى صوء ءفىض : فءال : لءء ءعوءك اللىوم لأفضى إليك بءءىء أرىو أن  
ءكون علىه ءفىظا ولءقه راعىا .

فأءبءه ءما ءنء آءىبه ءائما : إننى طوع امرء ، والله المسءعان .

فءعل ىقول - رضى الله عنه - : « إننى سأءلى » .

وآىن طرءء هءه ءلمة اءنى آءسسم أن ءءرة ءلى نءلس فىها ءء ءبءلء  
معالمها ، ولم اءرف ماذا ىءصد بكلمة « سأءلى » ، فسألءه ماذا ءقصد ؟ فإبنى  
لا أفهم . فأءاببنى : ( ءء آغىب غىبة طوىلة ومن ىءرى فلعلنا لا نءءمع بعء ءلك ) .

ولم أملك دموعي ، فإن حبي للرجل كان فوق كل حب ، ولكنه استدرك قائلا :  
( لقد رأيت بالأمس رؤيا تكررت مرتين قبل الفجر ، وفي كل مرة كنت أقوم من النوم ،  
واستعيز بالله من الشيطان الرجيم ، ولكنني رأيتها مرة ثالثة في الليلة نفسها فلم أشك  
في أنها رؤيا حق ، فقد رأيت أنني أمسك بزمام ناقة يركبها أبو بكر الصديق - رضى الله  
عنه - ثم إذا يد تمتد إلى زمام الناقة فتأخذه من يدي فعلمت أن مهمتي قد انتهت ،  
وأنتى لأبد أن أغيب ، فإذا غبت - على أية صورة كان غيابي - فأنت مكاني ، حتى  
لا تنحل الدعوة ، وقد أوصيت بذلك الإخوان المسلمين ، ولكنني أوصيك أن تظل ترعى  
شئون الإخوان في حدود ما تطبق حتى تنكشف عنهم الغمة ، ويخرجوا من معتقل  
الطور ، فعند ذلك عليهم أن يجتمعوا ليختاروا من يشاعون ، ونصيححتي لك أن  
لا تستأثر بالأمر دونهم وأن لا تختلف معهم ، فإن أمتنا الإسلامية لم تنزل بها  
البلايا ، وتعرضها الصعاب إلا بسبب الخلاف والله - تعالى - معكم ولن يتركم  
أعمالكم ، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

ويشهد الله أنني بعد أن سمعت هذه الكلمات من الأستاذ المرشد ، خُيل إلى أنه  
قد حملني عبئا ثقيلا لا طاقة لي به ، فظللت بعد ذلك شارد الذهن شديد القلق ، ثم لم  
أجد بدا من أن أعرض هذا الأمر كله على أهل الثقة من الغيارى على شئون الإخوان  
المسلمين ، وقد كنا نجتمع في مكتبة وزارة المالية التي كان أمينا لها الأخ محمد  
فتح الله درويش عضو الهيئة التأسيسية للإخوان .

وبعد عدة اجتماعات في عدة أماكن أجمعنا على أن يهاجر الأستاذ المرشد العام  
إلى بلد عربي فيه إخوة ومريدون ، ولم يكن هذا البلد إلا سوريا الشقيقة ، وفيها الأخ  
العلامة المجاهد الشيخ مصطفى السباعي .

## حيلة يرفضها المرشد

ولم يكن خروج الأستاذ المرشد من مصر إلى سوريا أمرا سهلا ميسورا ، فلم  
يكن بد من اللجوء إلى حيلة ، وهذه الحيلة تتلخص في محاولة الحصول على جواز سفر  
يحمل صورة للأستاذ المرشد تخفى على البوليس السياسي .

وهنا اقترح أحد الإخوة أن تؤخذ للأستاذ صورة تعبر عنه أصدق تعبير ، فإذا  
حدد موعد الطائرة في اليوم الذي يريد السفر فيه حلق لحيته ، ثم وضع على جانبي  
وجهه مرهما ثقيلا ، يشير بذلك إلى أنه قد أصيب بالتهابات جلدية دعت إلى وضع هذا  
المرهم الكثيف ، فإذا تم ذلك وضع منديلا يحيط بوجهه من أسفله إلى أعلاه ، وعلى  
ذلك يحمل الجواز الصورة الحقيقية ، ولكن معالم وجهه تختفى بوجود المرهم والقطن

الذى يعلوه على الصورة التى استحدثتها وجود التهاب الجلدى ، وبهذا يستطيع الإخوان الذين يعملون فى المطار أن يعاونوه على الصعود إلى الطائرة فى يسر وسهولة .

وأذكر أننى حين طلبت منه صورة لجواز السفر أعطانيها وهى لا تزال عندى إلى اليوم ، ثم إلى ما شاء الله . غير أننى حين شرحت له الطريقة التى يسافر بها - على ما فيها من حيلة - رفض فى إباء وإصرار ، وهو يقول : إن رجال الشرطة يعرفوننى معرفة تامة ويراقبوننى فى جميع حالاتى ، فإذا فرضنا أنهم كشفوا الحيلة ، فإن الصحف والمجلات فى الداخل والخارج سوف تعتبرنى خداعا غشاشا ، وقد يصعب على الإخوان بعد ذلك أن يظلوا معترزين بالانتساب إلى الإخوان المسلمين لأن مرشدهم وقائد حركتهم الإصلاحية غير أمين ، ولهذا فإننى أرفض أن أغادر بلدى على هذه الصورة ، وليكن ما أراد الله أن يكون .

ولم أجد أمام إصراره حيلة تثنيه عن عزمه واستسلامه لما شرح الله صدره من البقاء فى مصر . وليس يخفى على من يتدبر هذا الموقف على هذه الصورة ما كان يقاسيه الرجل ، وما كان يقاسيه أولياؤه ومريده ، فقد كنت حين التقى به أراه قد استحال إنسانا آخر ، دقة حس ، وقوة عاطفة ، وإشراقة وجه لا يملك المرء معها أن يصرف عينيه عن إدامة النظر إلى وجهه النبيل .

وقبل أن ننصرف من هذا المجلس أوصانى أن انتقل إلى الإخوان ما كان قد أفضى به لى ، راجيا أن يشرح الله - تعالى - صدورهم لإدراك الاخطار التى تهدد كيان الإخوان المسلمين لو أنه قبل الخطة فحاول السفر ، ثم انكشف أمره ، فتمكن أعداؤه بذلك من أن يلفقوا له ما ينال من كرامته بين الناس ، ويصرف عن الولاء له الإخوان المسلمين .

والذين يعرفون الإمام الشهيد فى كرم خلقه وعزة نفسه ، يعرفون أنه كان يقاسى الما نفسيا لا يصبر عليه إلا الصابرون .

فقد كان - رضى الله عنه - يضيق باستقباله أعرف الناس بفضله وأحسنهم تقديرا لدعوته التى هى دعوة كل مسلم غيور على الإسلام والمسلمين . ونضرب لذلك مثلا يتضح به مقدار ما كان يعانیه الأستاذ المرشد من متاعب وآلام ، وهذا المثل يتجلى فى صورتين : أحدهما ، أنه أراد ذات يوم أن يزور إدارة الأزهر ، فلم يفتح له باب مسئول بل كان بعضهم إذا علم بوجوده فى إدارة الأزهر غادر مكتبه حتى لا يستقبله خشية غضب الحكومة عليه ، ولم يكن هناك من استقبله ودعاه إلى الغداء معه سوى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وكان يومئذ يشغل منصب السكرتير العام للأزهر الشريف . وقد أذكر أن بعض كبار الموظفين فى الإدارة العامة جعل من نفسه ناصحا مخلصا للشيخ دراز . ولكن الشيخ أبى قائلا له : لقد كنا نستقبله قبل



محنته وندعوه لزيارتنا في كثير من الاحيان ، فإن نحن أغلقنا مكاتبنا دون لقائه اليوم ، فعلينا أن نخلع العمامة التي تنتسب بها إلى الأزهر الشريف . وثانية الصورتين ، أنه كان يتجنب زيارة أقربائه ، وأصدقائه حتى لا يزجهم بالبوليس السياسى الذى كان يسير معه كظله أينما حل وحينما سار ، وفي ذلك إحراج للناس شديد .

ولقد تحدث إلى ذات يوم في إحدى جلساتي معه في دار الشبان المسلمين ، فقال لى - في صوت خفيض أسيف - لقد كان أسير على نفسه أن أعقل مع إخوانى فأريح وأستريح ، فإن هؤلاء المساكين الذين يلزموننى كظلى ، يلقون كثيرا من العنت ، ويحتلمون كثيرا من المشقات . فأجبت : لعلمهم يرون في اعتقالك بابا من الشريفتونه على أنفسهم إذ كانوا يعلمون - على وجه اليقين - أن حسن البنا ليس فردا عاديا بين المواطنين .

## الدولة تغتال حسن البنا

وذات يوم ذهبت إلى دار الشبان المسلمين حسب اتفاقنا من قبل ، للقاء الإمام حسن البنا ، وفيما أنا أهم بدخول الدار جامنى الأخ الذى كان يرافقه وأخبرنى أن الاستاذ المرشد جاء ، ولم يمكث سوى بضع دقائق ثم انصرف بعدها ، على أن أبلغك أنه في انتظارك كلما جاء الميعاد الذى اتفقنا عليه من قبل . فوقع في نفسى أنه ربما يكون قد ذهب إلى منزل الأخ منير دله ، فذهبت إلى هناك فلم أجد أحدا ، فأنصرفت إلى دارى في حلوان على أن القاه حسب الاتفاق السابق بيننا . وما أن دخلت البيت وأقبلت على مطالعة بعض الكتب التى كنت أقوم بتدريسها لطلاب المعهد حتى دعتنى زوجتى إلى مكالمة تليفونية مع والدها الشيخ محمد عبد اللطيف دراز الذى كان وكىلا عاما لجمعيات الشبان المسلمين إلى جانب مناصبه الأخرى ، ثم إذا صوته يكاد يختلق من شدة الانفعال ، وأخبرنى بالحادث الإليم الذى اغتالت فيه الدولة - من أكبر رأس فيها إلى أصغر موظف من موظفيها - المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا .

وليس في وسع البيان أن يكشف عن مقدار فجيعتى في أعظم رجل كنت أراه المثل الأعلى لكل مسلم في الخلق والروءة والدين . فقد كان الرجل يهتم بأمور المسلمين وشئونهم اهتماما بالغاً . ولست أرتاب في أن اهتمامه هذا هو الذى جعله ملما بأحوال المسلمين في كل قطر يعيشون فيه بين كيد العدو المستعمر ، واستسلام الولى الحميم ، إيثارا لدوام الجاه ، واستبقاء لنفوذ السلطان . والذين عايشوه في الفترة بين مقتل النقراشى في نوفمبر ١٩٤٨ واستشهاده هو في فبراير ١٩٤٩ يرون - بلا ريب - أنه

رضى الله عنه كان يحبل من هم الدعوة ، وهم إخوانه في السجون والمعتقلات ، ما تنوء به شمم الجبال فكان الشاعر العربى إنما عناء بقوله :

فلو كان هما واحدا لاحتملته ولكنه هم وثنان وثالث

ولعل القارئ المتدبر لا يزال يتمثل كلمته التى قالها : « إن هذه الرصاصات التى أطلقت على القاضى الخازندار ، إنما أطلقت فى صدرى » . فهذه الكلمة التى لا مكان فيها لخداع السياسة أو سوء التأويل ، لا جرم إنها تدل على ما كان يستبد بصدره من هم مقعد مقيم . وإذا قد كان الصادقون من أصحاب الدعوات الإصلاحية لا يعينهم أمرياتهم الدنيا بقدر ما يعينهم مصيرهم إلى الله برة اتقياء ، فإنه يعينهم أبلغ عناية أن تكون دعواتهم بمأمن من تأمر المتأمرين عليها وانتهازم كل فرصة لهدم بنيانها ، وقد أنفقوا فى سبيلها حياتهم ، ابتغاء حسن الاحدثة وشرف الذكر ، ومن وراء ذلك رضوان الله تعالى عنهم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

## اختفاء البنا خسارة للعرب والمسلمين

وليس يشك ذو عقل ودين فى أن اختفاء حسن البنا بتلك الطريقة الدينية لم يكن خسارة جمعية ، ولا خسارة شعب ، ولكنه كان خسارة أمة عربية مسلمة ، كانت مستعدة لقبول الإصلاح ، ولا ينقصها إلا القادة الشجعان الذين رزقهم الله الراى السديد والنظر البعيد ، وذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا ، رضى الله عنه وأرضاه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولا يفوت أو لا ينبغى أن يفوت الذى يكتب عن الاخوان المسلمين ، أن يشير إلى مبلغ الخسة والغدر فى حادثة الاغتيال التى يزيد بها بشاعة إلى بشاعتها أن تكون الحكومة التى تحمى الرعية وتصون الأمن ، هى التى تقتال إنسانا يحيا فى سلطانها ، ثم تضيف إلى ذلك أن توعد إلى بعض الذين فقدوا شرف المهنة من الأطباء أن يحرصوا على أن يموت المرشد ظمان لكثرة ما نزف من الدماء ، ولم يشارك فى تشييعه إلى مثواه الأخير إلا والده الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، والمجاهد الكبير مكرم عبيد .

لم يكن للاخوان مقر يجتمعون فيه بعد استشهاد الإمام حسن البنا ، ومصادرة أملاكهم فى القاهرة والأقاليم ، وكان من الحق على أن أنفذ وصيته - رضى الله عنه - فى العناية بشئون الإخوان وأسره فى حدود ما أستطيع ، فاستأجرنا شقة فى الدور الأول بالمنزل رقم ١٠ فى ميدان فاروق ، وكنا نجتمع فيه اجتماعات محدودة . وذات يوم جاعنى أحد الإخوان وقدم لى نفسه وذكر اسمه قائلا : إن هذا هو اسمى الحركى ،

فأجبت على الفور أسأله ماذا تعنى كلمة الاسم الحركى ؟ فأجابنى الاخ فى استغراب شديد : إن أعضاء النظام الخاص يحمل كل منهم اسمين : اسمه الحقيقى ، واسمه الحركى أى فى حركة النظام . وقد انتهزت هذه السانحة فقلت له : إن النظام الخاص كان يشرف عليه موجهها له الإمام الشهيد حسن البنا ، وقد لحق بالرفيق الأعلى ، وأنا - بحكم وصيته لى - لا صلة لى بالنظام الخاص ومهمتى مقصورة على رعاية شئون المعتقلين والعناية بأسرهم حتى يفرج الله عنهم الكرب ، فيخرجوا إلى دنيا الناس أحرارا كسائر المواطنين . فرجائى إليك يا أخى أن تعلن إلى إخوانك هذه الحقيقة أمانة فى عنقك يسألك الله عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون . وكذلك كان رأى أنه إذا كان لابد من النظام الخاص فى تنظيم الدعوة ، فليكن هذا النظام مرتبطا بالمرشد الجديد الذى يرضاه الإخوان خلفا للإمام الشهيد .

وفى هذه الأثناء علمت أن الحكومة حريصة على اعتقال ثلاثة من شباب الإخوان هم على ما أذكر : الاخ أحمد البساطى ، والاخ عبد الحليم محمد أحمد ، والاخ عبد النافع السباعى ، وقد كان صديقى المهندس جمال الدين الشرقاوى من أقرب الناس إلى نفسى وأوثقهم عندى ، فلما أخبرته هذا الخبر ، وبينت له أننى مهتم بشأن هؤلاء الاخوة اعترف لى بأنه يعرف عبد الفتاح البساطى شقيق أحمد ، وأنهما من خريجى كلية الزراعة ، ثم عرض على أن يستضيفهم فى عزبته بالفيوم حيث لا يعرف أحد عنهم شيئا ، وبهذا نستريح ونريح . فشكرت له هذه الشجاعة التى لا يستمتع بها إلا كل وطنى غيور على شئون الحرية والاحرار ، وأحمد الله تعالى أن هذا الامر مضى إلى غايته بسلام .

## التفكير فى الثأر للإمام الشهيد

وذاث يوم جاءنى بعض الاخوة فى حلوان ، وأبلغونى رغبة جماعة منهم يريدون أن يعرفوا رأى الصواب فى الثأر للإمام الشهيد ، ثم ذكروا فى حماسة الشباب أن الذى يكافئ حسن البنا لا ينبغي إلا أن يكون الملك فاروق . ثم طلبوا إلى أن استعين على تكوين رأى بأشخاص ثلاثة : الأستاذ حسن الهضيبي ، والأستاذ محب الدين الخطيب ، والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين . وأذكر أننى وافقتهم على الاستعانة بمعرفة آراء الثلاثة المذكورين فى مشروعية الاغتيال ، ثم ذهبت إلى الأستاذ محب الدين الخطيب ، وسألته رايه ، فأجابنى قائلا : هذه الأعمال « البلقانية » هى شر ما أصيب به المجتمع الاسلامى ، وهو يشير بكلمة « البلقانية » إلى سلوك السلطان عبد الحميد الذى كان معروفا باغتيال خصومه ، وجميع من يرتاب فى أمرهم ، ولو كانوا من أقرب أقربائه . ثم ذهبت إلى الحاج أمين الحسينى ، فأذكر غاية الانكار اقتران الاغتيال بفكرة الاصلاح فى الاسلام ، وكان فيما ذكره لى أن قال :

« إننى أتحدث إليك وإلى الاخوان المسلمين على غاية الصراحة والوضوح فإياكم وسفك الدماء . وأما الأستاذ حسن الهضيبي فقد كان حريصا أشد الحرص في إبداء رأيه ، ولكنه قال : أنا لا أحب لدعوة الاخوان المسلمين إلا أن تكون دعوة تربية على احترام العدل بعيدا عن الخوض في الدماء .

وقد جاءنى الاخوة الذين كلفونى بحث هذا الموضوع فأخبرتهم بما قال الثلاثة الفضلاء الذين اقترحوهم ، وطلبوا رأيهم ، ولكنهم لم يقتنعوا كما اقتنعت ، فأخذوا يدبرون أمرا يفضى إلى اغتيال حامد جودة رئيس مجلس النواب وإبراهيم عبد الهادى رئيس مجلس الوزراء ، ولم ينجحوا فيما أرادوا ، وكان ذلك في شهر مايو سنة ١٩٤٩ . والذين عاصروا هذه الأحداث لا يسعهم إلا أن يقولوا ما قاله أحد الفضلاء من أن غياب الامام حسن البنا عن قيادة الدعوة وتوجيه الاخوان ، كان كغياب الوالد عن أولاده في أشد ما يكونون حاجة إليه يوجههم إلى ما فيه خيرهم العاجل والآجل . ولا شك في أن إخفاق الخطة التى كانت ترمى إلى الثأر للامام الشهيد ، كانت سببا في تضيق الخناق على الاخوان ، والتنكيل بهم في انفسهم ، وذوى قرباهم ، فكانوا أضيق من الأيتام على مآذب اللثام ، ولكن ذلك البلاء لم يدم طويلا ، فاستقالت حكومة إبراهيم عبد الهادى وخلفه في رئاسة الوزارة حسين سرى ، وكان ذلك في أغسطس سنة ١٩٤٩ ، وقد كان الانجليز قد غيروا أسلوبهم السياسى ، وانتهز رئيس الحكومة الفرصة فبدأ بتخفيف الضغط على الاخوان ، وأباح لهم أن يجتمعوا ، وأن يعلنوا عن دعوتهم ، وعن انفسهم في حدود القانون ، ثم اتبع ذلك دعوة الشعب إلى ممارسة حقه في انتخاب حر لأعضاء البرلمان وبدأ بعض الاخوان يرشحون انفسهم في هذه الانتخابات .

## دائرة الخليفة . . لثانى مرة

وقد تقدمت للترشيح في دائرة الخليفة ، وهى الدائرة التى خسرتها عام ١٩٤٥ . ولو أن الحرية في هذه الانتخابات كانت مكفولة ، لما كان هناك شك في اننى سأظفر بالدائرة ، ولكن الامر لم يكن كذلك ، والدليل على ذلك أن صديقى العزيز الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية وقتئذ « ونجح بنت رئيس الوزراء » - كان يتصرف لمصلحة منافسى السيد إبراهيم حمدي سيف النصر ، وقد ساق كل أعوانى إلى قسم شرطة الخليفة ، وتدخلت الحكومة تدخلا سافرا لمصلحة منافسى ، وكان طبيعيا ألا أظفر بعضوية البرلمان على الرغم من العواطف الطيبة التى كان يحوطنى بها أبناء دائرة الخليفة . وكذلك لم ينجح مرشح واحد من الاخوان ، ولا من المتعاطفين معهم إذ كانت الحكومة تعتبرهم خارجين على النظام الدستورى من حيث لم يكن لهم حزب معترف به ، ومع أن هذا التصرف غير سليم إلا أنه لم يترتب عليه

ما يثير النفوس ، أو يخرج الصدور ، إذ كان قد تم خروج رجال الحركة وشبابها من المعتقلات ليستأنفوا جهودهم في تأييد دعوتهم التي كانوا يحرصون عليها ، وعلى أن تدرك غايتها من النجاح .

وقد كان الأخ صالح عشمواوى وكيلا للجماعة قبل الاعتقالات ، وفي حياة مرشدها . بعد أن فصل الأخوان الفاضلان : دكتور ابراهيم حسن والأستاذ احمد السكري اللذان كانا وكيلين للأخوان من قبل ، ولم يكد يمضى زمن طويل على خروج الاخوان من معتقلاتهم حتى بادر الأخ منير دله إلى دعوة بعض أعضاء الهيئة التأسيسية إلى اجتماع في منزله حضره كثيرون من قادة الدعوة والمسؤولين عنها ، وقد حضرت هذا الاجتماع لعنى يقتضيني الحضور ، كما حضر الأخ صالح عشمواوى وآخرون من رجال الحركة المرموقين ، ولم يكن المعنى الذى دعانى للحضور سوى تنفيذ وصية الأستاذ المرشد قبل استشهاده رحمه الله . وليس من شك في أن الأستاذ صالح عشمواوى كان أحق الاخوان بقيادة الدعوة إذ كان وكيلا للجماعة قبل الاعتقالات ، وفي حياة مرشدها مع انه كان له - إلى جانب ذلك نشاط ليس إلى جوده سبيل - على حين أن بعض الاخوان كان يكره أشد كره أن يظل هذا النشاط على ما كان عليه من قبل ، وحجته في ذلك أن الدعوة أحوج ما تكون إلى إثثار المسألة ، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، فليس يسوغ للجماعة الآن أن تمضى على الطريق التي كانت تمضى عليها من قبل ، وهى الطريق التي أوقعت جماعة الاخوان في حرج شديد ، وأحاطتهم بشبهات كثيرة ، ثم أقضت بهم إلى فقد الرجل العظيم الذى لا يتكرر مثله في مجالات الإصلاح الذى يتغيا مصلحة الأمة ، ويتقيد بشريعة الاسلام . ولهذا بادرت إلى تسليم الامانة في قيادة الدعوة للأخ صالح عشمواوى حتى أن أحد الاخوان الفضلاء لامنى على هذا التسرع ، معتقدا اننى خالفت بذلك قوانين العدل ، فأجبت بآن الذى حملنى على ذلك ، علمى بأن الأخ صلاح شادى يذكر للناس أن المرشد قبل استشهاده أوصى له بأن يكون قائدا للحركة أو مرشدا لها ، ولم يسعنى بعد هذه الشائعات أن يظل الاخوان حيارى ، وأن يظل أمر القيادة معلقا على هذا النحو المخرج للصدور ، فأحببت أن أضع الأمر في مساره ، وأن اتنازل عما كان الامام الشهيد قد أوصانى به حتى ينظر الاخوان لانفسهم ، ولدعوتهم ما يطمنون إليه ، ويرضون عنه في غير بليلة ولا انقسام ، وهو ما كنت قد أعطيت به عهدا للامام الشهيد رحمه الله .

ومما يؤكد هذا المعنى ، ما يذكره الأخ الأستاذ فهمى ابو غدير عضو الهيئة فيقول : إنه كان يتردد على الأخ منير دله ، في أثناء فترة الاعتقالات ، وقد كانا يتعاونان معى في شئون الحركة وقضاياها ، ثم يقول الأستاذ ابو غدير : إننى قد التقيت هنا في هذه الدار بالأخ صلاح شادى ، فطلب منى أن نتوجه معا إلى المصلى التي كانت ملحقة بمنزل الأخ منير دله ، وبعد جلسة صلاة ودعاء واستغفار ذكر لى

الاخ صلاح شادى ، أن المرشد قبل استشهاده أوصى أن يكون الأستاذ البهى الخولى مرشدا عاما ، وصلاح شادى مرشدا خاصا ، بمعنى أنه مسئول عن النظام الخاص ، فرفض الاخ أبو غدير أن يبايع الاخ صلاح شادى على ذلك ، وأخذ الاخ أبو غدير يذيع هذا الكلام على الاخوان ، فلما سمع الاخ منير بهذا الكلام دعا الاخ صلاح ، والاخ فهمى إلى أن يلتقيا عنده في المنزل مرة أخرى ، وقال لهما : إن هذا الكلام يحدث بليلة في صفوف الاخوان ، ثم اتفق الثلاثة : منير ، وصلاح ، وأبو غدير على أن يحتكموا إلى أول داخل عليهم فكان أول داخل عليهم هو الاخ عبد العزيز كامل . وهنا يقول الاخ أبو غدير : إن هذه هي المرة الاولى التي يقطع فيها الاخ عبد العزيز كامل برأى واضح وبلا تردد وذلك حيث قال : إن الدعوة ليس لها مرشد عام ، ومرشد خاص ، ولكن الدعوة لها مرشد واحد نسمع له ونطيع . وغير ذى حاجة إلى مزيد بيان ، أن الاخوان كانوا يحرصون اشد الحرص على أن يعود الشكل القانونى للجماعة على النحو الذى يرضيهم ، ويمكنهم من مواصلة جهودهم لدعم الدعوة ، وتحقيق أهدافها .

ولكن الاخ منير دله قال للمجتمعين في منزله من قادة الاخوان : إن المحاولات التى كانت تبذل عند الجهات المسئولة لم تصل إلى نتيجة حاسمة في شأن الموافقة على عودة الشكل القانونى للجماعة ، وبعد أن ناقش الاخوة المجتمعون هذه القضية ، وما يتصل بها أجمعوا على أن الدعوة في حاجة شديدة إلى مرشد جديد يكون موضعاً لثقة الجهات المسئولة ، بحيث تطمئن إلى أن عودة الجماعة تكون بآمن من الأخطاء التى وقعت من قبل ، وأدت إلى حلها واضطهادها . وقد عرضت في هذا الاجتماع بعض الاسماء على الوجه التالى : الاخ محمد عبد الرحمن نصير عضو الهيئة ، والاخ الشافعى اللبان صديق الجماعة ، ثم الأستاذ حسن الهضيبي ، ثم الأستاذ محمد حسن العشماوى .



## الفصل الرابع

### الإخوان بعد الإمام

ولما عرض اسم الأستاذ حسن الهضيبي وافق عليه أغلب المجتمعين لسابقته ، وصلته الوثيقة بالامام الشهيد منذ أوائل الأربعينات ، ولم يكن الأستاذ الهضيبي مجهولا لدى الإخوان إذ كانت مجلة الشهاب التي يرأس تحريرها الامام الشهيد قد قدمته إلى الناس في عددها الثالث في يناير ١٩٤٨ وقالت أنه معزوف في جميع مراحل حياته بسمو الخلق ، والغيرة على الاسلام ، والدعوة إليه ، ثم هو يحفظ القرآن الكريم وله دراسات واسعة في القانون المقارن ، والتشريع الاسلامي .

ورجل يزيه الامام الشهيد هذه التزكية لا يسع الإخوان إلا أن يرحبوا بترشيحه .

ولذلك اقترحت مع الاخوة فهمي أبو غدير ، ومختار عبد العليم ، أن نقابل الأستاذ الهضيبي لنعرض هذا الترشيح عليه ، ومعرفة رأيه فيه ، واتصلنا بالرجل في مصيفه بالمندرة برمل الاسكندرية ، ثم لما فاتحناء في الموضوع رفض فالحجنا عليه فأصر على الرفض . وفي أثناء ذلك سافرت وفود أخرى ، وحاولت مع الرجل أن يقبل الترشيح ، وأخيرا قبل ، وقال أسلم امرى إلى الله .

### ثلاثة شروط للهضيبي

وكان الرجل بلا ريب صادقا مع نفسه غير أنه اشترط لقبول هذا المنصب الجليل ثلاثة شروط : اولها : أن يكون وكيله من رجال القانون . ثانيها : إبعاد اثنين من أعضاء الهيئة التأسيسية : الأخ عبد الحكيم عابدين ، والأخ طاهر الخشاب ، وثالثها : حل النظام الخاص الذي كان يقول في شأنه ، إنه لا يجوز في حركة إسلامية قيام جهاز سرى ، وقد أرسل هذه المقولة مثلا سائرا « لا سرية في الاسلام » .

وقد أجيب الرجل إلى ما طلب ، فاستقر رأى الاخوة على اختيار الأخ عبد القادر عودة وكيلا للمرشد العام ، وقد كان الأستاذ عبد القادر عودة قاضيا عالما بالفقه



الاسلامى ، وكان أكثر من صديق للحركة ومرشدها ، بل كان يعتبر عضوا فيها بمعنى أن صلته بها كانت أقوى من صلة الأستاذ الهضيبي ، ثم أبعد من أعضاء الهيئة التأسيسية الاخوان : عبد الحكيم عابدين ، و طاهر الخشاب ، لأن المعلومات التي كانت عند الأستاذ الهضيبي لم تكن تسمح له بالتعاون معهما في حركة إسلامية ، وكذلك حلّ النظام الخاص استجابة للرأى القائل : لا سرية في العمل للإسلام .

وقد أخذ الاخوان خطواتهم السريعة لتحقيق هذا الاختيار دون حاجة إلى الاجتماع للهيئة التأسيسية اكتفاء بالحصول على موافقتها بالتوقيع ، ولم يمتنع عن التوقيع على الكشوف التي كانت تعرض عليهم إلا القليل من الاخوة ، فتم اختيار الأستاذ الهضيبي مرشدا عاما للجماعة وبالأسلوب نفسه ثم اختيار الأستاذ عبد القادر عودة وكيلًا له .

وأما إبعاد الأستاذ طاهر الخشاب ، فقد تم على غاية الهدوء ، بيد أن الأستاذ عبد الحكيم عابدين أراد أن يسلك طريقا ملتوية أراد بها مجاهرة الأستاذ الهضيبي بالعداوة . ذلك أنه عندما علم بأن المرشد الجديد لا يقبل التعاون معه ، حاول أن يتقرب إلى ، وإلى الأخ أبو غدير ، ثم أخبرني بأنه يرشحني لمنصب المرشد العام ، وقد تكفل بأن يقوم بالدعاية لي بين الاخوة في طول البلاد وعرضها ، واثقا بأنه سيجمع رجال الحركة على تأييد الترشيح واختيارهم إيائي لمنصب المرشد العام .

وأذكر أنني قلت له : ان هذا الذي تقوله غير لائق بمثلي ، وقد قابلت الأستاذ الهضيبي في داره ، وأقنعت به بأن يقبل منصب المرشد العام ، فاذا قبلت الآن ترشيحك لي على الصورة التي ذكرتها ، فإن هذا يكون من الخداع لا يليق بمن في منزلتي بين الاخوان المسلمين ، ثم لو أنني افترضت قبول الاخوان ترشيحي واختياري لكان ذلك في غير مصلحة الدعوة ، وفي غير مصلحتي أنا شخصيا .

ولما أحس عبد الحكيم عابدين بأنني أرفض ما يعرضه علي في إصرار تحول عن فكره الذي كان يعانده به ترشيح الأستاذ الهضيبي ، وأخذ يدعولتأييده ، وقد كان من حسن حظ الأخ عبد الحكيم أن جماعة الأخ منير أخذت تدعوه إلى اجتماعاتها ، فاطمان إلى الأستاذ منير وجماعته ، واطمان هؤلاء اليه ، فأخذ ينفذ ما يتلقى من أوامر ما دام قد اطمأن على مركزه في الحركة ، كما يذكر ذلك أيضا غير واحد من الموثوقين في الجماعة ، وفي مقدمتهم : الأخ أبو غدير ، والأخ أبو رقيق . ولم يكن الأخ عابدين يريد من كل هذه المناورات إلا أن يحتفظ له الاخوة بمركز السكرتير العام في الجماعة ، فلما طمانه الأخ أبو رقيق على ذلك انصرف عن كل مناورات ووقف نشاطه عند هذا الحد .

ويبقى بعد ذلك ما يتعلق بالشرط الثالث من شروط الأستاذ الهضيبي وهو حل

النظام الخاص ، والتخلص منه ، ولم يكن الأستاذ عبد الحكيم ليستطيع أن يؤدي دورا فيما يتصل بالنظام الخاص ، لأنه يعلم أن للنظام فيه رأيا خاصا رفعه في تقرير قدم للامام الشهيد . ومن أجل ذلك كله اختارت القيادة العامة لجماعة الاخوان الاخ عبد القادر عودة للنظر في حل النظام الخاص والتخلص منه .

وقد كان الأستاذ عبد القادر عودة - بلا ريب - رجلا طيب القلب غيورا على الدعوة حريصا على نجاح المرشد الجديد في مهمته ، ولكنه لم يكن يدري أن للنظام الخاص مشاكله من حيث تشكيلاته ومعداته ، ولكنه سمع وأطاع جريا على نظام الجماعة ، فذهب باسم القيادة إلى أعضاء النظام الخاص بعد أن طلب الاجتماع بقيادتهم ، فتحدث معهم ، ولكنه رجع بصورة غير الصورة التي ذهب بها اليهم ، إذ عرف منهم أنهم لا يعترفون بالقيادة الجديدة الا إذا اعترفت بهم ، وفي الوقت نفسه اتهموه هو بأنه يعمل على حلهم لحساب النظام الخاص الثانى الذى كان يرأسه ، ويسأل عنه الاخ صلاح شادى .

ولا ريب في أن الرجل ظل يعيش في هذه المشاكل المعقدة حتى لقي ربه حسن النية سليم الطوية ، مخلصا أشد الاخلاص للمرشد الذى أثره على جميع من سواه ليكون وكيلاً له في العمل على تنقية صفوف الجماعة من الخاطئين الذين ضلوا سواء السبيل . لقد نفذ الاخوان شروط الأستاذ الهضيبي ، ومهدوا بين يديه الطريق إلى العمل الجاد لخير الجماعة ، وقد انتظر رجالها وشبابها أن يطلع عليهم المرشد الجديد خطيباً للجماهير ، وناصحاً للشباب ، كما كان يفعل سلفه العظيم ، ولكنه كان رجلاً قاضياً قبل كل شيء . فكان شديد الحرص على كل كلمة يقولها ، أو يعلق عليها حين يسمعا من وفد أو فرد ، ولم يكن ذلك السلوك المتحفظ مما يرضى عنه الاخوان ، إذ كانوا يريدون منه أن يتحدث اليهم عن مستقبل الحركة ويرسم خطوات عملها ، ويشرح للمسؤولين في أجهزة العمل ما يجب أن يقوموا به ، وأن يبذلوه من جهد ، ولكن ذلك لم يتم منه شيء إذ كان الرجل غير قادر على ذلك ، وقد فهم من الاخوة الذين اجتمعوا به في اللقاءات الاولى أن الأمر لن يكلف مشقة في قول أو عمل ، ولذلك بدا يصارح من يلقاهم بهذه الحقيقة ، فأعلن غير مرة في صراحة ووضوح أن الصورة التى قيلت له لم يجدها ، ولكنه وجد صورة أخرى .

ولقد حاول الاخ عبد القادر عودة أن يكفيه هذا العناء ، ويرپحه من هذه المشاكل ، فيقوم هو على شئون الجماعة ونشاطها ، ولكنه لم يستطع أن يتغلب على المصاعب التى كانت أمامه . ولقد أذكر أن الرجل - رحمه الله - أحب أن يبياعه الاخوان في الاقاليم حتى يتصرف تصرف الرجل الذى لا يتحدث عنه نفسه ، ولكنه يتحدث باسم الجماعة في القاهرة والاقاليم ، فرغب إلى أن اصحبه في رحلة إلى أسوان ، وقد تم ذلك فعلاً فرحلتنا أولاً إلى الوجه البحرى نزور الاخوان فيبإيعونه ،

واذكر أننا بدأنا بشبراخيت ، ثم إلى الزقازيق ، وطنطا ، وأخيرا أخذنا الطريق إلى أسوان ، فكان الاخوان يتلقونه في المحطات وفدا من كل مجموعة من القرى والمراكز ، وكلما وقف القطار تقدم الرجل لأخذ البيعة ، وتوليت أنا الحديث عنه اليهم بما كان يجب أن يقوله لهم حتى بلغنا مدينة أسوان ، فاستضافنا صالح باشا حرب في داره هناك . وقد كان الاخوان - فيما رأينا - سعداء به ثقة منهم بأنه قادر على استرداد الشكل القانوني للجماعة ، ومما يستلفت الأنظار في هذه الرحلة أن الرجل - رحمه الله - كان حريصا أشد الحرص على أن يزور المسيحيين كلما تهيأت للزيارة سبيل لأنه كان يعتقد أن هذه الزيارات ذات أثر طيب في أنفس ولاية الامر . وربما كان يرى فيها عوناً على نجاح مقصده في عودة الشكل القانوني للجماعة .

## المرشد الجديد يقابل الملك

وقد كان الرجل - بلا ريب - في هذا النظر صادق الحدس صحيح التخمين بدليل أنه بعد فترة ليست بالطويلة تلقى دعوة إلى مقابلة الملك فاروق على غير ترقب وانتظار .

وكان الاخوان المسلمون حراسا أشد الحرص على أن يعرفوا نتيجة مقابلة المرشد العام الجديد للملك فاروق . . . هذه المقابلة التي كانت حديث الشعب في الأندية والبيوت ، ولم يكن ميسورا أن يلتقى الرجل بالاخوان في المركز العام بالحلمية ، فالتقى بهم في نواحي غمرة ، وبعد افتتاح الاجتماع بآيات من القرآن الكريم تهيأ رحمه الله للحديث فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ﷺ ثم صمت وقد تناولت اليه الاعناق ، وانتظر المجتمعون حديثا يطمنون به على الجماعة ، أو يبشروهم بمستقبل تحوطه السكينة ، ويسوده السلام .

وفيما كان القوم مأخوذين بجلال هذا اللقاء ، وما ينتظرونه فيه من خير كثير قال الرجل - في تؤدة وتوقر : « عليكم بقراءة القرآن » .

وغير ذى حاجة إلى بيان أن الاخوان قد فجعوا فيما كانوا ياملونه في خير يؤمنهم على أنفسهم خاصة وعلى جماعتهم عامة ، ولذلك انصرفوا باليأس يملا صدورهم ، وقد تمثلوا الامام الشهيد ، وقارنوا بينه وبين خلفه ، قرأوا الفرق واضحا بين الرجلين ، ثم راحوا يتذكرون الاحداث التي مرت بهم ، والاشخاص الذين تعاملوا معهم فاداهم ذلك كله إلى الانطواء على أنفسهم ، والعناية بشئونهم الخاصة يربون اولادهم ، وينتظرون ما تأتى به الأيام في بعيد من الزمان أو قريب .

وقد تحدث إلى واحد من الذين حضروا هذا اللقاء ، فذكر أن الاخوة الذين

استمعوا إلى هذه الكلمات من الأستاذ الهضيبي - توقعوا - فيما يشبه اليقين - أن تنقسم الجماعة شيئا وأحزابا ، كما انقسمت من قبل غير مرة . ولئن كانت تلك الانقسامات الماضية بالغة غاية الخطورة . لقد كان الإمام الشهيد قادرا على دفع أخطارها بما له من هبة في صدور أخوانه ومريديه ، ثم بما له من قدرة على اقناع أشد الناس عنادا بما يحب أن يقنعهم به . ولو أن شيئا من هذه الانقسامات حدث في العهد الجديد ، لكان في ذلك بلاء لا طاقة للجماعة به ، ولا قدرة للأخوان على احتماله .

## الفرق بين البناء والهضيبي

وذلك حق لا يرتاب فيه الذين يعرفون الإمام الشهيد حق المعرفة ، فقد كان - رحمه الله - إذا تحدث إلى الإخوان ، تحدث إليهم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة والسيرة العطرة ، فإذا هم - بذلك - قلوب خاشعة وأعين دامعة ، ذلك أنه لم يكن معهم رئيسا يتعامل مع مرعوس ، ولكنه كان مربيا يتعاهد رياضة مريد ، وبين الصورتين فرق واضح ويون بعيد ، وهذا الفرق نفسه هو الذي كان بين الأستاذ الهضيبي ، والإمام الشهيد .

وإذا كان لكل قضية حجة تستند إليها ومثال يدل عليها ، فلا نرى بدأ من أن نضرب بعض الأمثلة لهذا الذي نذكره عن طور الدعوة على يد الأستاذ البناء - رحمه الله - ومثال ذلك ، انقسام الإخوان عليه عدة مرات كانت كفيلة بأن تدمر جماعة الإخوان تدميرا كاملا ، ولكنه عالجهما علاج الحكيم الذي يعرف الطريق إلى ما يرضى الحقيقة ، ويرضى الذين يؤثرونها على كل أثر .

وأبادر إلى القول بأن الاختلاف مع الإمام الشهيد ، لم يكن الباعث عليه في رأى المختلفين عرضا من أعراض الحياة الدنيا ، وإنما كان ناشئا عن اجتهاد ، وربما كان مصيبا ، وقد يكون خاطئا . والإسلام يتسع للخلاف في الرأى اتساعا لا يعرف الناس له نظيرا في غير الإسلام . ذلك أن الذي يتصرف عن اجتهاد مخطيء هو مأجور ، وكذلك الذي يتصرف عن اجتهاد مصيب هو مأجور أيضا ، بيد أن المخطيء له أجر ، والمصيب له أجران .

والذين يستعرضون تاريخ الذين اختلفوا مع الإمام الشهيد ، لا جرم أنهم يرونهم بين مخطيء له واحد ، وبين مصيب له أجران ، ماداموا لم يرتكبوا بسبب هذا الاختلاف كبيرة من الكبائر التي اقترنت في الكتاب العزيز بعقوبة شديدة تعجل لمرتكبيها في الدنيا على يد ولي الأمر ، أو تؤجل إلى يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين .

وقد كان أول هذه الانقسامات : الانقسام الذي أطلق عليه « شباب محمد » .

وكان يتزعم هذا الشباب الأخ محمد على المغلاوى الذى أصبح فيما بعد نقيبا للتجاربيين ، وقد أذكر أنتى رأيته يقوم الليل قارئاً ساجداً ، ونحن يومئذ نقيم في شقة تجاور شقة أخرى لجماعة مصر الفتاة ، وذلك في مبنى لوكائنة البرلمان في ميدان العتبة بالقاهرة ، وليس يخفى على خاصة الإخوان أن اختلاف هذا الشباب كان يرجع إلى أنهم عابوا على الإمام الشهيد أسلوبه في السير بالجماعة إلى تحقيق أغراضها ، ثم اجتمع إلى ذلك المعنى أمران : أولهما : السلوك السياسى للأستاذ أحمد السكرى في موقفه من سياسة على ماهر ، والمظاهرة التى قادها من شباب الإخوان لاستقباله ، والتهاتف باسمه . وثانيهما : السلوك الشخصى للأخ عبد الحكيم عابدين فيما أغضب به بعض أخوانه حتى اضطروهم إلى أن يرفعوا أمره إلى الإمام الشهيد ، فأنزل به الإمام عقوبة هى إلى الأدب الصوفى أقرب منها إلى التأديب الجسمانى أو النفسى . ولعل من الحق على أن انتهز هذه السانحة لأذكر عن الأستاذ السكرى ما اعتقد أنه حق . ذلك أن استقباله لعل ماهر كان من أجل قضية فلسطين ، وهذه القضية ذات منزلة رفيعة في نفس الغيارى على العروبة وعلى الإسلام ، وقد كان - على ماهر - على ما أعلم - قادماً من مهمة تتصل بهذه القضية ، ثم لعله كان ضائق الصدر بما ضاق به صدر الإمام الشهيد من الأحداث الفاجعة التى كانت سبباً في الأحداث الأليمة التى نزلت في ساحة الإخوان . ومن حق الأستاذ السكرى وغيره أن يلتمس مخرجاً من المأزق الحرج الذى يرى أنه لا خير فيه لنفسه ، ولا لجماعته ولا لوطنه . على أن مبلغ علمى بالأخ السكرى أنه رجل يخشى الله ويخاف سوء المصير ، ويتسم بروح مرح وأدب جم وإيثار للتمتع بأنعم الله في غير تعصب مقيت أو تزميت مميت . وأية ذلك الذى أقول ، قصة زواها لى أخ ثقة مفضل هو الأخ الأستاذ كمال عبد النبى الذى كان سفير مصر في فرنسا ، والذى كان من قبل عضواً في مكتب الارشاد ، فقد قال لى - حفظه الله - لقد كنا في موسم الحج ، ولأول ما ذهبنا إلى المدينة دخلنا إلى المسجد الشريف ، فإذا الأخ أحمد السكرى يتغير وجهه ، ويرتعش صوته ، وتفيض دموعه وهو يقول متجهاً إلى القبر الشريف : « الأنس كان إنت . . . والزهر كان إنت والابتسام إنت . . . وهى من كلمات لاغنية تغنيها السيدة أم كلثوم ، فلما خرجنا من المسجد قلت للأخ السكرى معاتباً أيليق بك هذا العبث في حضرة رسول الله ؟ فلم يزد على أن قال : « والله الذى لا اله إلا هو إننى لم أجد في رأسى أبلغ من هذه الكلمات للتعبير عما في نفسى من حبي لرسول الله ﷺ . وعلى كل حال ، فإن العبرة بالنيات ، كما قال رسول الله - صلوات الله عليه - « إنما الأعمال بالنيات » .

وإذا كان لى تعليق على هذه الواقعة ، فإن الإنسان إذا فرح فرحاً شديداً جرى على لسانه ما يخالف العرف المألوف . فذلك حديث رسول الله ﷺ الذى يذكر فيه أن الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في صحراء لا نبات فيها ولا ماء . وقد كانت معه راحلته عليها طعامة وشرابه ، فوضع رأسه فنام ثم استيقظ ، وقد ذهب

راحلتها . فطلبها حتى إذا اشتد عليه الجوع والعطش ، قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه ، فأنا من أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فآله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده ، فقد أخطأ من شدة فرحه بدابته عليها طعامه وشرابه فقال : « اللهم أنت عبيد وأنا ربك » فهذا رجل غلبته فرحته بالماء والطعام فحولت لسانه من حيث لا يعتقد فبدلا من أن يقول : « اللهم أنت ربي وأنا عبيدك » ، عكس القضية فقال اللهم « أنت عبيد وأنا ربك » . ولا يبعد عن القياس أن يقول القائل : إن الأخ السكري قد أدركته الفرحة برسول الله لمعنى وقع في نفسه لعله لم يقع في نفس الذي لاه . فبدلا من أن يقول كلمات فيها لرسول الله تعظيم ، قال هذه الكلمات التي رأها أقدر على التعبير عما في نفسه ، فقال ما لاه عليه زميل كريم .

لقد كان الأستاذ البنا يحمل هموم العالم الإسلامي في داخل مصر وخارجها ، فهو المسئول في رأى الناس عن الأحداث الاليمة التي تثير الرأى العام في مصر ، ثم هو المسئول - أيضا - عن الأحداث التي تقع في العالم الإسلامي . فأما مسئوليته عن الأحداث التي تقع في مصر فانه - رحمه الله - كان معنيا بالتوجيه والإرشاد والتقويم لعدة أقسام في تنظيم جماعة الإخوان ، وهى قسم نشر الدعوة ، ثم قسم المناطق والاقاليم ، ثم قسم الطلاب ، ثم قسم العمال ، وكل قسم من هذه الأقسام يحتاج إلى رجال يقومون بحقه عليهم فيما يتصل به معرفة بالاتجاهات السياسية والانفعالات النفسية ، فإذا تصورنا الامام الشهيد قائما وحده على توجيه هذه الأقسام ، فإننا ندرك فداحة العبء الملقى على عاتقه ، فإذا خالف مخالف تعليماته ، فان ذلك - بلا ريب - يضاعف من أعباء الدعوة على نفسه ويعرضه من حيث لا يريد للملامة أو لما هو أشد من الملامة واعنف .

## جوانب الدعوة في الخارج

وأما مسئوليته عن الدعوة في خارج مصر ، فإنها أفدح عبئا ، وأخطر نتيجة ذلك أن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي كان يشتمل على عدة جوانب كل جانب منها يحتاج إلى مرشد عام ، وهذه الجوانب تشتمل على نشر دعوة الإخوان في كل البلاد الإسلامية ، وكذلك دراسة مشاكل الوطن العربى ، وقضايا بلاده المختلفة ، ثم إقامة المؤتمرات الدورية التي يلتقى فيها تحت راية الإخوان رجال الحركات الإسلامية ، ولم تكن المؤتمرات التي تنعقد يومئذ مؤتمرات يسيرة التبعات ، ولكنها كانت تتغيا مناقشة قضايا هذا الوطن ، وخاصة ما يتعلق فيها بسيطرة الاستعمار الأجنبى . وكذلك من مهمات قسم الاتصال ، المطالبة بحق الأوطان المغتصبة في الحرية والاستقلال والتخلص من الاستعمار بكل الوسائل ، وعلى جميع الوجوه سواء في ذلك الاستعمار

العسكري ، والاستعمار الثقافي ، والاستعمار الاقتصادي ، والاستعمار الاجتماعي الذي هو عقدة العقد ، وآفة الآفات . وقد كانت وسائل العمل في ذلك القسم تتلخص فيما يلي :

اولا : اعداد ملفات تشتمل دراسة قضية كل بلد عربي وإسلامي بحيث يتضمن كل ملف البيانات الخاصة بكل قضية على حدة .

ثانيا : إنشاء أمانة دائمة للقسم مهمتها إعداد كل ما يتطلبه العمل من دراسات ومطبوعات ونشرات لا تستغنى عنها قضايا الوطن العربي والإسلامي .

ثالثا : إيفاد البعثات إلى تلك البلاد ، واستقبال الوفود التي تزور مصر .

رابعا : تقديم المعونة الأدبية والمالية لجميع الوافدين من تلك الاقطار الشقيقة مهما كانوا طلاب علم ، أو رجال كفاح في سبيل قضايا بلادهم .

وقد اذكر أن من بين هذه اللجان في قسم الاتصال لجنة الهلال الخصيب ، وتشمل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق ، ولجنة الجزيرة العربية ، وتشمل المملكة السعودية واليمن والامارات الواقعة على الخليج العربي : الكويت وقطر والبحرين ، ثم لجنة شمال افريقيا ، وتشمل الحبشة والصومال ونيجيريا والسنغال ، ثم لجنة السودان ، ثم لجنة الدول الآسيوية ، وتشمل أندونيسيا والهند وسيلان وباكستان وإيران وأفغانستان والأقليات الإسلامية في اتحاد آسيا كالصين والملايو والفلبين ، ولجنة مسلمي أوروبا ، وتشمل تركيا والمسلمين في روسيا وغيرها ، ثم لجنة المذاهب الإسلامية ومهمتها دراسة المذاهب والتقريب بينها في حدود الأخوة الإسلامية التي لا يفسدها اختلاف الزاى ما دام كل مذهب يقيم حياته على عقيدة الإسلام .

وقد اذكر - للتاريخ - أن من بين الأخوة الذين كانوا يترددون على المحاضرات في دار الإخوان السيد محمد عبد العليم الصديقي الباكستاني الذي وقف حياته على الدعوة إلى الإسلام في مواجهة المبشرين الذين كانوا طلائع بين يدي الاستعمار الغربي ومن هؤلاء السادة الذين لقيتهم : الأخ محمد علي ناصر الذي كان رئيسا لحزب ماشومي في أندونيسيا ، وقد ولي رئاسة الوزارة أكثر من مرة ، ولم يكن يفوته درس في الإخوان المسلمين ، وقد كان الرجل حريصا على قبول النصيحة ، وتلقى العلم عز كل من يثق بهم من رجال الإسلام ، وقد لقيت الرجل في أندونيسيا ، وأنا يومئذ عضو في الوفد المصري إلى مؤتمر باندونج ، وهو المؤتمر الذي يعرفه الناس باسم المؤتمر الآسيوي الأفريقي ، وقد كان الرجل في عام ١٩٥٥ م يتزعم حركة ضد الاستعمار الهولندي بوصفه رئيسا لحزب « ماشومي » ، ولم أكن أعرف لهذه الكلمة

معنى حتى لقيت الرجل ، فسألت عن معنى هذه الكلمة ، فأجابنى بأنها مأخوذة من حروف عدة كلمات هى « مجلس شورى مسلمى اندونيسيا » . وكان يصاحبنى فى مقابلة الزعيم الاندونيسى سفير مصر يومئذ الأستاذ فهمى العمروسى ، واذكر أننا تناولنا حركة المجاهدين الذين كانوا يعتصمون برؤس الجبال فى مجاهدة الوافد من الغرب الراسمالى ، والزاحف من الشرق الشيوعى .

فهكذا كان يعمل الاخوان فى قسم الاتصال بالعالم الاسلامى ، وهو بلا ريب عمل يحتاج إلى جهد عظيم ، وطاقه روحية كبيرة وصحة جسمية كاملة ، وإذا كان ذلك متوافرا للإمام الشهيد ، فإن الأستاذ الهضيبى - على ضعف صحته - لا يستطيع احتمال هذا العبء ، ولذلك رفض فى اصرار قبول منصب المرشد العام خلفا للإمام الشهيد حتى ألح عليه الاخوان الحاحا شديدا واقتنعوه بأنه لن يتكلف جهدا يرهقه أو يضر بصحته ، وأن كل مهمته لن تتجاوز الانتفاع بأخلاقه الفاضلة ، وثقافته القانونية ، وجاهه المقدور عند ذوى السلطان .

## فتنة اليمن

ولا يسه المنصف الا أن يلتمس العذر للأستاذ الهضيبى فى رفضه منصب المرشد إذ كان منصبا ثقيلا التبعات أمام الله وأمام الناس ، وقد كان الإمام الشهيد نفسه يتعرض لمتابع شديدة فى بعض الأحداث التى كان يقترفها مقترفوها باسم دعوة الاخوان ، ثم يحمل حسن البناء وزرها ، ولا يد له فيها ولا طاقة له بها ، ولا حجة له فى التنصل منها ، أو الدفاع عنها ، وأية ذلك فتنة اليمن التى أشترك فيها اخوان مصريون ، واخوان يمنيون ، واخوان من المغرب الأقصى مجاهدون ، فقد اشترك هؤلاء جميعا فى ثورة ابن الوزير سنة ١٩٤٨ .

وبيان ذلك انه فى الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٨ دبر عبد الله بن احمد الوزير عضو ديوان الامام ثورة ضد الامام يحيى ، وقد كان ابن الوزير يظمر الكراهية لشخص الامام والعداء لحكمه ، وكان الرجل مرموقا بقدر ما كان مغرورا يرى أنه أولى بالامامة ، واجدر بها من الامام ، ومن ابنه الذى كان معروفا بالعنف ، مع ما أضيف إلى ذلك من رواسب أحقاد قديمة ، إذ كان الامام يحيى قد ولى واحدا من آل الوزير إمارة لواء « قعز » فلبث بها ما يقرب من خمسة عشر عاما ، ثم عاد الامام فنحاه عنها ، وأسند الامارة إلى ولده ولى العهد . وقد كان يقف إلى جانب عبد الله الوزير ، السيد حسين الكيسى الذى كان موضع ثقة الامام ، وكان مبعوثه السياسى الخاص إلى الدول المختلفة ، وكان أيضا مبعوثه إلى الجامعة العربية بالقاهرة ، وكان مما شاع بين الناس ، أن السيد الكيسى مأمور من الامام بحضور



جلسات الجامعة مستمعا لا متكلمًا ، حتى لقد أرسل المصريون الكبسى مثلا لكل انسان يجلس في مجلس يلوذ فيه بالصمت ، فيقولون عنه « إن فلانا كبسى » . ومن العجيب أن يكون الفضيل الورتلانى ضد الامام يحيى ومع عبد الله بن أحمد الوزير ، وقد كان الفضيل يعتقد التطرف ، ويؤثر العنف حتى ظن به نفر من الناس أنه شيعوى يتستر بالإسلام ، وقد كان مما سوغ لهذا النفر من الناس هذا القول أنه كان يتحدث في مجالسه الخاصة عن أن للشيوعية دعاة مؤمنين بها إيمان المتصوفة بمذهب التصوف في الإسلام .

وكان يقول عن اليمن إذا عرض الحديث عنه كلمات تثير غيظ الحليم ، فكان يذكر أنه لا يوجد قانون في اليمن يحدد حقوق الفرد وواجباته ، وإنما القانون الذى لا قانون سواه هو أمر الامام الذى تصوغه حريمه وجواريه في كثير من الأحيان . وقد كنت أسمع من غير الأخ الفضيل أكثر مما يقول الفضيل نفسه ، ذلك أن من أبناء الأزهر من كان لا يكاد يفارق الاخوان المسلمين في ليل أو نهار ، وكان شاعرا أدبيا ، واسمه محمد صالح المسمرى ، هذا وهنا يذكر المؤرخ حسين شرف الدين في كتابه « اليمن عبر التاريخ » فيقول : كان يقف إلى جانب عبد الله الوزير عدد من الأحرار الذين لهم شأن كبير في تدبير المؤامرة بقصد تحرير البلاد من الحكم المستبد الظالم ، وإقامة حكم ديمقراطى عادل ، ثم يذكر الرجل من هؤلاء الفضيل الورتلانى ويصفه بأنه عضو الاخوان المسلمين ، ثم يذكر أنه تاجر مغربى كان قد وصل إلى اليمن من القاهرة لإنشاء مؤسسة تجارية في صنعاء ، وكذلك ذكر المؤلف ، الأستاذ محمد محمود الزبيرى ، والأستاذ أحمد نعمان ، وعددا من رجال اليمن الأحرار الذين كانوا ينتمون إلى الجمعية اليمنية في عدن بزعامة سيف الحق إبراهيم . وقبل قيام الثورة اليمنية ببضعة أيام ، كانت جريدة صوت اليمن الناطقة بلسان الجمعية في عدن قد نشرت مقالا أشارت فيه إلى نشوب ثورة في صنعاء قتل فيها الإمام يحيى وبويع عبد الله الوزير إماما على اليمن . وقد ذكروا أن الإمام قد استدعى عبد الله الوزير بعد أن قرأ الجريدة ، وسأله أن يشرح له الموضوع ، فأظهر بن الوزير استنكاره الشديد لهذا النبأ ، ووصفه بأنه ملىء بالافك والبهتان ، وأكد ذلك بالإيمان المغلظة زاعما أن ما نشرته صوت اليمن كذب محض وادعاء باطل ، ثم استطرد إلى وصف ولائه للإمام ولاء لا ترعزعه العواصف ، وقال إن الأمير أحمد بن يحيى هو ولى العهد الشرعى الذى يابعه بالخلافة القلوب قبل الأكف ، ثم اختتم كلامه بالآية الشريفة : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

وقد كان طبيعيا أن يطمئن الإمام يحيى إلى ذلك شأن الطبيبين من عباد الله المؤمنين ، وبذلك الكلام هدأت النفوس في صنعاء بعض الهدوء ، ولكن عبد الله ابن الوزير أخذ يوالى اجتماعاته بأعضاء الثورة ، ويحثهم على سرعة تنفيذ الخطة

المبرمة في أقرب وقت ممكن ، وهي القضاء على حياة الإمام بصنعاء ، ثم على ولى العهد بتعز ، وكانت آخر جلسة هي الجلسة التي عقدت في دار عبد الله بن علي بن الوزير مساء يوم الحادث ، وفي هذه الجلسة تم تعيين الأشخاص الذين سيقومون بتنفيذ المهمة الأولى ، وهي اغتيال الإمام يحيى غداة اليوم التالي ، وقد عهدوا إلى واحد يحدد لهم حركة الإمام في ذلك اليوم الذي تقرر اغتياله فيه ، إذ كانت عادته في كل يوم القيام بجولة قصيرة في بعض الجهات من ضواحي صنعاء . وفي صبيحة اليوم التالي كانت العصابة المعنية بالتنفيذ على أهبة الاستعداد ، ولما أبلغهم الجاسوس الجهة التي قصد إليها الإمام ، تحركوا في سيارة لوري حيث كنوا للإمام في بعض المنعرجات التي سيعود منها بعد أن قاموا بردم الطريق بالحجارة أمعانا في إحكام الخطة ، وما أن وصلت السيارة بالإمام حتى أطلقوا عليها نيران رشاشاتهم ، فأردوه قتيلا ومعه رئيس وزرائه القاضي العمري ، ومعه كذلك حفيده ، وكان في الخامسة من عمره ، كما قتل سائق السيارة وخادم الإمام الخاص ، ثم عادوا بسياراتهم بعد أن تأكدوا من موت الإمام ومن معه ، واتجهوا إلى عبد الله الوزير لابلاغه نجاحهم في تنفيذ الخطة . وقد كان أول عمل قام به عبد الله بن الوزير ، الانتقال إلى قصر صنعاء حيث توجد خزائن الدولة من حبوب ونخيرة وعتاد ، وأخذ بن الوزير يستدعى إليه الشخصيات والأعيان ، وقادة الجيش ويحثهم على مبايعته ، كما أمر بفتح مخازن السلاح والذخيرة وخزائن النقد ، وأن يوزع منها لكل من أعطى البيعة من أعيان البلاد واتباعها . وما أن سمع الناس بهذا حتى تواردوا من كل صوب طمعا في المال والسلاح ، وكان الأمير أحمد قد تحرك من تعز - مقر إمارته - متجها إلى « حجة » معقله الأمين المنيع على أثر علمه باغتيال والده ، وكانت بمدينة تعز عصابة سرية تتحين الفرص لاغتيال الأمير أحمد طبق خطة مرسومة من عبد الله الوزير ، ولكن هذه المحاولة باءت بالاخفاق ، وتمكن الأمير أحمد من الوصول إلى « حجة » سالما حيث أخذ يحشد القوات ويؤلب القبائل للزحف على صنعاء . وقد حالف النصر الأمير أحمد ، فتلقب بالأمير الناصر لدين الله ، واتخذ مدينة تعز عاصمة ثانية له . أما مدينة صنعاء فقد وكل أمرها إلى إخوته : الحسن والعباس وعلي واسماعيل ، وكان طبيعيا أن يسود النهب والسلب وازعاج الأمنيين ، وترويع النساء والأطفال .

وأما الذين أمر الإمام الجديد بإعدامهم بعد آل الوزير ، فهم : الرئيس محمد السعيد ، والرئيس جمال جميل العراقي ، والاستاذ محيي الدين العنسي ، والسيد حسين الكبسي ، والاستاذ صالح المسمرى . وقد تمكن بعض رجال الثورة من الفرار ، ومنهم الاستاذ الزبيري ، والفضيل الورتلاني .

وقد كانت أول خطوة تخطوها حكومة الإمام أحمد ، هي الانضمام إلى هيئة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة سنة ١٩٥٤ . وفي ٢٨ من ابريل ١٩٥٦ عقد

الحلف الثلاثي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، وهو الحلف المعروف بميثاق جدة . وأذكر أنني كنت عضوا في هذا الوفد برئاسة المرحوم جمال عبد الناصر وعضوية أنور السادات وأنا وعلى صبرى ، وقد وقد ميثاق جدة - جمال عبد الناصر عن الجمهورية العربية المتحدة وجمالة الملك سعود بن عبد العزيز عن المملكة العربية السعودية ، والامام أحمد عن حكومة اليمن . وكان المقصود من هذا الحلف هو الدفاع المشترك ضد حلف بغداد الاستعماري المعقود بين بريطانيا وتركيا والعراق ، كما تشير إلى ذلك بعض مواد هذا الميثاق وفيها ، أن الدول المتعاقدة تعتبر كل اعتداء مسلح على دولة من هذه الدول الثلاث اعتداء عليها هي شخصيا بحيث تلتزم باتخاذ التدابير اللازمة على الفور ، وتستخدم جميع ما لديها من وسائل لاعادة الأمن وصيانة السلام ، على أن تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها كلما اضطربت العلاقات الدولية لاتخاذ التدابير الوقائية اللازمة . وتنفيذا لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدول المشتركة انشاء مجلس حربي موحد وقيادة مشتركة .

اسلفنا أن ثلاثة من شباب الإخوان جاءوا إلى بمنزلى في حلوان بعد مقتل الامام الشهيد . وأخبروني أن جماعة من إخوان الأقاليم يريدون أن يعقدوا معى إجتماعا خاصا يتعلق بشأن الجماعة . ثم ذكر هؤلاء الثلاثة أنهم يحملون إلى رسالة من شباب الأقاليم يطلبون منى فيها أن أتصل بالأساتذة حسن الهضيبي ، ومحب الدين الخطيب ، وأمين الحسينى مفتى فلسطين ، وأن أسأل كل واحد من هؤلاء الثلاثة عن رأيه في الثار للامام الشهيد من الذين قتلوه ظلما وعدوانا على أن التقى بهؤلاء الشباب لأخبرهم بما استقر عليه الرأى ، وقد حددوا مكان اللقاء في جاردن سیتی في منزل بشارع الحرس .

ولم يكن بد من أن أمضى رغبة الاخوة ، فبدأت بزيارة الأستاذ الهضيبي وسألته رأيه ، فلم يجبنى بقول يؤثر عنه ، لأن الرجل كما قلت كان حريصا على عودة الجماعة ، وقد دعاه هذا الحرص إلى أن يزن كلماته بميزان الذهب ، أو بما هو أغلى من الذهب . ثم ثنيت بزيارة الحاج أمين الحسينى فقال : لقد جربنا العنف فلم نجد فيه خيرا من قريب أو بعيد ، ولهذا أرى لكم أن تسلكوا كل سبيل يرضى عنه القانون الذى تعيشون فى سلطانه ، ولعل فى ذلك ما يعينكم على تحصيل الشكل القانونى لجماعة الإخوان . ثم ذهبت إلى السيد محب الدين الخطيب ، فما كاد يسمع كلمة الثار للامام الشهيد ، حتى تغير وجهه ، وتعثرت الكلمات فى لسانه ، ثم قال : هذه أعمال بلقانية لا خير فيها لدنيا أو لدين ، ولقد كنت قابلت الأستاذ البنا أكثر من مرة ، وفى كل مرة كنت أذكر له طريق السلطان عبد الحميد فى سفك الدماء ، وأقول له إن هذا السلطان كان شر المصائب التى ابتلى بها المسلمون ، وفى آخر مرة قابلته فيها قلت له : إن تعليم الشعب أمور دينه وتربيته على أدب الإسلام ، تجعل الحكم يسعى إليك

سعى المريض إلى الطبيب يطلب عنده الشفاء ، أو سعى المعدم إلى الغنى يستعينه على  
تحصيل الغذاء والكساء . ثم ذكرت له في هذا اللقاء الأخير أن الاسلام أحوج ما يكون  
اليوم إلى مدافعة المتربصين به في المؤتمرات التبشيرية التي أثرت القاهرة لأول  
مؤتمراتها سنة ١٩٠٦ ، ثم اتبعت ذلك المؤتمر مؤتمرا آخر في أدنبرة في بريطانيا سنة  
١٩١٠ ، ثم المؤتمر الثالث في ليكناو في الهند سنة ١٩١٣ ، وقد قدمت له كتاب  
« الغارة على العالم الاسلامي » الذي ألفه مستر شاتليه ، واتفقت أنا مع الأستاذ  
مسعود اليافى على تلخيص الكتاب ونقله إلى اللغة العربية . ويستطرد السيد محب  
الدين الخطيب قائلا : فلما لم يقتنع المرشد برأى تركت جماعة الاخوان مكتفيا  
بإصدار مجلة « الزهراء » وصحيفة « الفتح » التي كانت تعنى إبلاغ العناية بأنباء  
الغارة على العالم الاسلامي . وليس يخفى أن الأستاذ محب الدين الخطيب كانت له  
سمعة طيبة ، وقد كان يتحدث إلى الاخوان كلما سنحت له فرصة بهذا الحديث الذي  
تحدث به إلى الامام الشهيد ، ولذلك تأثر كثير منهم بهذا الرأي الذي كان يستند إلى  
الأصل الذي قامت عليه الدعوة المحمدية ، وبذلك يكون أول خارج على نظام الجماعة  
في عهد الامام الشهيد حسن البناء هو الأستاذ محب الدين الخطيب ، ثم تلا هذا  
الخروج ، خروج الأستاذ أحمد السكري مع اخوانه : الدكتور ابراهيم حسن ،  
والأخ حسين عبد الرازق<sup>١</sup> ، والأخ كمال محمود عبد النبي ، وغيرهم .

ومهما ذكر بعض الاخوان أن خروج السكري كان بسبب محاولته الانتماء إلى  
حزب الوفد ، أو موقفه من سياسة علي ماهر باشا - كما أشرنا في الصفحات السابقة -  
فلعل ذلك كان تغطية للسبب الحقيقي الذي كان يدور في نفس الأخ السكري ، وهو أن  
ينأى بنفسه عن مواطن الحرج ، والتعرض لشدائد الأمور التي لا قبل له بها ،  
ولا قدرة له على مدافعة أسبابها والدواعي إليها ، ولئن كان هو نفسه قادرا على أن  
يحتمل في سبيل الدعوة ما يشق عليه ، فإن أهله لا قدرة لهم على ذلك ، ولعله كان يجد  
لهذا المذهب سندا من الحديث الشريف : « لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه  
فاثبتوا » . ولقد رأى الرجل الذي كان وكيلا للاخوان المسلمين - أن الامام الشهيد  
كان يحتمل تبعات تصرفات لم يأمر بها ولا رضى عنها . ودليل ذلك - في مبلغ علمي  
يتراءى لرأيه في مقتل النقراشي باشا - ذلك أن الذين أرادوا الانتقام منه من أجل حل  
الجماعة وتصفية ممتلكاتها ، لم يكن الأستاذ البناء راضيا عن ذلك ، ومع ذلك وقع  
ما لم يكن يحب أن يقع .

ومهما تكن تصرفات حكومة النقراشي في حل الجماعة ، وتصفية ممتلكاتها في  
شركة المعاملات الإسلامية وتعطيل صحفها ، فإنها لم تكن لتبيح حرمة الدم الذي  
عصمه الإسلام بالكتاب العزيز والسنة الشريفة ، والسيرة المطهرة .

## لا يكافئ البنا إلا أكبر رأس في البلد

ولقد كان على بعد ذلك أن اجتمع بالاخوة لأبلغهم نتيجة اتصالاتي بمن اقترحوهم ، فلما اجتمعنا في شهر ابريل ١٩٤٩ في الميعاد والمكان ، ذكرت لهم كل ما عرفت بغير زيادة ولا نقصان ، غير أن واحدا منهم كان واسع الثقافة لعله هو الآخر « عبد النافع السباعي » من إخوان سوريا ، الذي اندفع يقول إن مثلنا في هذا الموقف مثل الشاعر العربي الذي رثا أمير المؤمنين عليا فقال في رثائه :

يا قبر سيدنا المجن له صلى الله عليك يا قبر  
ما ضر قطرا أنت ساكنه إلا يحل بأرضه قطر  
أقسمت لو بك لم ادع أحدا إلا قتلت ، لقاتنى الوتر

ثم تحدث أخ ثان فقال : لا يكافئ حسن البنا إلا أكبر رأس في هذا البلد . ولم أجد بدا من أن أتكم إليهم بما رأيته أنه خير وحق فقلت لهم : إن أكبر رأس في بلدنا هو الملك ، ولعل الملك خير من ولي عهده محمد على الذي كان لا ييرم أمرا أو يرى رأيا دون أن يرجع إلى سادته من المستعمرين ، وإذا كان الأخ عبد النافع السباعي بثقافته الواسعة - قد استشهد بشعر عربي فصيح - فأني أذكر لكم خطبة لأمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان حيث قال رضى الله عنه : « أما بعد فإن أمراء المؤمنين قبل كانوا خيرا لكم منى وأنا - والله - خير لكم ممن يأتى بعدى . والله الذى لا اله إلا هو لا أرفع السيف على من لا سيف له ، وإذا لم يكن منكم إلا ما يشتفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى » .

ومبلغ علمى أنهم قد اقتنعوا بما قلت ، لأن شعورنا بالحن كان واحدا ، ومعارفنا عن الفتن كانت ماثلة بين أعيننا حتى لقد خيل إلى أننا عدنا بذاكرتنا إلى اللحظة التى روت أنباءها الصحف فى الداخل والخارج ، إذ كان قد شاع بين الناس - عامتهم وخاصتهم - أن الأخ الذى كلف أن يغتال النقراشى رفض أن يقدم على ما طلب منه إلا إذا قابل الشيخ سيد سابق فى جلسة خاصة .

وقد ذكرت الصحف يومئذ عن الشيخ سيد سابق أنه قال لعبد المجيد احمد حسن الذى قتل النقراشى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلمكم تغلحون » . ومن هنا أطلقوا على الشيخ الفقيه لقب « مفتى الدماء » . ولعل الاخوة لم يستبعدوا إلى جانب ذلك أن الشيخ الفقيه كان له رأى أيضا فى جميع الأحداث التى اتسمت بالعنف ، وفى طبيعتها حادث نسف محكمة الاستئناف الذى وصف الامام الشهيد مرتكبيه بأنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين .

وهنا لا أجد منتدحا عن وقفين ذكرنى بهما أخ موثق بصير :

وأولى الوقفتين أن البوليس بذل جهدا غنيا في العثور على الشيخ سيد سابق حتى عثر عليه مصادفة بمنزل في ميدان الأوبرا بالقاهرة ، فلما علم بذلك إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الوزراء ، أراد أن يرى « مفتى الدماء » فلما راه وجد رجلا ضئيل الجسم لا تدل سماته على حقيقة شخصيته وصرامة إرادته ، فقال لمن حوله : « ما كنت أظن أن هذا الرجل له علاقة بالدم ، فإنه ليخيل إلي من يراه أنه لا يحتمل أن يرى « فرخة » تذبذب بين عينيه ، ولكن الله في خلقه شئون .

وأما ثانية الوقفتين ، فإن المسجونين في قضية اغتيال النقراشي راوا أنهم بمنطق المرشد « لا هم اخوان ولا هم مسلمون » . ولذلك اندفعوا يعترفون بما يكاد يكون انتقاما من المرشد نفسه ، فذكر عبد المجيد أحمد حسن قاتل النقراشي أن من أعضاء النظام الخاص ضابطا في منصب مرموق في وزارة الداخلية ، وذلك الضابط هو أحمد فؤاد الذي كان في النظام الخاص بالأخوان ، وقد حاول الهرب لما انكشف أمره فطارده الشرطة حتى قتل في هذه المطاردة .

وقد كان - كسائر أعضاء النظام - يؤثر أن يقتل في مجاهدته الاستعمار أو مناصرته قضية فلسطين . ذلك أن هذا النظام الخاص ، إنما أنشئ - من أجل غايتين شريفتين هما : مكافحة الاستعمار في القناة ، ومؤازرة المجاهدين في فلسطين . ولكن بعضهم قد انحرف عن الطريق السوى انحرافا لا يخفى أمره على الذين عاصروا الجماعة إبان نشأتها وفي أثناء نشاطها . ولكنهم - كسائر الجماعات في دنيا الناس - فيهم الذي انحرف عن الغاية أو أخطأ الهدف ، وفيهم الذي استقام على الطريق ما امتدت به أسباب الحياة .

فأما الذين انحرفوا ، فقد انكشف أمرهم للناس ونالوا جزاءهم ، وأما الذين استقاموا على الطريق ، فإن من أعيانهم وفضلائهم الأخ الأستاذ محمود عبده الذي كان يعمل في وزارة التربية والتعليم ، والأخ يحيى عبد الحليم الذي كان يعمل في حقول البترول ، والأخ لبيب الترجمان ، والأخ الشيخ محمد فرغلي وفا الذي حكم عليه بالإعدام ، والأخ كامل الشريف الذي يشغل الآن منصب وزير في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهو مصري عاش في العريش ، ثم الأخ الضابط معروف الحضري الذي اشترك مع الإخوان في معارك فلسطين ، ثم اشترك مع الضباط الأحرار في ثورة يولية ١٩٥٢ . ومهما حاول أعداء الإخوان تشويه سلوكهم والاساءة إلى سمعتهم ، فإن مثلهم كمثّل سائر الجماعات ذات الأهداف الإصلاحية في دنيا الناس ، فيهم الخير والشر ، ومنهم المنحرف والمستقيم على الطريق . ولقد كنت أقول ، وما زلت : إن من شباب الإخوان الذين شهدناهم ، من يتقرب المسلم بحبهم إلى الله لشرف سلوكهم ، وقوة إيمانهم واخلاصهم دينهم لله رب العالمين - وكذلك تجد منهم عكس هذا الذي أقول - لا يجحد هذه الحقيقة أو يتنكر لها من يؤثر العدل والانصاف ، على الجور والميل والاعتساف .

ومن حق هذه « الذكريات » على أن أقف مع الأستاذ الهضيبي في اشفاقه من احتمال الأعباء الثقالة لو أنه قبل منصب المرشد العام بمجرد عرضه عليه . ذلك أن الفرق بينه ، وبين الامام الشهيد أن الامام الشهيد أسس الدعوة وربى شبابها في ظلال من عنايته ، وتوجيهه وطريقته في تعامله مع الله ومع الناس ، وهى الطريقة التى ترى الإسلام ديناً والدولة جزءاً منه أو تعبيراً عنه . ولقد كان لهذا التصور أسلوب عمل فى الانظمة الخاصة التى انتظمت كثيراً من الشباب الطيب فى صفوف الشعب ، وفى صفوف الجيش ، وفى صفوف البوليس ، فكان الأستاذ البنا يعرف هؤلاء الشباب بأعيانهم وبأسمائهم وبأسرهم التى ينتسبون إليها ، وبأولادهم التى يعيشون فيها ، على حين أن تلك الصورة لم يكن يعرفها الأستاذ الهضيبي حتى يفكر فيها ، ولو أنه فكر فيها ، لما انفتح قلبه لها ، كما انفتح لها من قبل الامام الشهيد .

## جمال عبد الناصر فى الإخوان وفى تنظيم شيوعى

ثم إن الأستاذ البنا كان يعرف يقيناً أن من الضباط الأحرار فى الجيش وفى البوليس ، من كان ذا صلة وثيقة بجماعة الإخوان فى نظامهم الخاص وفى محيطهم العام ، وكان الأخ جمال عبد الناصر فى مقدمة أولئك الضباط الذين اهتمهم أحوال الشعب المصرى المتغيرة كل حين من سبىء إلى أسوأ ، وقد ثبت أنه كان على اتصال بمختلف الحركات التى تنشأ الإصلاح كما كان متصلاً بالأحزاب السياسية ، وخاصة حزب الوفد ، ومصر الفتاة . ويقول الأخ حسن العشماوى : « كان جمال عبد الناصر يتخذ لنفسه معنى اسماً مستعاراً هو « زغلول عبد القادر » فإذا أراد أن يتصل بى تليفونيا ، أو أراد أن نلتقى فى أى مكان ذكر هذا الاسم ، وقد اعتاد هذا فى كل هيئة انتمى إليها أو اتصل بها . وقد علمت أنه استفاد كثيراً من تلك الفترة التى كان يحمل فيها اسماً حركياً هو « مورييس » فى خلية شيوعية ، ولابد أنه كان له اسم فى الحركة الوفدية . ولقد تبين لجميع الذين اتصل بهم أو عمل معهم أن من صفات الرجل ، أنه كان يزن كل ما يدور حوله بميزان شخصى ليعرف كيف ينتفع بكل من يتصل بهم فى الهدف الذى حدده لنفسه ، وكان كل ما يبغيه من هذه الاتصالات هو دراسة أبعاد هذه الحركات الفكرية ، وخاصة جانبها السياسى ، حتى يتعرف على بعض تشكيلاتها ، وقد اكتسب ثقته ، وبهذه الثقة استطاع أن ينتفع من كل هيئة بالقدر الذى يريده ، وعلى الصورة التى ارتأها .

فهذه الصورة التى كان يعرفها الأستاذ البنا عن الضباط المنتسبين إلى

الاخوان ، لم يكن ليعرفها الأستاذ الهضيبي على الرغم من قربه من الاخ منير دله وجماعته ، وهم كانوا يعرفون عن هؤلاء الضباط وحركتهم كل شيء .

ومهما يكن الفرق بين الرجلين حسن البنا ، وحسن الهضيبي أمرا مقررًا في أنفس الاخوان ، فإن ذلك يرجع إلى أن الأستاذ الهضيبي كان شأنه شأن الوارث الذي لم يلق عنتا ، ولم يبذل مجهودا فيما ظفر به ، على حين أن الأستاذ البنا كان لا يكاد يجد للراحة سبيلا في ليل أو نهار ، ثم هو كان هدفا للنقد والتجريح من رجال السياسة ، ورجال الدين على سواء .

فأما رجال السياسة ، فإنهم كانوا يقيمون عداوتهم له ، وملامتهم إياه على ما كان يقع من أحداث عنيفة تزعج الأمن ، وتثير القلق في أنفس المواطنين .

وأما رجال الدين ، فقد كانوا يعتبرونه مسئولا عن إقحام الدين في السياسة على صورة لا يرضاها الدين ، ولا تنتفع بها السياسة .

كان الرجل إذا جلس مجلسا ، أو تحدث حديثا تعرض له أهل السياسة ، وأهل الدين بما يحرجه فيما يتعلق بشئون السياسة وشئون الدين ، ولو قد علم أولئك وهؤلاء أن الامام الشهيد كان يكره ما يكرهون ، وينكر ما ينكرون لتغير نظرهم إليه ، فاستبدلوا بنقدهم له وتجريحهم إياه أسلوبا آخر يقوم على الرثاء له ، والاشفاق عليه . ذلك أن الناس كانوا يحملونه أوزارا لا يد له فيها بل لا علم له بها كما تشير إلى ذلك محاولة نفس محكمة الاستئناف في باب الخلق بالقاهرة ، إذ كانت هذه المحاولة الحمقاء سبب حرج شديد أخذ على الامام الشهيد منافذ الفكر ، وجعل الدنيا على سعتها أضيق في عينه من سَمِّ الخياط .

ذلك أنه لما سئل عن الذين دبروا هذه المحاولة تبرا منهم في بيان وصفهم فيه بأنهم ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين . وقد نشرت الصحف هذا البيان على صورة تثير غضب الحليم فسنحت الفرصة بذلك البيان لبعض رجال السياسة والحكم أن يستخدموه ضد الإمام الشهيد ، استخداما دفع بعض أعضاء الجهاز الخاص للكشف عن اسرار هذا النظام وتحركاته ، وعدد من أعضائه .

ولقد أذكر أن الإمام الشهيد رحمه الله كان قد بلغ به الضيق مبلغا سوغ له التفكير في أن يستبدل باسم جماعة الاخوان اسم « رابطة المصحف » حتى يتخلص بذلك مما لصق بجماعة الاخوان من خلافتات وانقسامات وأحداث ، وحتى يتفرغ للتربية التي هي أصل الأصول في جماعات الإصلاح ذات الاسناد الموثوقة في تاريخ الإسلام والمسلمين . وقد كان رحمه الله أقدر الذين نعرفهم على التربية ، بما منحه الله تعالى من قوة الشخصية وسمو الروح وشدة الرغبة في الأخذ بمن كان يعاصرهم



أو يقرأ عنهم من المربين المجاهدين الذين أخلصوا لله دينهم وفروا إليه من شواغل دنياهم . ولم يكن هذا المعنى ليخفى على الأستاذ الهضيبي الذي لا يشك من يتمثل الأحداث في أنه إنما كان يتغيا غاية سلفه العظيم باصراره على حل النظام الخاص ، أو الجهاز السرى ، إيماناً منه بأنه لا سرية في الدعوة إلى الإسلام ولا خير إلا في التقيد بالقانون واحترام النظام .

وتلك هي خصيصة ذوى الثقافات القانونية من زعماء الأحزاب ورجال الإصلاح ، وأية ذلك أن الزعيم الخالد سعد زغلول رفض رفضاً حاسماً ما كان عرضه عليه الزعيم الإيرلندى ديفاليرا إذ قاد ذلك الرجل ثورة مسلحة لتخليص بلاده من براثن الاستعمار الانجليزى ، فرأى من مصلحة حركته الاستقلالية أن يظاهره الزعيم المصرى سعد زغلول في إثارة حمل السلاح لتخليص بلاده أيضاً من براثن الاستعمار . وقد عرض ديفاليرا على سعد زغلول أن يمدّه بالسلاح ، وبذلك تلتقى ثورتان مسلحتان على الخلاص من قبضة الانجليز ، ولكن سعداً لم يقبل ذلك الأسلوب لتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وفيما كانت الشعوب المستعمرة تتطلع إلى الظفر بحريتها عن طريق حق تقرير المصير ، كان الشباب في مصر يخضع للعاطفة الثائرة ، ويحتكم إلى الثورة طريقاً لنيل الحرية من قاهره ومستعمره . وكان مظهر ذلك يتجلى في معاداة الشعب بجميع طوائفه للقصر الملكى في شتى أساليبه : سواء في ذلك أسلوبه في الاستبداد السياسى ، وأسلوبه في الاستغلال الاقتصادى ، وأسلوبه في استغلاله على الشعب واعتباره إياه جماعة من العبيد الذين لا يجوز لهم أن ينظروا إلى أبعد مما يمنحه السيد لعبده وإلا كان متمرداً يستحق التأديب .

وأية ذلك ، أن الطلاب في الجامعات كانوا ينتهزون كل فرصة ، فيذكرون في خطبهم وأحاديثهم عن أفراد الأسرة المالكة جميعاً ما يضع من أقدارهم ويشوه سمعتهم ويظهرهم للناس بمظهر أشر من مظهر المستعمر . وقد أعان على ذلك ، أن كل البيوت التى تنتمى إلى الأسرة المالكة لم تكن اللغة العربية أو المصرية الدارجة وسيلة تفاهم بينهم بل كانت وسيلتهم التفاهم بالتركية أو الفرنسية أو الانجليزية ، فكان الشعب بذلك يعتبرهم شراً من المستعمرين .

وفي هذا الجو المريب الذى تهيمن عليه الكراهية ، وتستبد به الشائعات دُعِى الأستاذ الهضيبي لمقابلة الملك فاروق ، ثم صدرت الصحف تعلن إلى الشعب نبأ هذه المقابلة في عبارات ملتوية تدعو إلى السخرية حيناً ، وإلى الاستنكار أحياناً .. وربما تضمنت بعض العبارات النيل من جماعة الإخوان واعتبرتهم جبهة ملكية تقف ضد الشعب ، وتنتصر للقصر ورجال القصر . ولهذا ثار شباب الإخوان في الجامعة والمدارس الثانوية ، وراحوا يمزقون صور الملك ، ويهتفون هتافات عدائية ضده . ولقد

انعكست هذه البغضاء على الأستاذ الهضيبي بسبب مقابله الملكية ، ثم بامساكه عن التعرض للحديث إلى الإخوان عما دار في هذه المقابلة . وفي الوقت نفسه عجز الأستاذ عبد القادر عودة وكيل الإخوان عن معالجة هذا الموقف ، وخاصة ما يتعلق بالنظام الخاص .

وكانت الفوضى والاضطراب في أحوال الأمة تنعكس على الجماعات ، وفي طبيعتها جماعة الإخوان المسلمين ، إذ كان الأستاذ الهضيبي - رحمه الله - يبرم اليوم ما كان قد نقضه بالأمس ، وهو في ذلك معذورا عذرا لا يخفى على طلاب الحق ورادة الانصاف . ولقد عوتب الرجل ذات يوم على بعض تصرفات سلك سبيلها ، فلما سئل عنها ، أجاب بأن ذلك من حقه الذي نص عليه قانون الإخوان . ولقد أذكر أن مكتب الارشاد كان ضائقا بهذه المقابلة الملكية ضيقا شديدا ، وربما لجأ إلى النكتة المصرية المألوفة لتخف بها مرارة الجد ، فقد اجتمعنا ذات يوم عقب هذه المقابلة في دار الإخوان ، وكانت العادة أن يتناول المجتمعون شيئا قبل إنعقاد الاجتماع ، فلما جاء الأخ المسئول عن تقديم هذه التحايا ، أخذ يسأل كعادته كل واحد عما يريد ، فطلب بعضهم فنجانا من القهوة ، وطلب آخر كوبا من الشاي ، ولكن الأستاذ صالح عشموي - الذي لم يعرف بمزاح - قال للأخ المسئول : أرح نفسك يا أخي من تعدد الطلبات والرغبات ، وقدم لكل واحد منا واحد « عيش سرايا » ، وقد كان الأخ صالح ، وهو يلقي هذه النكتة جادا ، ولم يضحك على حين أن المجلس كله أغرق في ضحك شديد .

## دور الإخوان في ثورة يوليو

وانتهز هذه السانحة لأقر هنا ما ذكره أخ موثوق من الاتفاق مع الأخ جمال عبد الناصر على الخطة الأخيرة لتحرك الثورة ، ودور جماعة الإخوان فيها ، والأعمال المطلوبة منهم لحمايتها ، وحماية المرافق العامة ، وحراسة مداخل القاهرة ، وكما اعتاد الإخوان من أنهم لا يأتون شيئا إلا إذا علم به المرشد ، تقرر أن يسافر فريق منهم إلى الاسكندرية حيث كان يقيم الأستاذ الهضيبي ليعرفوا رايه ، وهو بعد صاحب الأمر .

وغادر القاهرة وفد الإخوان إلى الاسكندرية ليعرضوا على الأستاذ الهضيبي أمر اتفاقهم مع الأخ جمال عبد الناصر على الخطة الأخيرة لتحرك الجيش ليلة الثورة ، ودور الإخوان المسلمين فيها ، وقيامهم بحمايتها وحماية المرافق العامة ، قال لهم : إنه لا يطمئن إلى الانقلابات العسكرية التي بدأت تسيطر على شعوب المنطقة حيث يقوم ضباط بانقلاب بعد آخر ، ويدفعون البلاد إلى عدم الاستقرار السياسي .

ولا شك في أن الاستعمار يؤيد هذا الأسلوب من الحكم في بلاد المنطقة التي نحن جزء منها ، وغايته من ذلك صيانة مصالحه في هذه البلاد ، ذلك أن الزعماء والمصلحين كانوا قد أفلحوا في حمل شعوبهم على الاعتقاد بأن الاستعمار له عدة صور :

صورة عسكرية تتمثل في جنود الاحتلال ، وصورة اقتصادية تتمثل في الأساليب الرأسمالية القائمة على الاستغلال والاستغلال ، وصورة ثقافية تتمثل في الأخذ بأساليب المستعمر في تقاليده وعاداته ، ولغته وطرائق تفكيره مع الاستخفاف بما ورثه الشعب المغلوب عن أسلافه من عادات وتقاليده .

وليس يخفى أن الاستعمار العسكرى إنما كان يقوم في البلاد قيام الحارس الحامى لسائر صور الاستعمار الاقتصادى والثقافى ، كما لا يخفى أن التخلص من الاستعمار العسكرى سهل ميسور ، في حين أن التخلص من الاستعمار الاقتصادى والثقافى عسير جد عسير لأنه قد استقر في حياة الناس استقرار العادة الحاكمة ، والهوى الغالب ، فالتخلص من هذا اللون من الاستعمار يكاد يأخذ مكانه في مجال المستحيلات . ومع أن كلمات الأستاذ الهضيبي كانت واضحة تستمد صدقها مما كان يقع في سوريا الشقيقة من انقلابات ، إلا أن الإخوة لم يقتنعوا لأنهم كانوا يثقون الثقة كلها بالأخ جمال عبد الناصر ، وقد تم لهم التفاهم معه على كل شيء .

ولقد أذكر أنني كنت في أثناء تلك الاختلافات بين الإخوان ، شيخاً لمعهد المنيا الدينى ، وكنت في الوقت نفسه مسئولاً عن المحاضرات التى تلقى في المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية بالقاهرة عن الكتاب والسنة ، فكنت أحضر إلى القاهرة يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، فأمكث مع أولادى أربعة أيام ، ثم أعود يوم الجمعة إلى المنيا للقيام بعملى .

وفي يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ رجعت كعادتى إلى القاهرة ثم ذهبت إلى المركز العام لشهود محاضرة الثلاثاء والتعليق عليها ، وقد رغب إلى الأستاذ المرشد الجديد في أن انتهز فرصة التعليق على المحاضرة ، فأذكرولى العهد الأمير أحمد فؤاد بالثناء عليه والدعاء له ، ولم أكن أدري ماذا يريد الأستاذ الهضيبي من هذا التوجيه . وقد شغلنى التعليق على المحاضرة عن توجيه الأستاذ المرشد ، فلم أتجاوز الإجابة عن الأسئلة التى كانت تقدم من الحاضرين .

وقد تبين لى بعد ذلك أن الأستاذ الهضيبي كان يعرف الموعد الذى حدده الضباط الأحرار للقيام بثورتهم في تلك الليلة ، وما كنت أعرف شيئاً عن ذلك من قريب أو بعيد . ولذلك انتصرفت إلى منزلى في ضاحية حلوان ، ولم يكن هناك شيء يستلفت النظر ، أو يثير الاهتمام ، ثم استيقظت على رنين التليفون فجر يوم الأربعاء الثالث

والعشرين من يوليو ١٩٥٢ . وأذكر أن المتحدث في صبيحة ذلك اليوم كان من  
أصدقائنا في ضاحية حلوان ، وقد أخبرني أن شيئا غير عادي حدث في القاهرة ، وأن  
هناك ثورة ضد الملك ، وسألني هل تعرف شيئا عن ذلك ؟

فأجبت بأننى معنى بشئون المعهد بمدينة المنيا ولا علم لى بشيء .  
وعند ذلك فقط اكتشفت السر الذى كان يحتفظ به لنفسه الاستاذ المرشد  
الجديد ، ثم أدركت الحكمة في توجيهه إياى إلى الدعاء لولى العهد ، فشكرت للرجل  
حكمته في أنه كان يريد من تصرفه هذا خيرا لجماعة الاخوان .  
وقد بدأت أنباء الثورة تتلاحق بعد أن ألقى أنور السادات البيان التاريخى عن  
الأسباب التى حملت الجيش على القيام بالثورة .





## القسم الثالث



مع شوار يوليو





### من معهد المنيا للوزارة

أخبرنى الصديق الكريم رشاد مهنا بأن على ماهر الذى أسندت إليه الثورة رئاسة الوزارة فور قيامها مباشرة ، كان موضع ثقة الغرب على صعيد لم يكن كذلك عند الضباط الأحرار ، ولذلك أثروا أن يكون رئيس الوزراء رجلا عسكريا له ماضٍ مرموق ، فقبل مجلس الثورة استقالة على ماهر ، وأحل محله اللواء محمد نجيب .

وفى صبيحة يوم الأربعاء السابع من سبتمبر ١٩٥٢ أمر مجلس الثورة باعتقال رجال السياسة وزعماء الأحزاب ، واستودعهم المدرسة الثانوية العسكرية .

وقد أذكر اننى كنت فى صبيحة ذلك اليوم فى طريقى إلى دار الاذاعة لأسجل حديثا دينيا صباحيا ، وكان مقرها آنئذ فى شارع علوى بجوار وزارة الأوقاف بالقاهرة ، فلما هممت بدخول الدار اعترضنى شرطى ومنعنى من الدخول ، وحاولت إقناعه ، فلم يقتنع وأصر على أن أرجع من حيث أتيت ، ثم لم أجد بدا من أن أذهب إلى مكان أستريح فيه فذهبت إلى مقهى الحرية فى ميدان باب اللوق ، وفيما أنا جالس أفكر فى العودة إلى حلوان رأيت أن اتصل عن طريق التليفون بأخى وصديقى السيد رشاد مهنا الذى عين رئيسا لمجلس الوصاية على العرش بعد الثورة ، وما كان أشد عجبى ، حين أخبرنى بأن والد زوجتى قد اتصل به راجبا إليه أن يساعد فى الإفراج عن السيد مرتضى المراغى الذى كان وزيرا للداخلية فى الحكومات الحزبية ، والذى اعتقلته الثورة صباح ذلك اليوم واستودعته الثانوية العسكرية مع سائر المعتقلين السياسيين !

وقد ضايقتنى أبلغ ضيق أن يتصل والدى زوجتى بصديقى فى منزله عن طريق تليفونه الخاص ، فاتصلت بزوجتى أعاتبها على أنها أعطت والدها رقم تليفون صديقى فى منزله ، وقد كان سرا لا يعرفه إلا القليل من أصدقائه ، وكنت أنا من هذا القليل . إن الأخ الصديق رشاد مهنا كان فى تقديرى وفى الواقع ، رجلا يخشى الله ، ويحرص أشد الحرص على القيام بشعائر الإسلام ، وإداء حقوق الوطن ، وكانت فيه نزعة صوفية جعلته حبيبا إلى كل الذين يعرفونه فى غير تكلف بغض تضيق به الصدور .



ولم تجد زوجتى أقدر على القيام بعذرهما من أن تقول لى أنها لم تستطع أن تكذب على أبيها ، فتزعم أنها لا تعرف رقم التليفون . ومع أن هذا المنطق كان مقبولا معقولا ، ولكنى لم أستطع السيطرة على شعورى بالغضب الشديد ، فقسوت عليها قسوة بالغة ، وأخبرتھا أننى فى القاهرة ، وأننى غير عائد إلى حلوان . ولم يكن لى فى القاهرة مكان أذهب إليه وأنا غضبان ، إلا منزل الأخ الصديق الشيخ يوسف عمر المدرس بالازهر والذى كان يقيم فى منطقة القلعة ، فذهبت إليه كما كنت أذهب إليه من قبل كلما دعا إلى ذلك داع .

وفىما كنت فى دار الصديق ضائق الصدر ، شديد الانفعال ، إذ بالسيد الوالد الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، ومعه الأستاذ موسى صبرى يطرقان باب البيت ليخبرنى موسى صبرى ونحن نهبط السلم أن الرئيس نجيب يريد أن يتحدث إلى ، وأن رقم تليفونه مع الأستاذ مصطفى أمين فى دار أخبار اليوم ، ثم أخذنا طريقنا إلى دار « الأخبار » وهناك أخبرنى الأستاذ مصطفى أمين بنبأ اختياري عضوا فى وزارة اللواء محمد نجيب .

وقد سألت الأخوين مصطفى وعلى أمين ، رأيهما فى قبولى الوزارة ، فأجابا فى صراحة بأنها خدمة وطنية ، وأنت رجل لك تاريخ وطنى يقوم على تجارب طويلة ، فلا يسوغ لمثلك أن يتخلى عن واجبه الوطنى ، وقد أذكر اننى قلت : فإذا لم أستطع المضى مع الضباط ، فماذا يكون موقفى عند ذلك ؟

فأجابنى الأخ الصديق على أمين قائلا : إنك كنت تكتب سلسلة مقالات فى « الأخبار » كانت موضع إعجاب القراء ، وخاصة سلسلة مقالاتك عن الازهر ومنطق الثورة ، فإذا لم تنسجم مع الضباط - كما تقول - فمكانك فى الأخبار محفوظ . وما زلت أذكر أن كثيرا من العاملين فى دار « الأخبار » يعتبروننى إلى اليوم ذا منصب مقدور فى هيئة التحرير .

ثم طلب الأستاذ مصطفى أمين اللواء محمد نجيب فى التليفون وأخبره اننى موجود الآن فى دار أخبار اليوم ، ثم أعطانى سماعة التليفون لاتحدث إلى اللواء نجيب فقال لى : أرجو أن نتعاون على مصلحة الوطن ، ثم طلب منى أن ألقاه فى قصر عابدين فى تمام الساعة السابعة مساء ، وكان ذلك فى السادسة والنصف مساء يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ .

وقد ذهبت إلى قصر عابدين ومعى موسى صبرى ، وهناك التقيت بأخى فتحى رضوان ، فالتقى بى جانبا فى القاعة التى كنا ننتظر فيها ، وأخبرنى بقصة اختياري للوزارة ، وراح يعلن إلى المنهاج الذى ينبغى أن نتعاون على تنفيذه فى العهد الجديد . والأستاذ فتحى رضوان من أولئك المواطنين الذين كانوا يعرفون تفاصيل

القضية الوطنية ، ويأتون في سلوكهم السياسى بالزعيم مصطفى كامل ، ولم يكن المنهاج الذى اعلنه إلى الأستاذ فتحى رضوان في تلك الليلة مجهولا عندى ولا عنده إذ كنا ثلاثتنا أنا ، والدكتور نور الدين طراف ، والأستاذ فتحى رضوان منذ العشرينات زملاء كفاح طويل من أجل القضية الوطنية .

## شرح أسباب قبول الوزارة للمرشد

حلفنا اليمين أمام مجلس الوصاية ، وقد استبقانى في المكتب السيد رشاد مهنا ، ثم سألنى أين تحب أن تذهب ، فقلت له إن من الحق على لجماعة الاخوان المسلمين أن أזור المرشد العام ، وأخبره بأننى قبلت الوزارة لأسباب كثيرة لم يكن في وسعى أن اتجاهلها أو أغضى عنها ، فقال لى : انتظر قليلا لنخرج سويا لزيارة رجل صالح لعله يدعو لك دعوة طيبة ، او يقدم لك نصيحة نافعة ، فبقيت ثم صحبنى إلى ذلكم الرجل الفاضل الذى يغيب عنى اسمه الآن ، ولعله الأستاذ رافع محمد رافع ، وإن كنت لا أزال أذكر كلماته الطيبة ونصيحته الغالية .

فلما أزمعنا الانصراف من مجلس الرجل رغبت أن يحضروا لى سيارة أجرة لتوصلنى إلى دار المرشد العام ، ولكن الأخ رشاد قال لى لا داعى للسيارة أنا سأوصلك إلى هناك ، ولكن لن أصعد معك ، بل أنتظر فى السيارة حتى تنزل . وفعلنا صعدت إلى الدور الأول الذى كان يقيم فيه الأستاذ المرشد ، فلما طرقت الباب قام أحد الاخوان باستقبالى ودعانى إلى حجرة المكتب ليستقبلنى المرشد فى فتور شديد وبوجه عابس لم أعده من قبل . وقصصت عليه ما حدث شارحا الأسباب التى دعتنى إلى قبول الوزارة ، وفى مقدمة هذه الأسباب تلك الانقسامات الكثيرة التى شاعت فى جو الجماعة ، ثم تصرف بعض الاخوة تصرفا استبداديا تحمل الجماعة تبعاته دون أن يكون لها رأى فيه ولا حجة عليه ، وضربت له امثلة لا تخفى عليه بعضها حدث فى عهد الإمام الشهيد ، وبعضها حدث فى عهده هو نفسه ، وبدلا من أن يُسلم الأستاذ المرشد بما ذكرت له ، وينظر من الجهة التى انظر منها تغير وجهه ، ثم قال : كان من واجبك أن ترجع إلينا ، فأجبت إن القاعدة التى ربينا عليها ودعونا الناس إليها كمبدأ من مبادئ الاخوان ، لا يملك أحد أن يخالفها او يخرج عليها ، ذلك إننا كنا نقول لانفسنا وللناس « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . ولقد كان الإمام الشهيد يضرب لنا الامثال الكثيرة التى تسوغ للاخوان أن يطلبوا الحكم ، او يشتركوا فيه .

ومهما كان مكتب الارشاد يرى غير هذا الرأى ، فإننى استصحب رأى حسن

البنا القائم على أن للدعوة اطوارا ثلاثة : هي تغيير العرف ، والطريق الدستوري ، والثورة .

وقد كان الاخوان بجميع تشكيلاتهم يعلمون عن يقين أن من الضباط الأحرار القائمين بالثورة من كان عضوا في النظام الخاص ، وثر التنظيم العام فانا إذا قبلت الاشتراك في الوزارة ، فإننى لا أزال أقوم بحق المنهاج الذى وضعه حسن البنا دستورا لكل منتسب إلى جماعة الاخوان مهما يكن وضعه في الهيئة التأسيسية ، أو في مكتب الارشاد .

ومع ذلك أرى أن أقدم لكم استقالتي من الهيئة ، ومن المكتب حتى آخذ الطريق على فتنه يستطيع إشعال نارها الذين يريدون شرًا للاخوان ، ذلك أن أهل الشر هؤلاء قد يتخذون منى وسيلة يجمعون حولها بعض الاخوان ليقاقل بعضهم بعضا ، فإذا استقلت لم تعد لى صفة رسمية يجمعون بها الناس من حول ، وأنا أكره أن أكون كبش نطاح !

ثم قلت ليست معى ورقة ولا قلم ، فقدم لى المرشد ورقة وقلم ، فكتبت استقالتي من الجمعية التأسيسية ، ومكتب الارشاد ، ومن جميع مؤسسات الاخوان في القاهرة والأقاليم .

وغنى عن البيان أن الرجل الذى قضى معظم عمره مع الامام الشهيد حسن البنا في سائر تصرفاته يستحيل أن يتصوره الناس ، أو يتصور نفسه قد انفصل عن الجماعة بعقله أو يعاطفته بمجرد ورقة كتبها . فقد ظلت إلى اليوم ، وإلى أن ألقى الله تعالى وثيق الصلة بحسن البنا الذى كان يحوطنى منذ أكثر من خمسين عاما بما يحوط به الوالد ولده .

وبعد أن انتهى هذا اللقاء الأليم ، ودعنى الرجل إلى باب مسكنه . فإذا السيد رشاد مهنا لا يزال ينتظرنى في سيارته الخاصة التى كان يقودها بنفسه ، وقد قصصت عليه كل ما حدث فرحب به واثنى على حسن تصرفى مع المرشد ، ثم عرض على أن يذهب بى إلى حلوان فرفضت مكتفيا بأن يوصلنى الى محطة باب اللوق لاستقل القطار الى حلوان ، ولكن سخر الله لى أخا كريما هو المستشار نصر الدين الفار الذى دعانى إلى سيارته فصحبته إلى حلوان .

وقد دهشت حين وصلت إلى منزل فى حلوان عند منتصف الليل لتخبرنى زوجتى أن القيادة منذ الساعة الواحدة ظهرا كانت تسال عنى ، وأن التليفون لم يكف عن الرنين حتى تحدث اللواء نجيب ، فذكر أن فى الطريق إلى منزلى سيارة جيب فيها عدد من ضباط وجنود البوليس الحربى وأن هذه السيارة سوف تظل أمام البيت حتى يحضر الاستاذ الباقورى .

وكان طبيعيا أن يتبادر إلى ذهن زوجتى وأولادى أن الأمر أمر اعتقال كما تعودت ذلك منذ أمد بعيد . ولذلك سارعت إلى التليفون فاتصلت بالمعهد فى مدينة المنيا ، وبدار العمدة فى باقور - بلدتى فى الصعيد - ثم بجميع الذين كانت لى بهم صلة إما تحذيرا لى من الحضور حتى لا اعتقل ، وإما استعجالا لحضورى حتى يختفى البوليس الحربى وسيارة الجيب من حديقة الدار ، فينصرف الشعب الذى اجتمع على هذا المنظر غير المألوف . وبعد فترة طويلة ثقيلة اتصلت بمكتب والدما فى إدارة الأزهر وطلبت إليه أن يسأل عنى فى منزل الشيخ يوسف عمر ، وفى هذه الأثناء دخل على الوالد فى مكتبه الأستاذ موسى صبرى الذى كان يبحث عنى أيضا ، فذهبا معا إلى منزل صديقى فى القلعة فوجدانى هناك ، وأخبرا زوجتى بأننى فى القاهرة ، وأننى فى الطريق إلى أخبار اليوم ، وبهذا انصرفت سيارة الجيب من حيث أتت .

على أن مما لا شك فيه ، أن الأستاذ الهضيبى لم يكن يخفى عليه شيء مما حدث فى أثناء تأليف الوزارة ، فإن الأخ منير وجماعته من أصحاب الصلة الوثيقة بالأستاذ الهضيبى ، كانوا يعلمون ما لم أكن أعلم ، ولابد أنهم أخبروا به المرشد ، وإلا فمن غير المعقول أن يتصل الأخ جمال عبد الناصر بالأخ حسن العشماوى طالبا إليه أن يرشح له من يشترك فى الوزارة من الإخوان ثم لا يخبر بذلك المرشد .

ومن أجل ذلك كان من الغرابة بمكان أن يتجهمنى المرشد ، وأن يرحب بقبول استقالتى ، وكأنه يرى أننى كنت أعلم ما حدث ، أو أننى لم أكن متهافتا على الاشتراك فى الوزارة . والذى لا يحتاج إلى مزيد بيان ، أننى لم أكن أعرف من ذلك شيئا ، ولو أننى علمت ما تركت زوجتى حائرة تسأل عنى كل من تظن أنه يعلم عنى شيئا ، وفى المقدمة المرشد نفسه الذى سألته عنى ، فأجابها بأنه لم يرنى ، ولا يعرف عنى شيئا منذ أمد بعيد .

## شهادة المسماوى للتاريخ

وأبادر إلى الاستشهاد فى هذا المقام بأخ كريم هو الأستاذ محمد المسماوى المحامى ، وكان يعمل مع الأخ حسن العشماوى فى مكتب واحد للمحاماة ، فذلك حيث قال ما أوتر أن أدونه هنا بنصه : لقد شهدت حديثا بين الأخ جمال عبد الناصر والأخ حسن العشماوى ، وقد كان يتردد فى حديثهما اسم الأخ أحمد حسن الباقورى ، فقد قال جمال عبد الناصر إن الإخوان « شوية » مشايخ ليس فيهم من يصلح للوزارة ، فأجابه الأخ حسن العشماوى قائلا : « إن فى تنظيم الإخوان شيئا أحسن من كل المرشحين للوزارة ، فسأله عبد الناصر عن هذا الشيخ ، فقال له إنه الشيخ أحمد حسن الباقورى ، فقال له عبد الناصر ، إننى أعتقد ذلك - وبذلك تم ترشيحه للوزارة .

والذى اثار الجدل ليس هو ترشيح الباقورى للوزارة ، بل قبوله الوزارة فعلا دون الرجوع إلى مكتب الإرشاد الذى هو عضو فيه . فهكذا ذكر الاخ عبد الحفيظ الصيغى المحامى فى مذكراته نقلا عن مذكرات الاخ حسن العشماوى .

وأوضح من هذه الكلمات ما ذكره الرئيس محمد نجيب فى كتابه « كنت رئيسا لمصر » حيث قال فى صفحة ١٦٧ : كان مجلس قيادة الثورة قد قرر اشتراك الإخوان فى الوزارة ، فاتصل عبد الناصر تليفونيا بحسن العشماوى بدعوه لمقابلته فى إدارة الجيش . وفى هذا اللقاء عرض عبد الناصر عليه ، أن يشترك الإخوان فى الوزارة ، وأن يكون هو - أعنى حسن العشماوى - وزيرا منهم ، ورغم أن حسن العشماوى ترك مسألة اشتراك الإخوان فى الوزارة إلى مكتب الإرشاد ، إلا أنه كان موافقا على هذا الخطوة كما علمت بعد ذلك حتى يكون الإخوان على بينة من سير الأمور ، وحتى لا يتركوا الثورة فريسة لمن يأخذها منهم . وفى هذا اللقاء الذى حضره معهما يوسف صديق ، اتصل جمال عبد الناصر تليفونيا بالمرشد العام ، وطلب منه ترشيح ثلاثة للوزارة ، ورشح الهضيبي بصفته الشخصية منير دله ، وحسن العشماوى ، ومحمود أبو السعود . وقبل أن ينهى عبد الناصر المكالمة اشتبك يوسف صديق مع حسن العشماوى فى معركة كلامية ، وشكك فى كفاءة الإخوان المسلمين إذا ما دخل بعضهم الوزارة ، فاستدل حسن العشماوى بالشيخ الباقورى على أن فى الإخوان كفايات تستحق دخول الوزارة ، وينتفع بهم فيها ، فالتقط عبد الناصر اسم الباقورى وتحمس له ، واعتبره مرشحا أساسيا إلا أن الهضيبي رفض البت فى هذه المسألة ، وأحالها إلى مكتب الإرشاد الذى رفض الاشتراك فى الوزارة ، وأكد أن اشتراك الإخوان فى الوزارة يضعف الإخوان ويقوى الثورة ، لأنه يعطيها لونا إسلاميا يبرز مكانتها وسط الجماهير المصرية المسلمة ، ويمنحها ولاء الإخوان فى كل مكان . ثم اتصل عبد الناصر مرة أخرى بالمرشد العام ليسأله عن قرار مكتب الإرشاد فقال له : إن مكتب الإرشاد قرر عدم الاشتراك فى الوزارة ، فأجابه عبد الناصر لكننا أخطرنا الباقورى بموافقتك ، وطلبنا منه أن يلتقى بالوزارة فى الساعة السابعة لحلف اليمين الدستورية . فرد الهضيبي : أنا أرشح لك بعض أصدقاء الإخوان للاشتراك فى الوزارة ، ثم ذكر له اسم أحمد حسنى الذى عين وزيرا للعدل ، ومحمد كمال الديب الذى كان محافظا لاسكندرية ، وفى اليوم التالى صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصل الشيخ الباقورى من هيئة الإخوان بعد أن أصبح وزيرا بساعات قليلة ، وبذلك بدأ الصدام بين الإخوان والثورة .

« تلك هى الحقيقة سافرة فيما ذكر الاخ محمد المسماوى المحامى ، والرئيس محمد نجيب » .

## الهضيبي يزورنى فى الوزارة

لقد كان الاستاذ الهضيبي مغتبطا أشد الاغتياب باستقالتي من الإخوان ، ومع ذلك زارنى فى مكتبى بالوزارة ومعه بعض الإخوة ، ورغبوا إلى أن أصلح بينهم وبين الاخ جمال عبد الناصر ، إذ كان هذا الصلح مصلحة لهم أى للإخوان ، ومصلحة للثورة على سواء ، وقد بذلت فى سبيل ذلك كل ما أستطيع دون أن أبلغ فى ذلك ما كنت أريد ، لأن الذى كان يرضى الإخوان لم يكن ليرضى الثوار ، وما كان يرضى الثوار لم يكن ليرضى الإخوان ، فسار كل من الفريقين فى الطريق التى أثارها سبيلا إلى إرضاء عقيدته ، أو إلى تحقيق مصلحته .

وما زال طلب الحكم وسيلة فى المجتمع الإنسانى إلى إثارة الفتن التى ينفخ فى نارها الحرص على الجاه والإبقاء على السلطان ، ويبدو ذلك على غاية الوضوح لكل من يتدبر تاريخ أمتنا الإسلامية فيراها يأتى بعضها ببعض ، ويقتل بعضها بعضا على الرغم مما يعرفه أبناء الأمة من التحذير من كل ما يثير فتنة أو يسفك دما ، أو يفضى بالاخوة الإسلامية إلى استحلال ما حرم الله ، والاحتكام إلى غير ما قضى رسول الله ﷺ بين المسلمين .

فى اليوم التاسع من سبتمبر ١٩٥٢ م دعى مجلس الوزراء الجديد إلى الاجتماع للنظر فى قانون الإصلاح الزراعى وقوانين الأوقاف .

وقد انتهزت أول فرصة سنحت استعين فيها برأى رجل ذى تجربة وصاحب دين ، فذهبت قبل اجتماع المجلس لزيارة الأستاذ محمد على علوبة فى داره بمصر الجديدة نزولا على حكم التقاليد الأزهرية التى ورثها الأسلاف للأخلاق ، وهى تقضى على كل من يخلف كبيرا فى منصبه أن يحرص على اللقاء به لعله أن ينتفع برأى له ، أو يظفر بتوجيه منه .

وقد كنت شهدت معركة بين أنصار الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ومحمد على علوبة باشا وزير الأوقاف ، وأنا يومئذ طالب فى الدراسات العليا بالأزهر .

ولست أنسى أننى فى إحدى هذه المناظرات فى جمعية الهداية الإسلامية حول الوقف الأهل ، أبدت إعجابا بما سمعت من الأستاذ علوبة باشا فى هذا الشأن ومطالبتة بحل هذا الوقف ، فأغضب إعجابى به طائفة المتعصبين عليه حتى اشتبكنا فى معركة كنت فيها فردا أمام جماعة لا يعصمها دين ولا يردعها قانون .

فخرجت من هذه المعركة شاكرا لله جميل لطفه بى فى حمايته إياى من عصبية حمقاء تؤثر قوة الأيدى على قوة الحجج ونصاعة البرهان .

## الإصلاح الزراعى وحل الأوقاف الأهلية

لما زرت علوبة باشا عرفت منه ما لم أكن أعرف من ضروب الفساد التى كانت تنتفش فى الأوقاف ، وقد ضمنت إلى ذلك فتوى لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رضى الله عنه - وفيها يقول : « إن الوقف لا يكون إلا على الخيرات لأنه صدقة خالصة ، ثم إن الوقف الأهلى باطل لا أصل له فى الشريعة ولا سند له من دليل صحيح » .

وعن ذلك ذهبت إلى اجتماع مجلس الوزراء ، وهناك عرض قانون الإصلاح الزراعى على أساس تحديد الملكية بحيث لا تزيد ما تملكه الأسرة عن مائة فدان ، وقد كان الأستاذ المرشد يقترح خمسمائة فدان للأسرة ، وكان هناك رأى آخر يرفض التحديد ويلجأ إلى الضرائب التصاعدية . وأذكر أننى اقترحت مائة فدان للأولاد بحيث تملك الأسرة وأولادها مائتى فدان ، فرأى المعتدلون من الثوار أن هذا رأى يرضى جميع الأطراف . ثم عرض قانون حل الأوقاف الأهلية ، وكان من العدل والمصلحة معا أن تسترد التى كانت النظارة عليها للخاصة الملكية ، وهى حوالى مائة ألف فدان .

ولا يسع المنصف أن يترك هذا الموضوع دون الإشارة إلى الأمثلة السيئة التى كانت تقترن فى أذهان المواطنين بالأوقاف ، والمتعاملين معها .

فمن تلك الأمثلة ، وقف على جمعية كونتها زوجة لورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر ، وقد وضع الواقف توفيق نسيم باشا تحت تصرف تلك الجمعية ممتلكات له فى شارع الهرم ، وفى بلدة طنناح عند المنصورة ، وقد أسندت رئاسة الجمعية إدارة الوقف فى شارع الهرم إلى سيدتين إنجليزيتين .

وقد كان ذلك بلا ريب عملا شاذًا باطلا لا ترضاه وطنية ، ولا يسمح به قانون ، فاسترجعت الوزارة هذا الوقف إلى نظرها ، واحتكمت فيه إلى الشريعة والقانون .

ومن تلك الأمثلة ، تأجير أطيان الأوقاف فى مزادات علنية - صورية طبعًا - إلى بعض ذوى النفوذ من المصريين ، وقد استأجر بعض هؤلاء السادة من الوزارة آلاف الأفدنة ، ثم أجراها لصغار الفلاحين بأضعاف ما استأجرها به من وزارة الأوقاف .

وفى أحيان كثيرة كان المستأجر من الوزارة يرهق المستأجرين منه إرهابًا يستنفذ كل قواهم فى فلاح الأرض وزراعتها وتنقيتها من كل ما يضر بشمارها ، أو ينتقص من غلاتها ثم لا يعطيهم إلا القليل الذى لا يقوم ببعض حاجاتهم الضرورية ، فإذا الفلاح وأهله وجميع ما يملكه ملك للمستأجر من الوزارة .

وقد ألغيت بحمد الله هذه الصورة ، فأصبحت الصلة بين الوزارة وصغار الفلاحين دون وسيط . ومن تلك الأمثلة البغيضة ، ما كان يتحدث به طبيب بيطرى موثوق اسمه الدكتور محمد عبد الشافي ، فيقول : إنه إذا نفق حيوان بقرة أو بعيرا في أحد التفاتيش الخاضعة لنظارة الخاصة ، فإن على ناظر التفاتيش أن يوزع ثمن هذا الحيوان النافق على المستأجرين ، فيدفع كل واحد منهم نصيبا معلوما يفرضه الناظر كيف يشاء حتى لا تخسر الخاصة الحيوان النافق ، وقد زال كل هذا البلاء عندما استردت الوزارة ما كانت قد وضعت تحت يدها من أطيان الأوقاف .

ومن أسوأ الأمثلة ذات الدلالة على سقوط المروءة ، وانعدام الشعور بشرف المواطنة ، ما كانت تلجأ إليه وزارة الأوقاف من شراء دم الفقراء لقاء قروش معدودات لا تسمع ولا تغنى من جوع ، ذلك أن الوزارة كانت لها مستشفيات وكان المرضى في هذه المستشفيات يعالجون مجانا إمضاء لرغبة الواقفين على جهات البر ، وكانت الوزارة تشتري الدم من بعض المواطنين المحتاجين للعلاج .

وقد كان من فضل الله على أننى ألغيت هذا النظام الخسيس ، فأمرت ببحث حالات كل من يبيع دمه ، فإذا ثبت حاجته أعانتته الوزارة براتب شهري من أموال البر .

وقد كان بين المؤذنين ، وبين الوزارة خلاف ، وقضايا كانت الوزارة تستند إلى قوتها في مواجهة أولئك الضعاف من خلق الله ، وقد تفضل الله على في أوائل عهدي بالوزارة فوقفت إلى جانب المؤذنين ضد الوزارة .

## درجات لأئمة المساجد

وكان يقف معي ويأخذ بوجهة نظري الإخوة : حسين الشافعي ، وجمال سالم ، وكمال الدين حسين . وإلى جانب هذه القضية ، كانت هناك قضية أخرى لأئمة المساجد فقد كان أحدهم يخرج بعد إحالته للتقاعد ، وليس له الحق في معاش ، ولكنه يتقاضى مكافأة زهيدة لا تلبث أن تنزل ، وقد كان من فضل الله على أننى سعيت إلى وضع درجات لهم في الميزانية ، فأصبحوا كسائر الموظفين لهم حقوق في العلاوات والترقيات والمعاشات .

وقد استعنت في هذه الخطوة العادلة بالأخ البهى الخولى الذى عينته مراقبا للشئون الدينية في الوزارة ، وكذلك الشيخ محمد الغزالي ، والأخ الشيخ سيد سابق في كل ما يتعلق بشئون الدعوة والثقافة ، فأصبح من حق أئمة المساجد أن يظفروا بالدرجة الأولى التى لم يكن يظفر بها إلا القليل من الموظفين في دواوين الحكومة .



## حماية الإخوان من قانون تنظيم الأحزاب

وليس في حاجة إلى مزيد بيان أن هذه التصرفات التي أشرت إليها ، وتقويم العوج فيها ، إنما هي تصرفات يرضاها الإسلام ، ويعتز بها المسلم أمام الذين يرون المنصب الوزاري لا يزيد على أنه خضوع لبريق الجاه ، أو سعى إلى نفوذ السلطان ، وهو ما كنت أجاهر به الذين يأخذون على قبولى التعاون مع الثوار . على أن الأمر لم يقف عند هذه الغاية بل تجاوزها إلى حماية الإخوان من الخضوع لقانون تنظيم الأحزاب السياسية الذى صدر فى التاسع من سبتمبر ١٩٥٢ ، ذلك أن الثورة طلبت من الأحزاب أن تنظم نفسها ، ولكننى شعرت أن من الحق على لجماعة الإخوان ألا ينطبق عليها قانون الأحزاب لأنها ليست حزبا ، ولذلك رغبت إلى السيد جمال عبد الناصر - تحقيقا لرغبة المرشد الهضيبي - أن يستخدم نفوذه لإبعاد الجماعة عن نطق قانون الأحزاب ، وقد استجاب الرجل هذا الرجاء فطلب من الرئيس نجيب عدم اعتبار الإخوان حزبا قائلًا له : إن الإخوان كانوا من أكبر أعوان الثورة قبل قيامها ، فليس يصح أن يطبق عليهم قانون الأحزاب ، ولكن الرئيس نجيبا رفض طلب عبد الناصر بحجة أن القوى السياسية يجب أن تكون سواء أمام القانون . فلما ينس عبد الناصر من الرئيس نجيب : اتصل بسليمان حافظ الذى وجد له مخرجا قانونيا مناسبا بعد أن قام عبد الناصر والمرشد الهضيبي بزيارة سليمان حافظ فى مكتبه بوزارة الداخلية ، كما قرر ذلك الرئيس نجيب فى مذكراته . وقد كانت نجاة الجماعة من قانون الأحزاب سببا فى راحة نفسية شاملة أعانتنى على المضى فيما كنت قد أخذت به نفسى من زيارة الأقاليم كل يوم جمعة ، خطيبا فى مسجد أو زائرا لكنيسة ، وقد كانت الأحزاب على اختلاف مناهجها ومبادئها تضيق بالثورة والثوار .

ولقد أذكر أننى زرت ذات يوم المعهد الدينى فى مدينة المنصورة ، فإذا بالآخ الدكتور خميس حميدة ، وهو يومئذ من أبرز أعضاء جماعة الإخوان يقول بأعلى صوته ، وهو إلى جانبى : « الباقورى هو المسئول عن الإسلام » . وراح طلاب المعهد يرددون وراءه هذه الكلمات على صورة تدعو إلى العجب !!

ولم يكن الدافع إلى هذه التهافتات ظاهرا للناس ، إذ كان مرتبطا بقصة خلاصتها أن صحافة العالم ، وخاصة صحافة الغرب كانت تطلق لقب « الديكتاتور العادل » على الرئيس نجيب ، وقد خيل إلى تلك الصحافة أن كمال اتاتورك قدوة لزعيم ثورة يوليو ، وقد أسرفت تلك الصحافة فى الحديث عن الديكتاتور العادل حتى إن كثيرا من شباب مصر كان يردد كلمة ينسبونها للأستاذ الإمام محمد عبده تقول : « لا يصلح الشرق إلا مستبد عادل » . والذين يعرفون أساليب الاستعمار يرونه يقول الكلمة لا يصف بها أمرا واقعا ، ولكنه يُوجه بها إلى ما ينبغى أن يكون . وغير



□ الباقورى يخطب فى الكنائس

خفى على أهل المعرفة أن الصحافة المستنيرة لا تعقل أن يلتقى العدل مع الاستبداد إلا إذا التقى الليل مع النهار فى آن واحد .

وكان دستور البلاد لسنة ١٩٢٣ قد الغته الثورة على لسان رئيسها نجيب فى العاشر من ديسمبر ١٩٥٢ ، وكان لزاما على الثورة أن تمكن للهدوء وللاستقرار ، فأعلنت فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتمكن فيها القائمون على شئون الحكم من اختيار أسس دستور سليم ، فانطلق الشعب بجميع هيئاته : الوفد ، والإخوان والاشتراكيون وغير أولئك وهؤلاء ، ثم راحوا يقللون من أهمية الثورة ويشككون فى خطواتها ، ويدعون الناس فى كل مكان إلى اعتبار الثورة ، ثورة الشعب وليست ثورة الجيش ، ومن أجل ذلك شكل الثوار لجنة من خمسين عضوا تنظر فى دستور يصون للبلاد حياة كريمة تقوم على أساس من الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والسلام الاجتماعى بين المواطنين .

وقد أذكر - لله ثم للتاريخ - أن الأخ عبد الناصر قال لى ذات يوم : « إن المظاهرات فى كل مكان فى الجامعة ، وفى مختلف تجمعات الشعب ، والخلاف على

الدستور ليس له غاية ينتهى إليها حتى لقد فكرت أن استبدل باللجان الدستورية « المجلس الوطني الكبير » . وهو يعنى بالمجلس الوطنى الكبير ما كان قد تغياها كمال أتاتورك من جعل الدولة علمانية تضع الدين بمنأى عن السياسة ، إذ كان الدين أمرا وجدانيا بين العبد وربّه لا يسوغ فيه الخروج عما يتوارثه الاخلاف عن الأسلاف ، على حين أن السياسة مصالح دنيوية يتقيد أهلها بما يروونه المصلحة لشعوبهم ، فيدورون معها حيث دارت أحرارا غير مقيدين .

وربما زعم أتاتورك وأمثاله ، أن العالم الغربى لم تنهيا له وسائل التقدم والارتقاء إلا بعد أن أخذوا بهذه الفلسفة التى تكذبها وقائع التاريخ ، ذلك أن الدول الأوروبية لم تتجهم دينها ، ولا تخلت عنه فى حال . وأية ذلك أن فرنسا لا تفتأ تظهر فى كل فرصة بمظهر دينى مسيحى لا سبيل إلى المغالطة فيه ، لأنه فوق المغالطة يتراءى ذلك لكل ناظر حين يرى حكومة فرنسا تستدعى رئيس أساقفة باريس ليصلى على جنازة المارشال فوش فى وزارة الخارجية ، وكذلك الأمة الإنجليزية المتدنية تدبنا تشير إليه المناقشات التى ثارت فى مجلس اللوردات حول استحالة الخبز والخمر إلى جسد السيد المسيح ودمه عن طريق تقديس القسيس ، وصلاته على الخبز والخمر .

وبيان ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية والمحافظين من الكنيسة الانجيلية المنشقة عنها يقولون : كلما قدس الكاهن على الخبز والخمر وإلفظ الجملة التى قالها السيد المسيح ، فإن الخبز يتقلب إلى الجسد الحقيقى للسيد المسيح ، كما تنقلب الخمر إلى الدم الحقيقى للسيد المسيح . وإلى جانب هذا المذهب مذهب آخر يقول : إن الاستحالة الحقيقية مستحيلة بذاتها ، ومخالفة للعلم والفن ، وأن الخبز لا يمكن أن يتحول إلى جسد المسيح ولا الخمر إلى دمه بالمعنى الحقيقى . ذلك أنه يقدس كل يوم ملايين من القسيسين ، فكم مليوناً يقع هذا التحول كل يوم لجسد واحد ؟ ولكن المراد أنه إذا حصل التقديس ، فإن الناس يتذكرون جسد المسيح تحت صورة الخبز والخمر ، فهذا الكلام من قبيل الرموز الكنائسية ، وليس من قبيل الحقائق .

وإذن فالقول بأن أوروبا تخلت عن مسيحيتها ، لا يزيد على أنه اغلوطة روجها مصطفى كمال أتاتورك رئيس جمهورية تركيا لغرض فى نفسه يتغيا به سلخ الأمة التركية تدريجيا من العقيدة الإسلامية وما يتصل بها .

فهذه المعانى كلها كانت تدور فى رأسى حين سمعت كلمة السيد عبد الناصر : « إننى أريد أن استبدل باللجان الدستورية المجلس الوطنى الكبير » . فقلت له فى غير تمهل ، وعلى غير تعقل وتحفظ : إنك إن فعلت ذلك ، فقدت وجودك كله : ماضيك وحاضرك ومستقبلك ، ثم وضعت شعبك المصرى الذى إئتمنك على مقدساته موضع العبد المسخر للسيد المطاع الذى يتحكم فى عبده كما يشاء حيث يشاء متى يشاء . وواضح أننى قلت هذه الكلمات ، وأنا مستعد لاحتمال كل تبعاتها فى مواجهة إنسان

لا يعرف إلا لغة القوة ، ولا يعنيه إلا جاه الحكم ، فلعل هذا أو شيئاً منه كان قد بلغ الإخوان ، وحمل الدكتور خميس على أن يلقاني في المعهد الدينى بالنصويرة بهذا الهتاف العجيب : « الباقورى هو المسئول عن الإسلام » .

ومهما يكن الأمر فقد راح الإخوان يتجادلون من حولى بين مؤيد ، ومعارض حيال قبولى المنصب الوزارى فى ثورة يوليو .

وقد أذكر فى هذه المناسبة ما روتته جريدة « الأهرام » فى عددها الصادر فى ١٣/٩/٥٢ حيث قال مندوبها للأستاذ محمد البنا شقيق الإمام الشهيد : ما رأى فى اشتراك الأستاذ الباقورى فى الوزارة ؟ فقال الأستاذ البنا : إن الفترة التى تجتازها البلاد تجعل من الوزارة شيئاً آخر غير الذى ألفناه من قبل ، فالوزارة الآن تكليف لا تشريف ، وغرم لا غنم ، وأنا أعتبر من يرفضها فى هذه الظروف الدقيقة فاراً من الميدان وهارباً من التجنيد لخدمة الوطن . والشيوخ الباقورى - كرجل من رجال دعوة الإخوان - له رسالة ، وأعتقد أن اشتراكه فى الحكم هو الوسيلة الوحيدة ، والطريق القصيرة لأداء هذه الرسالة ، وأعتقد كذلك أن إمامنا الشهيد رضوان الله عليه لو كان معنا فى هذا الوقت لبارك هذه الثورة ، وما منع أحداً من الإخوان الاشتراك فى الحكم ، فالحكم - فى نظرنا - وسيلة لا غاية . « ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

ولما سأله المندوب عن سبب استقالة الأستاذ الباقورى من الإخوان ابتسم وقال : لقد أجاب وكيل الإخوان حين سئل عن ذلك بهذه العبارة « إن الأستاذ الباقورى كان دقيقاً » . ثم قال الأستاذ محمد البنا : إن الأستاذ الباقورى نفسه أجاب أحد الإخوان حين سأله هل قدمت استقالتك من الإخوان ؟ فقال : وهل يمكن أن يتحلل الإنسان من كيانه ووجوده ؟ .

وعلى الرغم من اختلاف رأى بين الإخوان مضيت على ما كنت قد رسمته لخير الشعب وخير الإسلام ، فكنت أحرص على إلقاء خطبة الجمعة فى عواصم المديرىات والمراكز والقرى فى مختلف أنحاء القطر ، وكان أغلب شباب الإخوان فى كثير من البلاد يحرصون على أن يصاحبونى إلى البلد الذى نشرت الصحف أننى سألقى خطبة الجمعة فيه .

ومن الطرائف التى لا يفوتنى ذكرها فى هذه المناسبة : أننا اعتزمنا ذات يوم أن نصلى الجمعة فى مسجد فى كفر الشيخ فى شمال الدلتا ، وكان الطريق معطلاً يمتنع السير فيه حتى يتم إصلاحه ، وكان يقوم على حراسته عامل من عمال الطرق ، وقد حاول سائق السيارة أن يتجنب الطريق الترابى إلى الطريق الجديد ، ولكن الحارس أبى أن يسمح لنا بالمرور ، فأخبره السائق بأن السيارة سيارة الوزارة وأن الذى يركبها هو الوزير ، وكبار الموظفين فى الوزارة ، ومع ذلك ظل العامل متشبثاً برأيه .



□ خطيب الثورة وقف الباقورى في اوائل ١٩٥٢ يلقي خطبته قبل ان يؤم رجال الثورة للصلاة ويرى في الصورة محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصلاح سالم وحسين الشافعى .

فأعطاه بعض النقود إيمانا منه بأن المال كفيل بفتح الطريق . ولما سمح العامل لنا بالمرور جاء إلى وأدى التحية المطلوبة من مثله في مثل هذه الحال ، ثم أتبع تحيته بكلمة حملتنا على الإغراق في الضحك - ذلك أنه قال جادا غير مازح - يا سيادة الوزير هل هناك مانع في أن تأخذ الحكومة الصغيرة من الحكومة الكبيرة بعض المال ؟

فقد اعتبر الرجل نفسه حكومة صغيرة ، واعتبرنا نحن حكومة كبيرة ، ولم يجد مانعا في أن تدفع له الحكومة الكبيرة بعض المال . وأذكر أنني طلبت إلى بعض الزملاء أن يستدعيه إلى الوزارة ، وأن يبذل له معونة شهرية ، أو يجد له عملا يليق به في حرصه على التعليمات وشجاعته في إبداء رأيه ، واعتباره نفسه حكومة صغيرة .

وقد مضيت على تلك السنة في تأييد الثورة عن طريق الرحلات في داخل القطر من الاسكندرية شمالا إلى أسوان جنوبا ، ومن بورسعيد شرقا إلى مطروح غربا . وعلى مثل ذلك كان تصرفي خارج القطر المصرى ، فرحلت إلى السودان شماله وجنوبه حتى إذا كانت سنة ١٩٥٣ ، أبلغنى الأخ الزميل زكريا محيى الدين بأن مجلس

قيادة الثورة رأى أن يسند إلى إمارة الحج ، ولما عرض هذا القرار ، اعترض الرئيس محمد نجيب على استخدام كلمة أمير الحج ، واقترح بدلا منها كلمة رئيس بعثة الحج . وأذكر أنني ناقشت الرئيس في هذه الجلسة مناقشة طويلة تستند إلى أن هذا اللقب لقب قديم منذ صدر الإسلام ، وأن في مصر أوقافا على الحرمين اشترط واقفوها أن يحمل ريعها إلى الأراضى الحجازية أمراء الحج ، فهذا اللقب إذن ليس من الألقاب التى تدخل في سلطان القانون الذى ألغيت به الألقاب ، وقد وافق المجلس على استبقاء لقب أمير الحج ، فكنيت بذلك آخر أمير حج ، وكان كل من خرج بعد ذلك على رأس بعثة الحجاج يخرج بلقب رئيس بعثة الحج .

## بقاء مع جلالة الملك عبد العزيز والأمير فيصل

معروف أن كسوة الكعبة كانت تنسج بأيدي موظفين في الأوقاف ، وكذلك كسوة الضريح الشريف في المدينة ، وكان يطلق على الكسوتين كلمة « محمل » ، وكان الجمل الذى يحمل الكسوتين يعرض على الأمراء والوزراء في صحراء العباسية ، وكان من المتعارف عليه أن يسلم زمام الجمل الذى يحمل الكسوة إلى الحاضرين فيأخذهم كل واحد ويقبله ، وبذلك ينتهى الاحتفال بعرض المحمل على هذه الصورة . وأذكر أن بعض المواطنين شكوا إلى أن أصحاب الجاه هم وحدهم الذين يستمتعون برؤية الكسوة والتبرك بها ، فرأيت أن تعرض الكسوة في مسجد سيدنا الحسين حتى يستطيع كل مسلم أن يشاهدها ويتبرك بها كما يشاء . وكذلك سافرت مع الكسوة إلى الأرض المقدسة ، وكان العرف أن يحمل أمير الحج كتابا من رئيس الدولة إلى جلالة الملك عبد العزيز وحين هبطنا من الباخرة مع أعضاء البعثة ذهبنا لمقابلة جلالة الملك الذى كان ذلك اليوم في جدة ، فذهبنا في ملابس الإحرام ، ولم يكن من اللائق أن أرفع إلى جلالته كتاب رئيس الدولة ، فلما فرغنا من شعائر العمرة حددوا لنا لقاء لجلالته في الرياض ، وكان يرافقنا مندوب برتبة لواء من الحكومة السعودية اسمه اللواء حمدي ، وقد صحبنا في الطائرة إلى الرياض .

وفيما نحن في الطريق إلى تلك المقابلة لفتنى المرافق إلى شاب قسيم وسيم قائلا لى : هذا هو سمو الأمير فيصل ، ولم أكن قد رأيته من قبل عن قرب ، فلما اقتربنا منه تقدم إلينا وصافحنا ، ثم أخذ بيدي مبالغة في التكرم ، وقال لى : إن لى اليك كلمة هى أن والدى متعب وهو يجلس على كرسيه يستمع إلى درس بعد العصر كل يوم ، فإذا دخلتم إليه فلم يقم لكم ، فلا يكونن في صدرك حرج . وكان الرجل وهو يقول هذه الكلمات شديد الانفعال - ثم دخلنا على الملك ، وبدلا من أن أصافحه مصافحة عادية ، انحنيت على يده احتراما ، وأنا أتمثل انفعال الأمير فيصل ، وهو يتحدث عن والده .



□ ربطت صداقة خاصة بين الأمير فيصل (منذ ان كان وليا للعهد) وبين الباقوري . قامت على الاعجاب والتقدير المتبادلين .

ومع ان هذا كان أول لقاء بين الأمير وبينى ، فإننى أحسست وكأننى أعرفه منذ عهد بعيد ، وظلت صلتى به وثيقة قائمة على المودة والمناصحة فى كل موضع لقيته فيه ، واع كل أمر عرضنا له .

ولاول ما أخبرنى الاخ زكريا محبى الدين بقرار تعيينى أميراً للحج ، وقع فى نفس أن وراء هذا القرار معنى مقصودا ، هو أن بعض الإخوان المسلمين كانوا ينتهزون مواسم الحج فى عرفة فيخطب خطبائهم داعين للحجاج إلى اعتناق دعوة الإخوان المسلمين ، فأراد الثوار أن يضعونى هذا الموضع الحرج ، فيما أن أعارض خطباء الإخوان انتصارا للثورة باعتبارى وزيرا ، وإما أن أوافق دعاة الإخوان فى موقف لا يجوز للمسلم أن يشتغل فيه إلا بتمثل عبوديته لله رب العالمين وحده لا شريك له .

## قادة الثورة يحجون لمراقبة نجيب

وفي هذا العام نفسه قرر الرئيس نجيب أن يحج ، ولما شعر اخوانه بذلك قرروا أن يشاركوه ، فجاءوا معه للحج أيضا في ذلك العام وهم : جمال عبد الناصر ، وحسين الشافعي ، وصالح سالم ، حتى يراقبوا الكلمات والخطب التي يقولها لأنه كان حريصا أشد الحرص على أن يكون هو المتكلم عن الثورة باعتباره مفجرها ، ورافع اعلامها في كل مكان يذهب اليه ، أو يلتقى بالناس فيه .

وكان مما يؤخذ عليه حرصه الشديد على التماس موضع للنقد في زميل من زملائه ، أو رؤوس من مرعوسيه .

والدليل على ذلك ، أنني في « منى » دعوته وبعض كبار المصريين لتناول طعام الافطار لنذهب بعد ذلك إلى تهنئة الملك بالعيد ، وما كان أشد عجبى من الرجل وهو يستنكر الاسراف في أموال الأوقاف بتقديم هذا الافطار ، مع أنه لم يكن طعاما غير عادى ، وكنت قد إتفقت مع فندق مصر على تقديمه .

وقد ضايق كلام الرئيس نجيب زملاءه من الثوار ، واعتبروا أن هذا التصرف لا يليق بمثله في مثل هذا الموقف . ولم يكن ضيق زملائه به ناشئا عن سبب واحد ، ذلك أنه كان قد قسا قسوة بالغة في نقد زملائه نقدا بلغ غاية التجريح ، كما ذكر ذلك هو نفسه في كتابه « كنت رئيسا لمصر » . وقد أضيف إلى ذلك أنه نشر له كتاب بعنوان « مصير مصر » . وقد أهدى هذا الكتاب إلى السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق ، والذي كان بينه وبين الثوار خصومة نتيجة انضواء نوري السعيد في حلف بغداد مع بريطانيا ، وقد كان نوري السعيد يلخص منهاجه السياسى في كلمتين يقول فيهما : « أنا هاشمى الولاء انجليزى السياسة » .

وبانضمام هذه الأمور بعضها إلى بعض بدأت مرحلة بين الثوار تتهدد صلة الود بينهم ، وتترىص بهم الدوائر التي يشمت بها العدو ، ويرثى لها الصديق .

## مندوب القيادة وسلطاته

وقد عصفت رياح هذه المرحلة في كل مكان يجتمع فيه ممثل الوزارة وممثل الجيش . ذلك أن كل وزير مدنى كان يشاركه في وزارته أحد الضباط الذى كان يسمى مندوب القيادة ، وذات يوم جاء إلى مكتبى في الوزارة مدير القضايا ، وأخبرنى أن السيد يوسف صديق مندوب القيادة طلب اليه مستندات بعض الأوقاف ليدرسها ، ويبدى رأيه فيها ، وقد تولتني الدهشة لهذا الحدث ، فطلبت الأخ جمال عبد الناصر



وأخبرته ، ثم قلت له : « إن هذا التصرف لا يغضبني وحدي ، ولكنه يغضب كل انسان له كرامة ، وانا اكره لك أن تقول كلاما لا يمثلته الواقع ، وقد قلت فيما تقول للناس : إرفع رأسك يا أخى ، فقد مضى عهد الاستعباد ، وانا شخصيا كما تعرفنى لا أطبق هذا اللون من التعامل الذى أراه ماسا بكرامة الذين يعملون على تحرير الوطن واعزاز المواطنين .

وانذكر أن الرجل قال لى : إننا نعتبرك واحدا منا فاصنع ما تراه وانا موافق .

وبذلك دعوت السيد يوسف صديق الذى لم أكن أكرهه ، وكنت أحمل تصرفاته على خير المحامل ، ثم عاتبته على سلوكه مع مدير القضايا ، ولم أشأ أن أخبره بما قاله لى عبد الناصر ، وكان يوسف صديق كما اعتقد رجلا حسن النية ، فاعتذر عن سوء تصرفه ، ولم يحضر إلى الوزارة بعد ذلك .

وكانت هذه الصورة تشنير إلى ازدواجية بغیضة لا يرضى عنها مسئول ولا يصلح عليها عمل ، وقد تكررت هذه الصورة فى وزارات أخرى كوزارة المعارف التى كان وزيرها يومئذ اسماعيل القبانى . فقد انعقد مجلس الوزراء ، وبدأ الوزير القبانى حديثه متهدج الصوت شديد الانفعال ، وشكا إلى المجلس مجتمعا تصرف السيد مندوب القيادة ، ثم أتبع شكواه بكلمة نابية إذ قال : « غير معقول أن ( حته ) ضابط يتحكم فى ، وانا وزير ، ولى تجربة طويلة فى وزارة المعارف إلى أن صرت وزيرا لها . .

وما أن فرغ الوزير القبانى من كلمته العاتبة الغاضبة حتى قال له جمال سالم : « إن حته الضابط ده هو اللى خلاك وزير ، .

وقد رأى الرجل من حق نفسه عليه أن يستقيل ، فقدم استقالته وقبلت فوراً .

وقد حملت هذه الازدواجية الثقيلة على التماس حل لها باعتبارها مشكلة تستدعى المناقشة لا يحلها الا القانون ، ولذلك بدأ الدكتور السنهورى ، والاستاذ سليمان حافظ يعملان على حل هذه المشكلة ، فاتفقا على تشكيل لجنة اتصال دائمة بين الحكومة ومجلس الثورة .

## لجنة اتصال سرية

وقد تشكلت هذه اللجنة برئاسة الرئيس نجيب وعضوية كل من سليمان حافظ ، وعبد الجليل العمرى ، واحمد حسن الباقورى ، واحمد حسنى ، وفؤاد جلال عن الوزراء المدنيين ، ثم جمال عبد الناصر ، وجمال سالم ، وعبد الحكيم

عامر ، وعبد اللطيف البغدادي ، وكمال الدين حسين عن مجلس الثورة ، وكنا نجتمع في ثكنات قصر النيل ، وكانت اجتماعاتنا سرية حتى سقط دستور ١٩٢٢ فحل محل هذه اللجنة مؤتمر مشترك يضم كل أعضاء الوزارة ، وكل أعضاء مجلس الثورة على أن يجتمع هذا المؤتمر مرة كل اسبوعين علانية ، وعلى الرغم من ذلك لم تنجح هذه المحاولات في القضاء على الازدواجية بين المدنيين والعسكريين . ومن العجيب أن سليمان حافظ كان عسكريا أكثر من العسكريين ، فكان يرى أن الأولى بالسلطة هم الضباط ، وأن لهم أن يتصرفوا كما يشاؤون ، وقد بلغت به الحماسة ذات يوم أنه طلب إلى الوزراء المدنيين أن يستقيلوا حتى يمكننا الضباط من تأليف الوزارة التي يريدونها ، وينسجمون معها .

وأذكر أننا قد اجتمعنا للتشاور في هذا الأمر في منزل الدكتور نور الدين طراف وزير الصحة ، وقد بدأ المجتمعون حديثهم عن استحقاقهم المعاش فأخذوا يحسبون مدة خدمتهم ، فلما أطمأنوا إلى ما يكفل لهم حياة مريحة في مستقبل أيامهم قرروا أن يستقيلوا ، كما قرروا أن أحمل أنا هذه الاستقالة الجماعية إلى الرئيس نجيب الذي كان ينزل في فندق مينا هاوس مع الملك سعود ، ولما لم أتمكن من لقاء الرئيس نجيب رأيت أن أسلم كتاب الاستقالة إلى الزميل محمود فوزي وزير الخارجية ليحاول هو أن يرفعه للرئيس .

وقد رأيت من الحق على جمال عبد الناصر أن أخبره بهذا الأمر ، فقال لي : لعلك تذكر أنني قلت أكثر من مرة أننا نعتبرك واحدا منا ، ثم طلب إلى أن اتصل بالوزراء المستقيلين وأن أبلغهم رغبته في أن يستردوا استقالتهم ، فذهبت مع الأستاذ فؤاد جلال وزير الارشاد ، وحاولنا الاتصال بكل الوزراء عن طريق التليفون ، وأبلغتهم رغبة جمال عبد الناصر .

## أهداف سليمان حافظ

وقد ظهر ظهورا واضحا أن سليمان حافظ كان يتغيا من حركاته هذه التمهيد لاسناد منصب رئيس الجمهورية لمحمد نجيب مع ابعاده عن الجيش ، ولكي يأخذ مكانه في الجيش الصاغ عبد الحكيم عامر الذي رقى من صاغ إلى لواء ، وأصبح هو القائد العام للقوات المسلحة . وأذكر أن اللواء محمد نجيب قد تنازل عن قبعته العسكرية الخاصة برتبة اللواء لخلفه عبد الحكيم عامر ، وكان المظنون بعد ذلك أن يسود الوئام بين زملاء الثورة ، ولكن تأليف محكمة الثورة كانت سبب خلاف جديد ، وكانت قد تشكلت في أوائل سبتمبر ١٩٥٢ من البغدادي رئيسا ، وحسن ابراهيم ، وأنور السادات أعضاء .

وقد أعطيت هذه المحكمة الصلاحيات التى تمكّنها من محاكمة المتهمين فى قضايا الخيانة العظمى وأمن الدولة على أن تكون أحكامها نافذة إذا صدّق عليها مجلس الثورة بأغلبية الأصوات .

وقد حكمت هذه المحكمة أحكاماً مثيرة لمشاعر المواطنين ، وكانت سبباً فى كراهية المواطنين للثورة التى كانت موضع الترحيب والأمل . ذلك أن من أحكامها البغيضة حكم الإعدام على أربعة كان منهم : إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء الأسبق ، الذى كان موضع سخط وكراهية الإخوان المسلمين .

وليس يستبعد أهل البصر بشئون الاجتماع أن يكون هذا الحكم القاسى ترضية للإخوان المسلمين ! ومن هذه الأحكام التى ضاقت بها صدور المواطنين الحكم بالسجن مدى الحياة على الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى ، والأستاذ أبو الخير نجيب صاحب جريدة الجمهور المصرى بتهمة إفساد الحياة السياسية ، وبالسجن خمسة عشر عاماً على الدكتور أحمد النقيب ، وعلى كامل القاويش الذى كان محافظاً للقاهرة ، وبمصادرة أملاك السيدة حرم النحاس باشا ، مع تجريدهم من القابهم حتى امتهدت بتلك الأحكام السبيل إلى أن تأخذ النكتة المصرية سبيلها إلى الضحاك الذى هو شر من البكاء !

فقد زعم بعض ظرفاء المصريين أن السيد كامل القاويش جاء لمقابلتى فى وزارة الأوقاف وقدم بطاقته التى تحمل اسمه فإذا المكتوب فيها : « كامل القاويش سابقاً » .

فلما استقبلت الرجل سألته : ماذا تعنى كلمة سابقاً فى بطاقتكم ؟

فأجاب الرجل ، لقد أخذتم لقبى وحرمتونى من وظيفتى ، فلم يبق لى شيء ، فأصبحت كائننى غير موجود . . فأنا كما ترى كامل قاويش سابقاً !

ولم تكن هذه النكتة لتخطر لى على بال قبل أن يشيع الظريف المصرى على لسانى هذا التفسير لكلمة « سابقاً » فى بطاقة السيد القاويش .

ومن أحكام هذه المحكمة التى أوغرت الصدور حكمها بتجريد ستة من الإخوان المسلمين من جنسيتهم المصرية وكان منهم : عبد الحكيم عابدين .

## المشاركة فى افتتاح أول برلمان بالسودان

وفى سنة ١٩٥٤ كلفنى مجلس الوزراء أن « أسافر » إلى السودان للمشاركة فى الاحتفال بافتتاح أول برلمان فى ذلك البلد الشقيق .



□ محمد احمد محبوب ، رئيس وزراء السودان يشعل  
سيجارة للشخ الباقورى خلال زيارته للخرطوم .

وقد كان بين الثوار ، وبين الرئيس نجيب خلاف شديد حول الجهة التى ينزل ضيفا عليها ، ولم أكن أتصور أنه سينزل فى قصر الحاكم العام الانجليزى . ولقد أثرت صحبة الدكتور عبد الرزاق السنهورى الذى كان موضع التكریم والاحترام فى ذلكم البلد العزيز ، وقد أشرکتنا معا فى السيارة التى خصصتها حكومة السودان لنا .

واذكر أننى قد زرت السودان فى يناير ١٩٥٢ وقد توثقت بينى وبين إخوة كثيرين فى السودان علائق مودة واحترام ، وفى مقدمة أولئك السادة السيد عبد الرحمن المهدي الذى كنت حريصا على الصلة به ، والإنتفاع بتجربته الطويلة فى شئون السياسة وشئون الدين ، وكان الرجل أهلا لكل ثقة توضع فيه ، ولم تكن هذه الصلة به حديثة فى سنة ١٩٥٢ ، بل كانت ترجع إلى لقائى به مرارا فى سراى آل لطف الله بالقاهرة سنة ١٩٤٧ - فندق ماريوت الآن - وقد كنت وكىلا لمعهد القاهرة الدينى آنئذ .

وفىما كنت مع الدكتور السنهورى فى السيارة إذا بحشد هائل من المواطنين الثائرين يهتفون هتافات مختلفة ، وفى أيديهم خناجر تثير الرعب لأول وهلة فى صدور الذين يرونها ، ثم إذا أحدهم يتقدم إلى السيارة ، ففتحت زجاج السيارة بعد أن طلب

إلى أن افتتح النافذة ، وإذا هو يهتف « لا مصرى ولا بريطانى .. السودان للسودانى » . فأجبت الرجل نحن نقول معك هذا الذى تقوله أنت ، فالتفت الرجل إلى الثائرين ، وقال لهم : هذا هو الشيخ الباقورى .. فانصرفوا ، وقال الدكتور السنهورى : هذه بركة « العمالة » هى التى أنقذتنا من الموت طعنا بالخناجر .

ولعل أهم الأسباب لثورة أولئك الثائرين كان مرتبطا أشد الارتباط بنزول الرئيس نجيب فى قصر الحاكم العام الانجليزى فى السودان ، ولما هدأت العاصفة رأيت أن أزور اللواء نجيب فى قصر الحاكم العام وكان معى مرافق سودانى ، ولما أخذنا نصعد السلم وقف بى فى أحد منحنياته ، وأخبرنى أن هذا هو المكان الذى أصيب فيه الجنرال غوردن بسهم من قوس صوبه اليه أحد المجاهدين السودانين ، فلما ذهب أحد الانصار إلى الامام المهدي يبشره بمقتل غوردن ، لم يجد الانصارى ما كان يتوقعه من سرور الامام المهدي وانشرح صدره ، بل وجد على العكس من ذلك طيفا من الأسى يغمر وجهه الكريم ثم قال له : لقد كان يسعدنى أبلغ السعادة أن يستبقوا حياة الجنرال حتى نفاذى به احمد عرابى الذى نفاه الانجليز إلى سيلان ، ولكن قتل الجنرال ضيع علينا هذه الفرصة الذهبية .

وغير ذى حاجة إلى بيان أن الشعب السودانى ، وسائر تصرفاته السياسية كانت تستمد وجودها من أكرم البنايع التى يعرفها التاريخ ، أعنى ينبوع القربى العربية ، ثم ينبوع العقيدة الإسلامية .

وبتمثل هذا المعنى يتراءى على غاية الوضوح صواب ما كان يدعو اليه المخلصون من العمل على التوحيد بين مصر وليبيا والسودان ، ولو أن ذلك قد تم على ما كان يراه الصالحون المصلحون ، لكانت الوحدة بعد ذلك بين الشعوب العربية والشعوب الاسلامية أمرا لا تقف فى طريقه عقبة ، ولا تعمى اليه سبيل ، ولكن الخوف من الدعوة بدعاية الإسلام ، فتح الطريق إلى دعوات لا تعزز بها دنيا ولا يرضى عنها دين ، ولهذا رأى الناس فى شتى جوانب امتنا الإسلامية دعوات كثيرة هى إلى الهدم ادنى منها إلى البناء ، فاذا امتنا - على ذلك - مطمع للطامعين الذين لا هم لهم الا الاستغلال والاستغلال .

## المشاركة فى حفل تقوية الملك حسين

وغير ذى حاجة إلى بيان أن حكام مصر كانوا حريصين أشد الحرص على الانتفاع بكل ذى كفاية بالتقريب بين الشعب المصرى ، وسائر الشعوب العربية ، والشعوب الاسلامية ، والدليل على ذلك أنه فى سنة ١٩٥٢ شاركوا شعب الأردن الشقيق فى فرحته بتقوية الملك حسين ، فقرر مجلس قيادة الثورة أن أكون على رأس



□ الملك حسين وبجواره المؤلف اثناء زيارته للأردن . وقد وقف إلى يمين الباقرى ابراهيم الطحاوى وعبد العزيز الشوربجي ، في حين وقف خلفه الدكتور عزيز صدقى .

بعثة تشارك في أحفال هذا التتويج ، وكان من أعضاء هذه البعثة القائد البحرى الفريق سليمان عزت . ولست أنسى لجلالة الملك حسين أنه تفضل فمحنى وسام الكوكب الأردنى ، والذين يعرفون جلالة الملك حسين لا يرتابون في أن الرجل من سلالة البيت النبوى الكريم ، يدلهم على ذلك حرصه الشديد على التزام قواعد اللغة العربية ، ثم تواضعه الكريم لكل من يجلس اليه في مجلسه المهيب ، أو يلقاه في أحفاله الكثيرة التى تلتزم الوقار بقدر ما تتخفف من أثقال التقاليد الرسمية .

وليس من شك في أن - جلالتة - بما ميزه الله به من أخلاق شريفة - كان موضع حبى له وثقتى فيه ، وحرصى على أن ألقاه كلما امتهدت إلى ذلك سبيل .

وقد كانت صلتى بجلالتة ترجع إلى معنى يتجاوز شخصه إلى جده الملك عبد الله منذ أن كان أمير شرق الأردن ، وحين زار المعهد الأزهرى بالقاهرة ، وحضر درسا من دروسى في البلاغة ، وناقش بعض الطلاب مناقشة دلت على أن الرجل كان حريصا على الاعتزاز باللغة العربية .

وقد كان موضوع الدرس الذى حضره الامير متصلا باللغة حول الآية الكريمة : « فإذا جاعتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن نصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

فقد ناقش الامير دقائق التعبير فى الآية الكريمة فكان ذلك مصداقا لما يقول الثقات من أهل الأردن الشقيق : إن الملك حسين فى حرصه على اللغة وفقهه بمعانيها صورة من جده الملك عبد الله .

ولم يكن لقائى بالملك حسين فى فترة تتويجه فقط لأننى حظيت بلاقائه كثيرا بعد ذلك ، وفى كل مرة كنت أزداد ودا له ، وإيمانا بأنه خليف بالانتساب إلى البيت النبوى الكريم . ولقد أذكر أن الأخ جمال عبد الناصر كان قد تناول الملك حسين فى بعض أحفال الثورة ، بكلمات لا تليق بكبير ، يتحدث عن ملك مقدور فى كل مكان من أبناء العروبة وأبناء الإسلام . وكان الغوغاء يرحبون بمثل هذه الأحاديث ترحيبا يثير غيظ الحليم ، فوجدتني غير قادر على مسايرة الحاضرين فيما هم فيه من لغو الحديث ، فقلت له : إنك نسيت أنك زعيم عربى تحتاج إلى حسن الاحدثة عنك ، حتى تبلغ بك أمتك ما تريد من كرائم الآمال . وهذا الأسلوب الذى سمعته منك اليوم ، يسعد به العدو ، ويشقى به الصديق .

ولقد كانت ثقتي بالرجل تغرينى بالنصح له حرصا عليه أو حرصا على خير أمتنا فيه ، وكان يتلقى ذلك منى بترحيب شديد .

وقد رويت له ذات يوم قصة قصيرة أحاول بها أن افته إلى أن ينأى بنفسه عن الأساليب التى لا تليق بالكبار حين يخاصمون نظراؤهم فينقدونهم نقدا لا يثير الحفاظ ولا يجرح المروءات ، فقلت له إن كبيرا من كبراء الدولة الأموية أحب أن يعلن رأيه فى رجل كبير مثله ، وقد سأل عنه سائل ماذا ترى فى فلان ؟ فأجاب على الفور ، ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية .

فقال أحد جلسائه : قاتلك الله . . إنك لتحسن أن تسب سب الأشراف . فهذه الكلمة تشير إلى أن السب له صورتان : صورة لا تجرح مروءة ، ولا تثير حفيظة ، وهى التى يلجأ اليها الكبار فى نقد نظرائهم ، وصورة أخرى تثير الحفاظ وتجرح المروءات ، وهى لا تليق بالكبار الذين تناط بهم الآمال فى اصلاح المجتمع ورفع خسيصة الشعوب . ومع أن الرجل سمع كعادته فى حرص شديد على الانتفاع بالنصيحة إلا أننى أحسست أنه قد أساء الفهم فذهب مذهب الحكمة الشعبية التى تقول : « تنصح البالغ يعاديك » .

ولست أرتاب فى أن أحد الذين كانوا يحرصون على افساد ما بينى وبينه قد استغل هذه القصة استغلالا يحقق له ما كان يريد .

والدليل على ذلك اننى كثيرا ما كنت اوجهه إلى ما فيه مصلحته ، ومصلحتنا معه ، فقلت له ذات يوم : كن محاضرا ، ولا تكن خطيبا . فلما سألنى عن الفرق بين المحاضر والخطيب قلت له : إن المحاضر يؤثر الهدوء في حديثه ، أما الخطيب فانه يؤثر الصراخ وإثارة العواطف . وقد توجه الرجل إلى كثير مما وجهته له مطمئنا إلى الرأى الذى أبدية له لأن الثقة كانت متبادلة بيننا .

وقلت له مرة أخرى إنك زعيم عربى ، فكن حريصا بقدر ما تستطيع على استخدام اللغة العربية الفصحى ، واستعن على ذلك بالقراءة الكثيرة في كتب سهلة الأسلوب لا تدعو إلى الملل ، بما تضمنته من قصص تحمل على قراءتها والانتفاع منها ، وقد اهديته بعض مؤلفات الأستاذ الأديب جورجى زيدان ، ثم اهديته بعد ذلك كتاب خطط الشام الذى ألفه الأستاذ محمد كرد على ، وليست لدى منه نسخه إلى الآن ، فلم يكن بينى وبينه ما يوجب التكلف أو يدعو إلى سوء الظن ، وهذا هو الذى جعلنى أبذل له كل نصيحة بغير حرج وفى غير تكلف .

## الثورة والأزهر

وليس يفوتنى أن أشير إلى الأزهر ، وما كان يتطلع اليه من اصلاح فى ظل الثورة ، فكان أهم ما يشغله - طلاب وموظفين - اختيار شيخ له ، يعمل على رفعة شأنه وانصافه من ظلم طويل .

وقد عرض على مجلس الوزراء فعلا أمر الأزهر فى جو اختلفت فيه الآراء ، وتباينت وجهات النظر فيمن يصلح أن يكون شيخا للأزهر فى هذه الظروف الدقيقة التى تمر بها البلاد . فرشح بعض الاخوة الشيخ محمد نور الحسن - سودانى - وكان على رأس هؤلاء نصيرا له صلاح سالم ، ورشح آخرون الشيخ حمروش ، وكان على رأس مؤيديه فتحى رضوان ، ورشح فريق آخر الشيخ محمد عبد الله دراز ، وكان على رأس هذا الفريق سليمان حافظ .

وقد اذكر أن الأستاذ اسماعيل القبانى أراد أن يرشحنى قائلا : إن تولى وزير منصب شيخ الأزهر تنصره سابقة قريبة ، فقد عين الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وزير الأوقاف الاسبق شيخا للأزهر ، ثم مضى يقول : وحين صدر الامر الملكى بتعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا شيخا للأزهر رفع الملك كتابا تاريخيا يرجو فيه أن يستبدل بلقب « باشا » لقب « الأستاذ الأكبر » ، وقد اوجب الرجل إلى طلبه مقدرا من الله ومن الناس .

وقد سألنى الاخ جمال عبد الناصر : لماذا ترفض أن تكون شيخا للأزهر كما ذكر



القباني ؟ فأجبت : إن الأزهريين يحتاجون إلى شيخ كبير يكون له عليهم حق المشيخة في جلال السن وسعة العلم وشرف الأستاذية ، وإنني أشفق أن أحتمل عبئا لا قدرة لي على النهوض به .

وقد نشرت الصحف نبأ ترشيحي شيخا للأزهر حيث قالت جريدة « الأهرام » بتاريخ ٢٢ / ٩ / ١٩٥٢ علمت « الأهرام » أن منصب مشيخة الأزهر قد عرض على الأستاذ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف قبل أن يعرض على الشيخ الخضر حسين ، فاعتذر بشدة ، وأبدى لمجلس الوزراء أسباب اعتذاره .

وقد اقترح السيد عبد العزيز علي وزير الشؤون القروية تعيين الشيخ الخضر حسين شيخا للأزهر فعارض بعض الزملاء في هذا الاقتراح محتجين بأنه ليس مصرياً ، ولكنه رجل تونسي لاجئ إلى مصر ، وأن ما حمل الأستاذ عبد العزيز علي على اقتراحه هذا هو أن الشيخ كان رئيساً لفترة طويلة لجمعية الهداية الإسلامية . وقد اذكر - الله ثم للتاريخ - أنني قلت إن الشيخ الخضر رجل عالم أديب شاعر ، وأنه محكوم عليه بالأعدام من المستعمرين . إذ كان قد أفتى بأن كل من يتجنس بالجنسية الفرنسية لا يدفن في مدافن المسلمين . وبناء على هذه الفتوى انشئت في تونس مقبرة خاصة أطلق عليها مقبرة المجنسين ، ولذلك لجأ إلى مصر ، وأصبح عضواً في هيئة كبار العلماء ، فكل الشروط المطلوبة في شيخ الأزهر متوافرة فيه ، ثم إنه مسلم ، والإسلام رحم بين أهله ، ولعل في تعيينه شيخاً للأزهر ما يحمل الشعوب الإسلامية كافة على الالتفاف حول مصر وتأييد ثورتها .

وقد رضى الزملاء هذا الاقتراح ، وبقيت مسألة هل تحتل صحة الشيخ أعباء المنصب ؟ ثم كلف المجلس وزيرين بالذهاب إلى بيته ومعرفة أحواله الصحية . وأذكر أنني خرجت مع الزميل فتحي رضوان ، وتبعنا بعض الصحفيين إلى منزل الشيخ ، فلما رأناه وجدناه صالحاً لتحمل الأعباء ، فصدر القرار بتعيينه شيخاً للأزهر . ومما لا يسوغ الإغضاء عنه في هذا المقام أن من أبناء الأزهر من كان يرى أن منصب شيخ الأزهر لا ينبغي أن يكون بالتعيين بل ينبغي أن يكون بالانتخاب على ما تشير إلى ذلك الكلمة التي ذكرها مدير عام الأزهر لجريدة أخبار اليوم يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

### سفير الثورة . . من الفلبين للمغرب

وعلى الرغم مما كان يحيط بالثورة من تأمر عليها وتربص بها بسبب ما اقترفته من أخطاء فادحة ، لم أجد بدا من أن أمضى معها على الطريق التي أثرتها لنفسى منذ قبلت التعاون مع الثوار ، حتى لقد كان يخيل لى أننى جندى فى خندق لا وزيرا فى مكتب !

ذلك أن مجلس قيادة الثورة كان يطلب إلى دائما أن أمثله فى كل مؤتمر تكون فيه مصلحة للوطن والمواطنين ، فكنت كلما رجعت من سفر بدأت سفرا آخر فى مختلف جوانب الأرض ..

و ذات يوم طلب إلى الأخ جمال عبد الناصر أن أقبله فى مجلس قيادة الثورة ، فلما ذهبت إليه فى الموعد المحدد ، وجدته . ومعه اللواء عبد الحكيم عامر ، فقال لى : سيعقد مؤتمر فى الأردن للخريجين من الجامعات ، وقد رأينا أن تسافر على رأس الوفد المصرى الذى كان يتألف أعضاؤه من السادة : فؤاد جلال وزير الشؤون الاجتماعية والصاغ ابراهيم الطحاوى سكرتير هيئة التحرير ، والدكتور حسين سعيد الذى عين فيما بعد وزيرا للتعليم العالى ، وآخرين من الخريجين الذين أثرتهم الثورة دعاة لها وألسنة للدفاع عنها . « وهؤلاء الخريجين هم الذين أصبحوا فيما بعد محافظون ووزراء ورؤساء جامعات ورؤساء قطاعات وكبار موظفين إلى يوم الناس هذا » .

وقد نزلنا فى فندق امبسادور فى عمان وكان الوفد يضم حوالى ٤٠ عضوا تخرجوا فى العلوم والآداب من مختلف الجامعات المصرية ، ويطيب لى فى هذه الكلمات ، أن أثنى أبلغ ثناء على جلالة الملك حسين الذى ألقى كلمة الافتتاح فى أسلوب رفيع وحكمة عالية ، وكنا كثيرا ما نلتقى لنتحدث فى مختلف الشؤون العامة .

### إلغاء المحاكم الشرعية

وقد فوجئت وأنا فى عمان بعد أيام من انعقاد جلسات المؤتمر بقرار لحكومة



□ المؤلف يتوسط اعضاء مؤتمر الخريجين بالأردن ، الذى تولى رئاسته .

مصر تلغى به المحاكم الشرعية ، وقد أثار عجبى ودهشتى أننى رأيت فى بعض الصحف المصرية صورة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن تاج ، ومعه الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية يوقعان فى سجل الزيارات فى مجلس الوزراء بمناسبة إلغاء المحاكم الشرعية ، كما قالت الصحف المصرية ! . وقد حاولت أن أستنكر قرار إلغاء المحاكم الشرعية إذ رجعت بى الذاكرة إلى ما كان قد ذكره لى عبد الناصر من أنه يفكر فى أن يستبدل بمجلس البرلمان المجلس الوطنى الكبير ، فحاولت أن أبعث باستنكارى لهذا القرار ، ولكن السيد فؤاد جلال ناقشنى فى ذلك طويلا ذاكرا أن هذا الاستنكار لا يفيد شيئا مع تأييد شيخ الأزهر والمفتى لهذا القرار . وقد كان مما يدعو إلى أشد الأسف أن الضيق بالمحاكم الشرعية كان استجابة لدعوة بعض المواطنين الذين كانوا يعتزون بالقومية المصرية حتى لقد أفلحوا فى أن يطلقوا على المحاكم الأهلية كلمة « المحاكم الوطنية » وكأنهم بذلك

يريدون أن يوحوا إلى الشعب بذلك التعبير أن القضاء الشرعى وافد على مصر ، وغريب عنها ، وهو الأمر الذى دعا الأستاذ الشيخ محمود شلتوت ، والدكتور عبد الرزاق السنهورى إلى إعمال الفكر مع كبار الأزهريين لانشاء معهد للفقه الاسلامى يتناول التشريعات التى تساير روح العصر ، ولا تناقض أحكام الشريعة . وقد أيد قرار إلغاء المحاكم الشرعية كثير من المصريين ، وغير المصريين من الزعماء ، وسواد الشعوب ، وكانت حجتهم تقوم على أن فيها فسادا يسوغ هذا الالغاء .

ولو أن الذين ألغوا المحاكم الشرعية بسبب الفساد ، ألغوا كل فاسد فى حياتنا الاجتماعية ، لكان إلغاء المحاكم أمرا سائغا مقبولا ، ولكنهم اختصوا بالالغاء المحاكم الشرعية ، وتركوا ما عداها مما يسيء إلى الشعب ، ويعرض مستقبله لأشد الأخطار . وبيتدبر هذا الأمر - على ما ينبغى له - لا يجد المنصف للحقيقة مناصا من القول بأن قرار الالغاء كانت تقوده الحماسة أكثر مما يقوده النظر البصير بعواقب الأمور فجاء قرارا أنشرح له العدو ، وضاق به الصديق .

## السفر إلى ليبيا

وأيا ما كان الأمر فقد أديت مع الوفد المصرى الأمانة فى مؤتمر الخريجين فى المملكة الأردنية الشقيقة ، ثم لما عدنا إلى القاهرة طلب إلى الرئيس أن أسافر إلى جمهورية ليبيا مع السيد أنور السادات لتمثيل مصر فى الاحتفال بتعيين أول رئيس للجمهورية الجديدة فى ليبيا ، ومع أن الرحلة إلى المملكة الهاشمية كانت قد أرهقتنى إرهاقا شديدا ، لم أجد بدا من الترحيب بالانضمام إلى الوفد الذى كان سيتولى رئاسته أنور السادات .

وفىما كنت أستعد للسفر اتصلت السيدة جيهان حرم الاخ أنور السادات بزوجتى وأبلغتها أن الاخ أنور لا يستطيع السفر ، وقد أبدى وجهة نظره للرئيس عبد الناصر فوافقه عليها . ولما انعقد مجلس الوزراء بعد ذلك عرض عليه الرئيس عبد الناصر تعيينى سفيرا فوق العادة لتمثيل مصر فى حفلات تنصيب رئيس جمهورية ليبيا ، وقد طلب إلى الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية أن يأمر باتخاذ الاجراءات المتبعة فى مثل هذه الأحوال على وجه السرعة .

ثم أخذت طريقى إلى تلك البلاد التى لم تكن معروفة للناس آنئذ حتى لقد نشرت الصحف خريطة تبين موقع ليبيا من أفريقيا .

ولم يكن من حقى أن أشارك فى تنصيب رئيس الجمهورية بوصفى سفيرا فوق

العادة إلا بعد أن يقدمنى وزير خارجية ليبيريا إلى رئيس جمهوريته لأقدم له أوراق الاعتماد . وقد كان من العجيب أن تكون البيانات التى صحبتها معى مكتوبة باللغة الفرنسية ، وأذكر أننى حين لقيت وزير الخارجية ومعى الدكتور حب الله أخبرنى الوزير فى لهجة أسفة وهو يقول لى « My People are Moslems » يعنى انه ينحدر من أصول مسلمة ، وأن والده حرصا على مستقبله أدخله مدارس الرسائليات التبشيرية فغير دينه من حيث لا يعلم ، ثم نشأ على ذلك لا يملك إلا أن يعيش كما أرادت له أوراقه المدرسية أن يعيش .

## رياسة الجامعة أفضل من رياسة الجمهورية

قص علينا الوزير قصة ليبيريا ، ورئيس الجامعة الاسلامية فيها ، ولم تكن قصته مجهولة لدى فقد كنت أعرفها - قبل ذلك بعدة سنوات - من أفواه الذين راوا رئيس تلك الجامعة وعاشوه أياما فى جمعيات الشبان المسلمين حين أنزلوه ضيفا فى المركز العام بالقاهرة ، ثم زار الرجل بعد ذلك جمعية الاخوان المسلمين . وقد استقبل الشعب المصرى هذا الرجل استقبال الأخوة والود ، وكانت الصحافة المصرية سباقة إلى نشر أخباره على الناس ، فذلك حيث نشرت جريدة السياسة المصرية عن رئيس الجامعة الاسلامية فى ليبيريا ، فقالت ما نؤثر أن نرويه بنصه : تكرم بزيارة هذه الجريدة سيدى أفاريل رئيس الجامعة الاسلامية بجمهورية ليبيريا ، وسيادته كان وزيرا للحربية ، ثم رئيسا للوزارة ، وكان فى وسعه أن يكون رئيسا للجمهورية ، ولكنه أثار رياسة الجامعة الاسلامية التى هى أكبر منصب دينى فى البلاد ، وقد عين فيه سيدى أفاريل مدى الحياة على حين أن رئيس الجمهورية يتخلى عن منصبه كل أربع سنوات ، ولا يستطيع أن يتولى منصبه إلا بموافقة سيدى أفاريل .

ومع أن سيدى أفاريل يمثل اللون الأفريقى الأصلى ، إلا أن ملامح وجهه وتناسق أعضائه تدل على أنه أقرب إلى الجنس العربى منه إلى الجنس الأفريقى .

ولما كان سيدى أفاريل هو الرئيس الدينى الأكبر فى البلاد ، فقد اتفق مع حكومة ليبيريا أن ترسل ولديه إلى الأزهر الشريف لدراسة العلوم الاسلامية ليتمكن بها أحدهما من تولى منصب قاضى القضاة للمسلمين ، ويتمكن بها الآخر من تولى منصب دينى كبير .

وقد أخبرنى السيد وزير خارجية ليبيريا بأن رئيس الجمهورية المراد تنصيبه بعد أيام كان محاضرا فى الكنيسة ، فلما عرضوا عليه المنصب اشترط ألا يحول منصبه بينه ، وبين عمله فى الكنيسة .

وبعد ثلاثة أيام من هذه المقابلة دعينا إلى شهود حفل التنصيب في الكنيسة نهارا صبيحة يوم أحد ، وقد وقف وزير الخارجية إلى جانبي ، وقام الدكتور محمود حب الله الأمين العام السابق لجمع البحوث الإسلامية - كما كان يفعل - بالترجمة بيني وبينه . وفي المساء أقيم حفل ساهر راقص ابتهاجا بتولى رئيس الجمهورية منصبه ، ولا يفوتني أن أذكر بالود والثناء السيد فؤاد عمون الذي كان مندوب لبنان الشقيق في حفل التنصيب ، فقد جمع لي كل المهاجرين من أبناء سوريا ولبنان إلى ليبيريا ، فجلسوا من حولى كأننى واحد منهم ، فزال عنى بذلك التصرف الكريم ما كنت أجده من حرج شديد بوجودى في هذا الجو الذي لم أتعوده من قبل . وقد اقامت بين أولئك السادة خمسة عشر يوما كنت فيها مقصد الزائرين من المسلمين في تلك البلاد ، وما جاورها من السنغال ومالى .

## ثم السنغال

فلما انتهت زيارتنا في ليبيريا انتقلنا إلى السنغال في طريق عودتنا إلى القاهرة ، فإذا في السنغال جالية لبنانية وسورية تشبه من كل وجه جاليتهم في ليبيريا .

وقد دعانى المسلمون إلى صلاة الجمعة بالمسجد الكبير في دكاير العاصمة غير أنهم نصحونى بلطف أن لا أتعرض لشئون السياسة ، فإن ذلك يغضب الفرنسيين ، وعندما دخلت المسجد إذا حشد كبير لم أعهد له نظيرا من قبل ، فتقدم إلى جماعة منهم يطلبون إلى أن أتولى خطبة الجمعة ، ولكن آخرين منهم رغبوا إلى أن أترك لخطيب المسجد الرسمى أن يقوم بمهمته التى هى مصدر رزقه ، والتى كان مسئولاً عنها أمام الفرنسيين ، ولم أجد بدا من الأخذ بهذه النصيحة فتركت للامام خطبته . فلما انتهت صلاة الجمعة قمت لأقول كلمة أقضى بها حقا لبلدى ، وأستجيب بها رجاء للذين استضافونى ، وقد كان من عادتى أن أبلغ الذين أتحدث إليهم تحيات الشعب المصرى ، وفي طليعته جمال عبد الناصر ، فلما بدأت بهذه التحية أسرع إمام المسجد واقترب من المكرفون قائلا . نحن مع فرنسا . وقد مضيت في كلمتى اتلو عليهم من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما كان له أعظم الأثر في أنفس ذلك الشعب الظالمى إلى الدين ، حتى إذا فرغت من كلمتى ، أقبل القوم على يصافحوننى ، ثم يضعون في يدى شيئا ظننته لأول وهلة أسئلة مكتوبة تطلب الجواب عنها ، وقد امتلا جيبى بهذه الأوراق ، ثم لما حاولت استخراجها لأقرأ الأسئلة المكتوبة فيها للإجابة عليها فوجئت بأنها فرنكات فرنسية . وقد لاحظ بعض الاخوان علائم الدهشة في وجهى ، فأخبرونى بأن العادة في تلك البلاد أن يُعطى الواعظ أو المحاضر في المساجد بعض المال يستعين به على الحياة .



□ في دكار ( ١٩٥٦ ) في حفل بين المغتربين العرب المؤلف يتوسط محمد هلال  
وادمون ابوجوده ( المضيف ) .

وقد ظللت محتفظا بهذه الفرنكات حتى وقعت في أيدي رجال المخابرات  
المصرية ، حين كانوا يقومون بتفتيش مكتبي في الوزارة إبان الفترة التي أساءوا فيها  
إلى الصلة بيني وبين عبد الناصر .

وفي اليوم التالي جاءني بعض الاخوة يعتذرون عن تصرف إمام المسجد  
ويدعونني إلى زيارة الكتاتيب التي كانت تعلّم أبناء المسلمين القرآن الكريم ، وقد زرت  
هذه الكتاتيب ، ومعى أحد موظفي وزارة الأوقاف ، ومعه مال من الوزارة فوزعنا هذا  
المال على الكتاتيب من تلاميذ ومعلمين ، ثم رجعنا إلى القاهرة .

وكان أول ما قمت به أن أقابل الرئيس لأخبره عن الرحلة وما وجدت فيها  
مما يستلفت الأنظار ، كما كان شأنى دائما كلما قدمت من رحلة أرحلها ممثلا لحكومة  
الثورة . وقد كان من العجيب أننى ، وأنا أتحدث إلى عبد الناصر قدم إلى بعض

الصحف التي جاءت إليه من لبنان ومن بينها صحيفة نشرت صورتى مع السفير الأمريكى فى السنغال ، وهو يشعل لى سيجارة ، وكان ذلك فى رايه شبيئاً غريباً غير معهود بدليل أنه قال لى : إن المعروف عند أولئك الناس أنهم يرون أنفسهم فى منزلة أرقى من منزلة الشعوب التى يتعاملون معها . فمن الغريب اللافت للنظر أن يشعل لك السيجارة سفير أمريكا فى تلك البلاد على مرأى ومسمع من الناس . ولكن عمامتك هى صاحبة الفضل فى هذا الموقف .

فقلت له : هذا حق ، ومن أجل ذلك عتبت عليك أشد العتب حين الغيت المحاكم الشرعية ، وأنا فى مؤتمر الخريجين فى المملكة الهاشمية الشقيقة ففتحت للناس باباً للاشاعات التى كانت تزعم أنك تعاند الإسلام وتتربص به الدوائر ، على نحو ما فعل أتاتورك فى تركيا .

فقال : لقد وافق على هذه الخطوة شيخان من شيوخ الإسلام : الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، والشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية ، وقد نشرت الصحف صورتيهما يوقعان على دفتر الزيارات فى مجلس الوزراء ، فليس فى وسع أحد أن يزعم أن فى هذه الخطوة خروجاً على الإسلام أو تربصاً به إلا إذا كان الشيخان المذكوران يتربصان بالإسلام والمسلمين ، وذلك أمر لا يقول به عاقل ولا يقبله إلا من أعماه الهوى وأضله عن سواء السبيل .

ثم سألتنى بعد ذلك عن رأى الشخصى فى هذا التصرف ، فقلت له : إن الناس فى بلادنا - كما لا يخفى عليك - تضيق صدورهم بالحاكم ضيقاً يحملهم فى أكثر الأحيان على أن يشيعوا من حوله إشاعات تبغضه إلى الناس ، فإذا وجدوا لشائعاتهم تصرفاً تستند إليه ، فذلك معناه أنك تعين الناس على نفسك ، والحكمة تقتضى أن ينأى الإنسان بنفسه عن سيئات الظنون . وقد رأيت مع بعض زملائى فى مؤتمر الخريجين أن محاولة إصلاح الفاسد أيسر سبيلاً ، وأخف عبئاً من الاتيان عليه وهدمه من انساسه ، على أن لدينا من العلماء الفضلاء ، والقضاة الشرفاء من لا يخفى أمرهم عليك ، ولعلك لا تزال تذكر حكم المحكمة الشرعية بتأييد موقفى كوزير للأوقاف ، وقد أصدر هذا الحكم الشيخ محمود الأزرق رئيس المحكمة الشرعية .

## حكاية وقف زينب هانم

ومن حق القارىء أن يعرف ظروف هذا الوقف ، وما كان يحيط به من تصرفات على غاية الشذوذ . ذلك أن السيدة زينب هانم بنت محمد على الكبير كانت قد وقفت فى بلدة شاةوة جهة المنصورة وقفاً على العلماء الأحناف ، فكان العالم الحنفى ينال من



هذا الوقف كل عام ما بين مائة ومائتى جنيه على حين أن غير الأحناف من علماء الأزهر لا يأخذون شيئا يذكر ، ووجه الشذوذ الذى لا يقبله عادل أن تصدر قبل موعد الصرف حركة تنقلات لا صلة لها بالمصلحة العامة ، ولكنها ذات صلة بالمصلحة الخاصة ، فقد كان ينقل على الورق المحظوظون من العلماء الأحناف لكى يكون لهم الحق فى الحصول على نصيبهم من ريع هذا الوقف ، وذلك بناء على فتوى أصدرتها هيئة كبار العلماء فى إدارة الأزهر ، وهذه الفتوى تقرر أن العبرة بوقت الصرف ، وليس بوقت الاستحقاق ، فكان العلماء الذين نقلوا على الورق يأخذون نصيبهم ، ثم يلغى نقلهم ليعود كل إلى جهته التى كان فيها قبل الصرف .

وقد رأيت بعد أن توليت الوزارة أن أستعين بعالم فقيه ، وهو المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، فرغبت إليه أن يعد بيانا يُسوغ لمجلس الأوقاف الأعلى تحويل غرض الواقف من جهة بر إلى جهة بر أولى بالاعتبار وأدنى إلى تحقيق رغبة الواقف ، وبمقتضى هذا البيان قررنا أن يصرف ريع هذا الوقف لأسر المدرسين وأئمة المساجد الذين ليس لهم معاش يكفى أسرهم بعد إنتقالهم إلى الدار الآخرة تاركين ذرية ضعافا لا حول لهم ولا قوة ، وقد كان القانون يقضى بعرض ما يقرره مجلس الأوقاف الأعلى على المحاكم الشرعية لآقراره ، ولما عرض هذا القرار على المحكمة الشرعية برئاسة الشيخ الأزرق وافق على قرار مجلس الأوقاف ، والشيخ الأزرق الآن هو أحد كبار مستشارى وزارة العدل الكويتية .

وقد كان من العجيب أن بعض العلماء الأحناف عارضوا هذا القرار مدفوعين إلى ذلك بحرصهم على تقاضى هذا المبلغ كل عام لا يعينهم من وراء ذلك شيء .

ومن أعجب العجب بهذه المناسبة أن أول من كان لهم نصيب من هذا الوقف بعد التعديل هم أسر الذين عارضوني محتكمين إلى القضاء الشرعى باعتباره خارجا على الشريعة التى تقرر أن شرط الواقف كنص الشارع ، ولكن قضاة المحاكم الشرعية وقفوا إلى جانبى ورفضوا الدعوى المقامة ضدى .

ولا ريب فى أن هذه الصورة على هذا النحو الذى ذكرته للرئيس عبد الناصر ، لا يستطيع أحد أن يعاندها ، أو يعترض عليها ، ولذلك رأيت بعد أن استمع إلى فى إصغاء شديد ، يحول مجرى الحديث فيسألنى عن القرارات التى اتخذها المؤتمر فأخبرته عن حسن استقبال الشعب الأردنى العربى الأصيل لوفد مصر ، وحرصه الشديد على توثيق علائق المودة بين مصر والأردن .

ثم ذكرت له أن القرار الذى اتخذته المؤتمر لم يكن موغلا فى شئون السياسية ، ولكنه تناول قضيتين مهمتين تتعلق إحداها بقضية فلسطين ، وتتعلق الثانية

بضرورة التكافل بين الشعوب العربية تكافلا يجعلها أمة يخشاها العدو ويرجوها الصديق .

ولقد أذكر أنه قال لى : إنك رأيت شعوبا كثيرة ، وأهل هذه الشعوب يقدرونك احسن التقدير بغير فرق بين أهل الديانات ، فكلهم ينظر إليك - فيما بلغنى - نظر تقدير واحترام ، ولهذا فكرت فى أن أعينك وزيرا متجولا فى العالم كله داعيا لمصر ولسانها لها ، وأنا أقترح عليك أن تغير اسم وزارتك فتسميها وزارة الشؤون الدينية ، فحاول أن تدرس هذا الاقتراح ، فإذا فرغت من دراسته فأخبرنى عن رأيك فيه ، ثم ذكر لى بعد ذلك أن بعض إخوانك من الضباط اقترح أن تكون معنا فى مجلس الثورة .

وقد علمت بعد ذلك أن صاحب هذا الاقتراح هو جمال سالم الذى قال إن الشيخ الباقورى يطوف البلاد داخل مصر وخارجها داعيا للثورة ، ونحن فى القاهرة لا نصنع إلا الاجتماعات والمناقشات .

## رحلة إلى باندونج

فى أوائل شهر أبريل سنة ١٩٥٥ قرأت فى الصحف ، ونحن فى ركب التحرير فى الوجه القبلى ، أن عبد الناصر سوف يسافر إلى رحلة سياسية خارج الجمهورية ، فاقترحت على الزملاء فى ركب التحرير أن نعود إلى القاهرة لنكون فى وداع الرئيس ، وعدنا إلى القاهرة وقد لقيته بعد عودتى فى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ، فقال لى - لأول ما قابلته - هل عندك مانع لتصحبنى فى الرحلة إلى مؤتمر باندونج . فأجبت هذه سعادة لى أن أضيف إلى البلاد التى زرتها بلادا كنت أتمنى أن أزورها وهى أندونيسيا ، لأن انتقالها من الوثنية إلى الإسلام أمر لا يكاد يخطر بالبال .

وقد كنت أذكر لما كنت أميرا للحج سنة ١٩٥٣ حرصت على أن أزور غار حراء الذى كان يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت أحد الحجاج من أهل أندونيسيا يصلى فى الغار ، وكل دعائه الذى سمعته منه « اللهم انصر سوكارنو » يرددوها ولا يذكر أحدا سوى سوكارنو ، فلما فرغ من صلاته ودعواته لسوكارنو زعيم أندونيسيا سألت الحاج لماذا تنس نفسك وتذكر سوكارنو بالدعاء ؟ .

فقال لى - صادقا - لقد كان سوكارنو على ما فيه من أخطاء لا يسلم منها البشر زعيما خلّص أندونيسيا من ألوان الاستعمار المختلفة ثقافة ولغة واقتصادا ، وأنت لا تنس ونحن طلاب علم فى مصر ، فقد كنت تلقانا فى الرواق الجاوى من أروقة الأزهر الشريف ، وقد كنت تذكر لنا تاريخا لا نعرفه عن أندونيسيا . وإذا كان عندكم وقت



□ صورة طريفة تجمع الرئيسين عبد الناصر وسوكارنو ، يشاهدان مع عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين والباقوري رقص الخيل ، اثناء زيارة الرئيس الاندونيسي لمصر .

ونحن في هذا المكان الطاهر ، فإننى أنتهز فرصة أقرر لك كيف كان سوكارنو وماذا قدم للبلاد من خير كثير . ذلك أن أندونيسيا مرت في حياتها بعدة عصور :

أولها عصر ما قبل الإسلام ، ويشمل العهد القديم الموغل في القدم ، وعهد الديانة الهندوكية « البوذية والبرهمية » .

وثانيها عصر الإسلام ، ويبدأ من حوالى سنة ١٤٠٠ ميلادية ، وقد دخل الاسلام إلى أندونيسيا عن طريق الهنود والعرب الذين حضروا إلى بلادنا ليس للتجارة فقط بل للدعوة الاسلامية التى لا تلبث أن تخالط بشاشتها القلوب . وقد كان من العجيب حقا أن يصبح هذا الدين في المركز الأول بين سكان أندونيسيا ، فإذا الأغلبية الساحقة من مواطنيها مسلمون على حين أن هذه الجزر التى تكوّن أندونيسيا تبعد عن منبع الاسلام بألاف الأميال .

وثالثها عصر الاستعمار الهولندى ١٥٩٦ - ١٩٤١ ميلادية ، وقد كان هذا العصر عصر شؤم وبؤس فى تاريخ أندونيسيا ، لأنه كان يتغيا القضاء على هذه الأمة - روحا وعقيدة ولغة وثقافة - لكى تصبح أمة هولندية أخرى تعيش فى الشرق الأقصى بروح هولندية قلبا وقالبا ، كما أشار إلى تلك الفكرة المستشرق الهولندى « هورغرونجيه » .

ورابعها : عصر الاحتلال اليابانى ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ميلادية .

وخامسها : عصر الحرية والاستقلال من سنة ١٩٤٥ إلى ما شاء الله . وهو فترة إنشاء وتكوين وإصلاح وترميم لما أفسدته تلك الأيام الخالية . وقد كان أحمد سوكارنو من أبرز القواد لهذا العصر العظيم ، إذ وضع اتحاد القيادات شعارا لهذا الاتحاد يرمى إلى توحيد جهة العمل حتى لا تنتشت الأغراض فى اختلاف الوسائل .

ونحن لا ننسى أن الديانتين البرهمية والبوذية قد أثرتا فى الأدب الأندونيسى أيضا تأثير ، ولكن التأثير النافع الذى تقبله الفطرة ، وترتفع به الخسيسة هو تأثير الإسلام الذى أعطى الإنسان حرية التصرف فى ميدان واسع ، وجعل لكل حد شروطا وقيودا ، حتى لا ينسى المرء نفسه فى تصرفاته ، وحتى لا ينسى العصر اليابانى الذى وضع سياسته على الانتفاع بكل ما فى الأمة الأندونيسية من قوة ، ثم على التنكر للأمة الأندونيسية فى لغتها أولا ، وفى سائر مقومات حياتها ، فأننا من أجل ذلك وكل أهل أندونيسيا ندعو الله بالنصر للزعيم سوكارنو ، وجميع معاونيه على ما فيه خير للبلاد .

وما أن سمع الرئيس جمال عبد الناصر هذه الكلمات حتى قال بطريقته : إنك بهذه المعرفة الواسعة تضعنى أمام أمر لا بد منه ، وهو أن ننتفع بك فى ميدان أفسح من ميدان الأوقاف ، وسوف تسافر معى إلى باندونج .

وفى يوم السبت التاسع من أبريل ١٩٥٥ غادرت الطائرة الهندية مطار القاهرة مقلة وفد مصر إلى مؤتمر باندونج برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر وعضوية الصاغ صلاح سالم ، وزير الإرشاد ، ومحمود فوزى وزير الخارجية ، وأحمد الباقورى وزير الأوقاف ، ومحمد أبو نصير نائب وزير التجارة ، وعبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية ، والدكتور مصطفى كامل أستاذ القانون الدستورى بجامعة القاهرة ، والأستاذ عبد الله العريان المنتدب فى الإدارة القانونية بوزارة الخارجية على أن ينضم إلى الوفد هناك الأستاذ على فهمى العمروسى وزير مصر المفوض فى أندونيسيا ، وقائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس عبد الناصر الذى سيلحق بالرئيس فى كراتشى ، وكان يرافق الوفد فى الطائرة من رجال الصحافة السادة : إحسان عبد القدوس ، ومحمد حسنين هيكل ، وممدوح طه .

## موكب من النفاثات الباكستانية

ما كادت الطائرة «مارتا برنيسيس» الهندية تقترب من المجال الجوي الباكستاني حتى استقبلتها تسع مقاتلات نفاثة باكستانية ، كانت حكومة الباكستان قد كلفتها أداء التحية للطائرة التي تقل وفد مصر ، ولما هبطت الطائرة في مطار كراتشي كان في استقبال الرئيس وصحبه السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان ورجال وزارته ، وأعضاء السلك السياسي الأجنبي ، وكان القائمقام أنور السادات أول من رحب بالرئيس عقب نزوله من الطائرة ذلك أنه كان في جولة آسيوية باعتباره سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامي ، وقد دعاه الرئيس عبد الناصر إلى الانضمام إلى الوفد في المؤتمر الأفريقي الآسيوي ، ولكنه اعتذر . ثم استقل الرئيس عبد الناصر سيارة كاديلاك خضراء - ومعه رئيس وزراء الباكستان - تبعها رتل من السيارات التي تقل أعضاء الوفد ، وقصد الجميع إلى قصر السيد غلام محمد حاكم الباكستان العام . وقد نزل الرئيس عبد الناصر خلال زيارته التي تستغرق ثلاثة أيام في قصر الحاكم العام ، وهو مؤلف من طابقين ، وقد بنى في عهد الامبراطورية البريطانية في الهند ، وكان مخصصا لسكنى حاكم إقليم السند الانجليزي ، ثم خصص في عام ١٩٤٧ للحاكم ، الباكستاني .

وليس في وسع من يتمثل باكستان أن يتجاوز بالحديث رجلين في تاريخها : أحدهما شاعر باكستان محمد إقبال ، وثانيهما مؤسس باكستان محمد علي جناح .

فأما الشاعر محمد إقبال ، فإنني لم أعرفه إلا من طريق شعره الذي نقله إلى العربية أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام ، غير أن الشاعر مهما تبلغ ترجمته من الدقة ، لا يمكن أن ينقل إلينا تلك النفحة العلوية التي تمس حروف اللغة ، فإذا هي فتنة من فتن العقول وسحر خاو من سحر القلوب والنفوس .

وأما القائد الأعظم محمد علي جناح ، فإنه هو الذي غرس الشجرة التي أثمرت دولة باكستان ثم راح - رضى الله عنه - يتعهدا فيجنبها العواصف الهوج حتى ضربت جذورها في الأرض وشمخت فروعها في السماء ، ولم يبق إلا أن تؤتي أكلها بإذن ربها أمنا سائغا للخائفين ، وأملا طيبا تقوم به الحجة على أن الإسلام خير لاهله بمقدار ما هو خير للإنسانية كلها .

ولقد كانت باكستان أحسن المنى في فلسفة وخيال إقبال ، ثم برزت أطيب الثمار على يد القائد الأعظم محمد علي جناح ، وإنني لأعلم أن الناس حول قيام دولة باكستان أحد رجلين : جاهل لا يعلم ، أو جاحد لا ينزل على حكم ما يعلم ، وكلا الرجلين

لا يكف عن مهاجمة تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، وهم يستندون في هذا الهجوم إلى حجج يملئها منطق هو بالمعرفة القاصرة أشبه منه بالحق المبين ، وإلا فإن المسلمين لم يكن لهم بد من إقامة دولة باكستان لكي تجمع شتاتهم وتسبغ عليهم ظلال الأمن والسكينة .

وربما أيد هذا المعنى ما كان يذكره هندي جامعي مسلم من أنه هو الذي ابتدع اسم باكستان وكونه من حروف ومقطع يشير إلى أسماء المقاطعات الهندية التي يؤلف المسلمون فيها أغلبية السكان ، والتي كان يراد للدولة الجديدة أن تتألف منها . وبيان ذلك أن الباء مأخوذة من « بنجاب » و « الألف » اللينة مأخوذة من « باتان » مقاطعة الحدود الشمالية الغربية ، والكاف مأخوذة من « كشمير » ، والسين مأخوذة من « السند » والمقطع « تان » مأخوذ من « بلوختان » .

وفي قصر الحاكم العام أقيم حفل عشاء للرئيس وصحبه ، وكبار رجال دولة باكستان ، وفي هذا الحفل أذكر أن السيد غلام محمد الحاكم العام قال في خطبته : « إن وراء شعب مصر ماضيا مجيدا ، وهم يمثلون حضارة من أقدم حضارات التاريخ ، وإنني لأذكر منذ أيام شبابي أنني كنت دائم التطلع إلى قيادة الشعوب الإسلامية العظيمة ، المكافحة في سبيل الحرية ، وإنني لعل ثقة من أنه ما ظل نور الحرية مشرقا ، فإن بلدينا ستقفان جنبا إلى جنب ، وإن أمل كبير في أن تنمو بيننا روابط الصداقة والتعامل ، وأن تظل مصر كما كانت دائما منبععا عظيما من منابع العلوم والثقافة الإسلامية : ذلك المنبع الذي تمثله خير تمثيل الجامعة الأزهرية الكبرى التي يرتوى منها العالم الإسلامي كله .

وقد رد الرئيس عبد الناصر قائلا : إنني أعيش الآن أسعد لحظات حياتي ، ولقد كنت أتمنى أن أزور الشقيقة العزيزة باكستان التي أكن لها مع زملائي هنا أعظم الحب وأعمق الاحترام ، وإنني لأتقبل كلمتكم لأنها صادرة من صديق إلى صديق ، ولقد أشرتكم إلى نقطة مشرقة في حياتي ، ثم ما أشرتكم به إلى الأزهر الذي يسعدني أن أذكر أنه ممثل خير تمثيل هنا في هذا الوفد بصديقي الشيخ الباقوري ، وهو يشترك معنا في بهجة وجودنا اليوم بينكم .

ويطيب لي أن أسجل هنا ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل في يوميات « أخبار اليوم » يوم ١٦ / ٤ / ١٩٥٥ وذلك حيث يقول في وصف هذا الحفل :

كانت الفخامة تطبع كل شيء . . كان الجمال في كل ركن . . كان قصر الحاكم العام للباكستان يسبح في الضوء الباهر ، في تلك الليلة التي أقام فيها السيد غلام محمد حاكم عام الباكستان حفلته الكبرى لتكريم جمال عبد الناصر . وكانت القاعة الكبرى كأنها خيال . . ياوران الحاكم العام في ملابس السهرة العسكرية الملونة ، وسيوف الذهب وكردونات القصب تتدلى من الجوانب والاكتاف ، كبار المدعوين في

ملابس السهرة الانيقة . . القاعة تزينها صور في إطارات من الفضة والذهب لكل ملوك العالم ورؤسائه . . حرس الحاكم العام في أركان القاعة بملابسهم التقليدية بألوانها الخضراء والحمراء والبيضاء ، يقفون في الأركان يحملون الحراب الطويلة تتدلى الأعلام منها ، وكل واحد منهم يبدو في وقفته الجامدة كأنه تمثال . . كأنه تمثال نسيته الامبراطورية البريطانية من أيام عزها في هذا المكان فتسمر فيه حتى اليوم ولم يتحرك منه قيد أنملة . . السيدات في ملابس السهرة الجميلة والمجوهرات المضيئة تلمع حول الأعناق المرتفعة في كبرياء ، وأدبرت بصرى في الجو كله ومضيت أبحث عنه ، واحد بالذات وسط هذا كله ، كنت أريد أن أراه وعثرت عليه أخيرا في ركن من القاعة واقفا بالعمامة والكاكولا واقتربت منه من الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرى وقلت له وأنا ابتسم هيه . . كيف الحال ؟ وقال وهو يهز رأسه لا بأس . . قلت ، هل وجدت مكانك على مائدة العشاء ؟ لقد أخذت نسخة من مدير البروتوكول في القصر لرسم المائدة ، وهذا هو مكانك عليها . إنك ستجلس بين سيدتين : البيجوم عابد حسين شاه على يسارك والبيجوم اسكندر ميرزا على يمينك .

وقال الشيخ الباقورى ماذا ؟ إلى هنا ولا : أنا معذور .

وقلت وأنا أغرق في الضحك : لا تستطيع أن تعتذر . وقال الشيخ الباقورى وهو يَزُم شفثيه وينفخ في الهواء من فمه ، ولكنى لا أستطيع أن أجلس . . ماذا سأقول لهم ، بيجوم على اليمين وبيجوم على اليسار وأنا بينهما لا أحسن « الرطان » ، وهبوني استطعت أن « أرطن » فماذا أقول لهم ؟ .

ولم تطل المناقشة بيننا على أى حال ، فما لبث أحد ياوران الحاكم العام أن دق الأرض بحريته وقال بصوت رهيب بأمر الحاكم العام تقدموا أيها السيدات والسادة إلى قاعة الطعام ، أو صالة العشاء .

واتجه الحاكم العام السيد غلام محمد بملابس السهرة ، وبجواره الرئيس جمال عبد الناصر بملابسه العسكرية العادية التى اعتبرها ملابسه الرسمية في الليل والنهار - خلال زيارته لآسيا - على رأس الموكب في قاعة العشاء . وبدأ كل واحد من المدعويين يجلس في مكانه على المائدة الهائلة التى امتدت لكى يجلس عليها مائة مدعو . وكنت من مكاني أطلع إلى رجل واحد . . الشيخ الباقورى ولم أستطع أن أخفى الابتسامة وبصرى يقع عليه في مكانه على المائدة بالعمامة والكاكولا ، وعلى اليمين بيجوم وعلى اليسار بيجوم ، وهو بينهما ساكت يكتفى بابتسامة صغيرة وضعها على شفثيه ، وانتهيت من طبق الحساء ورفعت بصرى إلى الشيخ الباقورى ، ولكنه لم يكن كما تركته ببصرى منذ دقائق ، كان متلفتا إلى البيجوم اسكندر ميرزا قرينة وزير الداخلية - اقوى رجل في الباكستان - يتكلم معها ويبتسم ، وهى تبتسم أيضا ، وحملت فيه بدهشة ، ثم شغلت عنه بطبق من السمك وضعوه أمامى وكان الحبهان

يغطي سطحه كله ، وانهمكت أزيح الحبهان الذى كانت رائحته تعربد في خياشيمي لكى أصل إلى قطعة السمك تحته ، وانتهيت من السمك ورفعت رأسى مرة أخرى . . اتجهت ببصرى إلى الشيخ الباقورى ، وفي هذه المرة كان الشيخ الباقورى ملتفتا إلى اليمين يتحدث إلى البيجوم عابد حسين شاه ، وكان يبتسم وهى تبتسم أيضا ، ولم يستطع الطبق الثالث أن يشغلنى عن الشيخ الباقورى ، فقد تأملت الطبق الثالث وينشت من قدرتى على التهامه ، كان غارقا من « الكارى » الأصفر ، وكان الفلفل الأسود يغطي حبات الارز فلا تبين .

وكدت لا أصدق نفسى وأنا أنظر إلى الشيخ الباقورى جالسا هناك وسط الاضواء الانيقة وبيجوم هنا ، وبيجوم من هناك ، وهو يتحدث إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة ، كان يتكلم بلا جدال فإن شفتيه كانتا تتحركان ، وكان يتكلم في طلاقة بلا شك ، فإن البيجوم التى على اليسار كانت ترد عليه ، والبيجوم على اليمين تغرق في الضحك على أثر ملاحظة قالها لها . ها هو ذا أمامى خريج الأزهر بالعمامة والكاكولا وقامته الفارعة ، وقد تحول إلى رجل ضالون من الطراز الأول ، وانتهى العشاء ، وأسرعت متلهفا إلى حيث كان ، وقلت له في حماسة تحياتى للأزهر . وقال الشيخ الباقورى وهو يهز رأسه ويقول بصوته العريض العميق المبتسم - يا سيدى تلك بعض كراماته .

وليس من شك في أن الإسلام هو الذى جمع قلوب المسلمين في باكستان كما جمع قلوب المسلمين في غير باكستان حول جمال عبد الناصر ، وإلا فليس بيننا نحن المصريين وبين الباكستانيين المسلمين ، والهنود المسلمين ، والأفريقيين المسلمين صلة من جنس ، أو عرق ، أو لغة تجمعنا بهم ، وتشد إلينا عواطفهم ، والزعم بأن المصلحة المشتركة هى التى تجمع القلوب كلام لا ينصره الواقع ولا يؤيده التاريخ ، فإن المصالح المشتركة لابد لها من فلسفة تقوم عليها ، ومبادئ تدور حولها ، والدين أو المذهب هو هذه القاعدة التى تقوم عليها المصلحة المشتركة ، فتجتمع من حولها أصحاب هذه المصلحة . وإذن فالجامع - عند التحقيق - ليس هو المصلحة بل هو الدين أو المبدأ ، والمصلحة تابعة لذلك .

والدين بلا ريب - هو أقوى رابطة تربط مشاعر الناس وتجمع بين قلوبهم . والإسلام بين الديانات جميعا هو الفارد بالقدرة على ما لا يقدر عليه غيره في هذا المقام . فالتفريط فيه : تفريط في معنى غال عزيز لا ينتفع به المسلمون وحدهم ، ولكن تنتفع به الانسانية كلها في كل مكان .

وليس يسعنى أن أجاوز هذا المقام دون أن أذكر - لله ثم للتاريخ - كلمة للرئيس عبد الناصر أجاب بها وفدا إسلاميا على سؤال وجهه إليه يعاتبه فيه على أن صلته بالهند أوثق من صلته بالباكستان . وقد كان الأمر يقتضى غير ذلك من حيث كان هو



زعيم شعب مسلم في دولة مسلمة . وكان من حق ذلك عليه أن تكون صلته بالباكستان أوثق بصلته من الهند ، أو أن تكون الصلتان - على الأقل - في منزلة واحدة . فكان جوابه رحمه الله أن باكستان دولة ذات سيادة ، وذات جيش قوى وذات كيان دولي ، فهي من ذلك كله في أمن مكفول بقوتها الذاتية ومنزلتها الدولية . ولكن المسلمين في الهند ليس لهم شيء مما لباكستان . ولذلك تكون صداقته للهند أبين نفعا وأحسن عاقبة . وهو - كما ترى - جواب صادق بصير يتناول الأمور من أفق بعيد . وحسن الظن بالرجل هو القاضي على هذا المنطق بالخطأ أو بالصواب .

## زيارة للهند

ثم انتقلنا بعد الباكستان إلى الهند وكان طبيعيا أن ننزل في نيودلهي العاصمة ، وقد كان العرب يسمون هذه المدينة « دلهي » كما يبدو ذلك في نسبة علماء فضلاء إليها من أمثال العلامة الجليل الإمام الدهلوي مؤلف كتاب « الفوز الكبير » . فلما استعمر الانجليز الهند غيروا اسم العاصمة إلى نيودلهي .

وفي هذه المدينة العريقة التي نزلنا ضيوفا فيها لعدة أيام ، كان يزورني كثيرا المرحوم اسماعيل كامل سفير مصر لدى حكومة الهند يومئذ . وقد كان الرجل قريبا إلى قلوب عارفيه ، وفي طبيعتهم الزعيم نهرو ، إذ كان الرجل طيب القلب تدركه أحيانا غفلة الطيبين من عباد الله ، وقد وقعت به طبيعته هذه على خطأ غير مقصود أحيل بسببه إلى التقاعد ، وذلك أنه كان قد قدمنا بوصفه سفيرا لمصر في الهند إلى بعض الكبار من الهنود ، ولكنه حين قدم الصاغ صلاح سالم ، قدمه باسم صالح سليم لاعب الكرة المشهور ، فغضب صلاح سالم على السفير الطيب الذي لم يقصد إلى تحوير اسمه ، ولكنها كانت عثرة لسان يقع في مثلها كثير من الناس .

وقد كان من المؤسف أن يحال الرجل إلى التقاعد بسبب هذه العثرة في اليوم الذي واقعها فيها .

وقد أسف جميع المصريين في الهند ، وكثير من الهنود لاحالة الرجل إلى التقاعد بسبب عثرة لسان تافهة لا يترتب عليها أي ضرر ، ولا يقترن بها أي سوء نية ، ولهذا أمر الرئيس عبد الناصر أن يبقى الرجل في الهند تقديرا لمنزلته في أنفس عارفيه من المصريين ، وغير المصريين .

وذات يوم جاء يزورني ، ثم راح يتحدث عن أبي الكلام آزاد وزير المعارف في الجمهورية الهندية ، وكان حديثا طويلا شاقني إلى رؤية الرجل العلامة زائرا أو مزورا - وفي يوم تال صحبني مع أزهرى هندی إلى العالم الفاضل والوطني الغيور

أزاد ، فإذا بحر من العلم لا ساحل له ثم إذا هو - مع ذلك - ذو بصر نافذ في أمور الدنيا وأمور الدين .

كان رحمه الله موضع حب وتكريم الزعيم « نهرو » حتى لقد علمت بعد ذلك بزمان أن الرجل حين مَرَضَ مرض الموت ، كان نهرو يجالسه على فراش مرضه ويخلل أصابعه بيده مبالغاً في تَكريمه ، وتقديراً لمواقفه الوطنية التي وضعت في الصدارة بين شرفاء الوطنيين الذين استطاعوا أن يجمعوا بين حب الناس جميعاً في الهند على اختلاف مذاهبهم ، ومشاربهم وعقائدهم ودياناتهم .

## تكريم الحكام الأجانب

مهما طال الأمر فلم انس مجلسي معه ذات يوم في قاعة واسعة في قصر أنيق تحيط به مروج خضر ، وتتراقص من حوله شجيرات صغيرة تزينها أزهار جميلة تملأ أجواء القصر بالشذى العطر والعبير الفواح .

ذلك أننى في مجلسي معه في تلك الغرفة الفسيحة ، رحت أطلع إلى صور حكام الهند من البريطانيين تعلقو جدران القاعة ، فالتفت الرجل إلى ، ثم قال - فيما يشبه الانفعال - لعلك تعجب من وجود هذه الصور في هذه القاعة فتقول لنفسك كيف يكرم رجال الهند أولئك المستعمرين ، ولكن هذا الذى يجول في خاطرك وقد تستنكره ، هو جزء من تاريخنا ، ولن يزول هذا التاريخ إن خططنا على الجدران هذه الصور ، أو القينا بها في تيار الأنهار . وإن في بقائها لتذكرة تظل بها العبرة ماثلة لأعيننا قائمة في صدورنا ، تنتفع بها الأجيال القابلة في الأخذ عن هؤلاء وقومهم ما ينفع بلادنا ، ويعلو بصورة حياتنا ، وأثار الغابرين حين تبقى لتكون عبرة خير من التتكر لها والاعتداء عليها ، لأن استبقاء العبر من الأمور الموصولة بأدب الله في كتابه الكريم .

## الوصول لأندونيسيا

ولما أنتهت الزيارة للهند اتخذنا طريقنا إلى اندونيسيا ، وكان وفد الهند المؤلف من البانديت نهرو ، وابنته السيدة أنديرا وآخرين معنا على الطائرة نفسها ، وقد رغب هؤلاء السادة أن ننزل في بورما ليوم أو يومين رغبة منهم في مشاركة أهل بورما عيدهم الذى يجيء مع فيضان الأنهار ، ولم تكن نعلم أن من تقاليدهم المقدسة رش الماء على الضيوف تحية لهم . وما كان أشد دهشتنا حين رأينا رئيس وزراء بورما اينونو يستقبل الوفود ، وفي يده إناء ملىء بالماء فيرشه على أعضاء الوفود ، وكان في

مقدمة هؤلاء عبد الناصر ونهرو ، وبعد انتهاء هذا الاستقبال نقلتنا السيارات إلى المكان المعد لنزول الوفود . وقد كان الجو شديد الحرارة ، وكان أهل رانجون في أيديهم خراطيم من الماء يصيونها إلى المارة مهما تكن منزلتهم . وهنا كنا بين أحد أمرين كلاهما شر ، فإما أن نغلق نوافذ السيارات فنخفق من شدة الحر ، وإما أن نفتحها فنفرق بالماء من الخراطيم .

وقد كان موقفى في ذلك اليوم يسر العدو ويسوء الصديق ، ذلك أن سائر الوفود كانت مكشوفة الرأس فلا يؤذيها الماء ، أما أنا فقد كنت ارتدى العمامة فإذا أصابها الماء كان المنظر مثيرا للضحك ، ولهذا أثرت أن أغلق نوافذ السيارة إتقاء للماء مهما كان الحر شديدا خائفا ، ومازلت في هذا الجو الخائق حتى بلغنا الدار التى أعدت لضيفتنا ، وقد كانت مدرسة للتلاميذ غير مستعدة لنزول مريح ، فإذا تركنا النوافذ مغلقة فالحر خائق ، وإذا فتحنا الشبابيك ، فهناك متربصون بنا يوجهون خراطيمهم إلينا ونحن في المدرسة .

ولم يكن في وسع أحد من ذوى النفوذ أن يمنعهم من رش الماء لأن اليوم عيد ، والحرية في الأعياد مكفولة لا يجوز الاعتداء عليها مهما تكن الأسباب ، ولا ريب أن منظر القوم في ثيابهم المبتلة بالماء كان مثيرا للضحك ، وداعيا إلى المرح الذى هو أخص خصائص الأعياد .

وقد أذكر أننا حين جلسنا في هذه المدرسة لجأنا إلى حديث السمو نستعين به على قضاء الوقت الذى كان يمر في بطن شديد ، وكان من الأحاديث التى ذكرتها - لزيملى في الإقامة بالمدرسة - السيد محمود فوزى وزير الخارجية والسيد عبد الخالق حسونه أمين الجامعة العربية حديث يتصل بمصر القديمة في بعض أعيادها إبان فيضان نهر النيل ، وكان الأعياد تشترك في معنى لابد منه للبهجة والمرح بغير ضوابط وبغير حدود ؛ وذلك أن العلامة القلقشندى قد ذكر أن من أعياد الأقباط المشهورة بالديار المصرية عيد الفيروز ، وهو أول يوم في سنتهم ، مع أن لفظة الفيروز فارسية معربة ، وقد كانوا في هذا العيد يظهرون من الفرح والسرور ما تضيق به الصدور ، وينأى معنى العيد ، ذلك أنهم كانوا يصبون الماء غزيرا على كل من يمشى في طريق ، وربما لجأوا إلى التصافح بالأكف ، ويقطع من الجلود ، وهم في ذلك العمل يتكون الاحتشام حتى يستوى في تقديرهم سواد الشعب والرجل المطاع في قومه ، ولولا أن ولاة الأمر يردعونهم لمنعوا الطريق فلا يمر بها أحد ، وهم في ذلك لا يتركون من ظفروا به إلا إذا أرضاهم بما يشاؤون .

وأعياد الطبيعة تدعو إلى المساواة بين الناس في مشاعرهم مهما اختلفت بهم الديار . ومع أن هذا اليوم في رانجون كان يوم فرح تنتشر له الصدور ، لكنه بالنسبة

إلينا كان يوما شاقا يستلزم المبادرة إلى الرحيل ، وعل ذلك أخذنا الطريق إلى أندونيسيا ، وفي عاصمتها جاكارتا استقر بنا المقام ريثما نأخذ الطريق إلى باندونج ، فلما بلغنا مدينة باندونج خيل إلينا أنه لم يبق أندونيسى واحد في بيته ، ثم هبطنا من الطائرة لنستقل السيارة إلى المكان الذى أعدوه لإقامة الوفود . ولست أنسى أننى رغبت إلى أخى وزميلي المرحوم الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية أن يركب على اليمين تكريما له ، ولكنه أجابنى إلى رغبتى مشترطا أن أتنازل له عن عمامتى ، وقد كان هذا الشرط غريبا في نظرى ، ولكنه قال لى في أدب جم ، وإصرار حاسم إن هذه الألوف التى تكاد تقبل الأرض التى تسير عليها - احتراما للأزهر وهتافا له - سوف تتسارع إلى الفتك بى إذا رأتنى جالسا في السيارة على اليمين ، ورأسى مكشوف ، وأنت بعمامتك الأزهرية تجلس على اليسار ، ولهذا رغبت إليك أن تعطينى عمامتك لكى تكون التحية للأزهر الشريف ماثلة في العمامة .

والحق أن هذه الآلاف التى كانت تستقبل الوفود إنما كانوا يتجهون بتحياتهم وهتافاتهم إلى الأزهر الشريف في العمامة التى تلو رأسى ، وعلى طول الطريق من المطار إلى الفندق الذى أعدوه لنزولنا لم ينقطع الهتاف للأزهر ، وللإسلام ، وسبب ذلك - في مبلغ ما أعلم - أن هذه البلاد مرت بأطوار ذاقت فيها من بلاء التعال بالانصرية على يد هولندا واليابان والمستشرقين ما أنقذها منه الإسلام بما يدعو إليه من أن الناس سواسية كاسنان المشط لا يفضل أحد أحدا إلا بمقدار ما يقدم للمجتمع الانسانى من أمن وسكينة وسلام .

وليس يخفى عليك - حفظك الله - أن هذه البلاد التى تسمى أندونيسيا تتألف من عشرات الجزر الرابضة في المحيط ، وأن أهم الجزر التى انتشر فيها الإسلام جزيرة جاوة وسومطرة . فقد بدا الإسلام ينتشر هناك في أواسط القرن الرابع عشر الميلادى ، ويرجع الفضل في انتشاره إلى الدعاة المسلمين ، وفي طليعتهم مولانا الملك ابراهيم الذى لا يزال قبره في إحدى بلاد سورابايا في جزيرة جاوة ، وكذلك قبر الأمير محمد بن عبد القادر من ذرية الخليفة المسفنصر العباسى ، وهو لا يزال إلى الآن في بلدة بازة .

ومازال الإسلام يتغلب في تلك الاقطار بواسطة التجار المسلمين الذين وفدوا عليها من الهند مقتفين آثار تجار الهندوس الذين كانوا يترددون على تلك البلاد ويطبعون أهلها بطابع مدنيته البرهمية ، فجاء الإسلام بدعوته السماح يوقظهم من غفوتهم حتى غلب على جميعهم بطرق سلمية لا تعرف القهر ، ولا تلجأ إلى الاكراه بوسيلة من وسائله المادية ، أو الأدبية .

ولقد امتد الإسلام إلى سومطرة من جاوة ، ثم شمل قسما من بورنيو ، وقد امتدح الرحالة ابن بطوطة ملك سومطرة في القرن الرابع عشر ووصفا اياه بأنه مجاهد



□ وفد في مؤتمر باندونج الرئيس جمال عبد الناصر ، الدكتور محمود فوزي  
فصلاح سالم والشيخ الباقوري .

يدعو إلى السلام الذي لا يحتاج الانسان إلى شيء ، كما يحتاج اليه في دنيا التعصب  
البغيض والعنصرية المقيتة .

ولقد رأيت القوم في تلك البلاد يدرسون الفقه على مذهب الامام الشافعي ،  
وينتحلون التصوف على طريقة حجة الاسلام الامام الغزالي ، حتى إنك لتطلب إلى  
أحدهم أن يقرأ القرآن فيأتى أن يقرأه جالسا ، فإذا ألححت عليه في ذلك وقف ثم قرأ  
في لغة مبينة وحروف واضحة وخشوع عظيم .

وإذا كان على طالب المعرفة أن يلم بمظاهر بارزة في هذا الشعب المسلم ، فليس  
يفوته أن يعرف عن السيد محمد ناصر رئيس حزب ماشومي وأحد رؤساء الوزراء أنه  
كان طالبا في الأزهر الشريف ، وأنه كان يتردد مع اخوانه على درس الثلاثاء الذي كان  
يلقيه الامام الشهيد حسن البنا في دار الاخوان المسلمين بالقاهرة . وقد كتب الرجل  
كتابا لأحد اخوانه ، وفيه يقول : « أحمد الله الذي هدانا للإسلام فجمع به شملنا ،

ووجد صفوفنا عن أمم اختلفت لغة وجنسا ودينا . وجعل سبحانه العربية وسيلة الاتصال ، والقرآن خير الوصال ، حتى أصبحنا أمة واحدة تعمل عملا واحدا ، وتتطلع إلى أمل واحد هي أن تكون كلمة الاسلام هي العليا ، وأصله واسلم على النبي المختار سيدنا محمد أكرم الأبرار الذي نسق الانسانية بالأخلاق الفاضلة والقدوة الحسنة ، وجعل الاسلام دنيا ودولة ، عقيدة في أصوله ، وروحا في حكومه .

وقد كان الرجل مع رياسته للحكومة رئيسا لحزب ماشومي الذي لا يزال إلى اليوم حزبا قائما في أندونيسيا ، وكلمة ماشومي ، مأخوذة من كلمات أربع هي : « مجلس شورى مسلمي أندونيسيا » والصورة التي لا تكاد تفارق ذهني هي تلك الصورة التي صحبت فيها السيد السفير على فهمي العمروسي لزيارة السيد محمد ناصر في داره ، فأعجبني منطقته المرتبة ولغته المهذبة وكلمته التي ذكرني بها ماضيا بعيدا إذ قال لي : إن الناس هنا في رؤوس الجبال يتعرضون لمحنة شديدة ، وإنني مشفق عليهم من حرصهم الشديد على ألا تقهر قوى الدولة الاسلامية التي تتربص بها قوى كثيرة في دنيا الاستعمار والمستعمرين .

وأذكر أنني قلت له إنني أذكرك بما كنا نسمعه من الاستاذ المرشد حسن البنا وهو يروى الحديث النبوي الشريف « لا تتمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموه فاثبتوا » .

فلما هممنا بالانصراف بعد زيارة طويلة ممتعة رغب البنا أن تلقى زوجته لكي تستمع إلى رجل من علماء الأزهر الشريف ، وقد جمع منصب الدين إلى منصب الوزارة ، ولم يكن بد من أن نستجيب لرغبته ، فلما حضرت السيدة أخذت تتحدث عن الجهاد والمجاهدين ، وعن فضل الاسلام على أندونيسيا ، ثم رغبنا إلى السفير العمروسي أن يتفضل على أهل هذه البلاد بعرض فيلم « بلال » فاستجاب السفير ، وأعلن عن عرض الفيلم في دار السفارة المصرية ، ولم أشهد من قبل زحاما تنسد به الطرق ويستحيل بسببه السير في الشوارع ، كما شهدت ذلك في هذا اليوم حتى لقد خيل لي أن جميع سكان البلد وضواحيه قد اجتمعوا لمشاهدة فيلم « بلال » في هذه الليلة . ولا أبالغ إذا قلت إن عرض هذا الفيلم في السفارة المصرية جعل مصر قبلة الوفود الافريقية إذ كان هذا الفيلم قد أوحى اليهم أن زعامة مصر قادرة على أن تعينهم في محاولتهم القضاء على الاستعلاء العنصري ، فكانوا كثيرا ما يزورون الرئيس عبد الناصر في القصر الذي أعدته له حكومة أندونيسيا في ضواحي باندونج .

## الجميع يحرصون على زيارة عبد الناصر

لم تكن وفود افريقيا وحدها هي التي تحرص على زيارة عبد الناصر ، بل كان كثير من الوفود يحرص على هذه الزيارة وفي طلبعتهم - على ما أذكر - وفد الجمهورية

التركية - ووفد جمهورية الصين ، وكثيرا ما كانوا يتناولون مع الوفد المصرى عشاء خفيف كان الطف ما يقدم فيه الجبنة الدمياطى البيضاء التى كانت اثيرة لدى الجميع ، وخاصة الرئيس عبد الناصر الذى لم يكن يتخلى عنها فى رحلة من رحلاته .

وذات يوم اتصل بى فى الفندق الذى كنت أقيم فيه وزير الشؤون الدينية ، ورغب إلى فى القاء خطبة الجمعة فى المسجد الكبير بمدينة باندونج ، فلما هممت بالاعتذار قال لى فى لهجة راجية إن الناس هنا يكادون يقدسون الأزهر الشريف ، وكل من ينتسب اليه ولن يقبلوا الاعتذار لاي سبب من الاسباب ، وخاصة أنهم راوا القائم مقام أنور السادات يخطب الجمعة ، ويؤم المصلين بلباسه العسكرى فى هذا المسجد ، فمن غير المعقول أن يعتذر الشيخ الباقورى الداعية الاسلامى المعروف فى حين أنه يؤم المصلين أحد الضباط . ولم أجد بدا من أن أستجيب للدعوة . وكانت سفارة المملكة العربية السعودية دعت الوفود الاسلامية إلى حفل تعارف ، وكان رئيس الوفد الملك فيصل وكان يومئذ وليا للعهد ، وأذكر أننى حين لقيت فى السفارة رغب إلى فى حديث خاص ، ثم قال : بلغنى أنك ستخطب الجمعة غدا ، وأحب أن أقول لك كلمة إن أهل هذه البلاد يقدسون فلسطين ، ويتمنون أن يكونوا جميعا جنودا يدافعون عنها ، والحاج أمين الحسينى موجود معنا ، وأننى أرى لك أن تكرم فلسطين فى شخص الحاج أمين ، فسألته عن صورة التكريم التى يقترحها على ، فقال لى : إننى أرى أنك إذا خطبت الجمعة ، ونزلت من فوق المنبر لتؤم المصلين ، فقدم الحاج أمين الحسينى ليكون إماما للصلاة ، وبذلك تكون قد أرضيت شعب اندونيسيا بتكريم فلسطين فى شخص زعيمها الحاج أمين الحسينى ، وأنا لا أقول لك هذا الكلام إلا لأننى أثق بك ، وأنت تعلم أن لك مكانة خاصة فى نفسى ، ومع ذلك فلا بأس أن تخبر الاخ جمال عبد الناصر بهذا الذى قلته لك .

وفى صباح يوم الجمعة بعث إلى الرئيس عبد الناصر أحد الزملاء ليخبرنى بأنه سوف يجرى إلى الفندق ، ويصحبنى إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، وفعلا حضر عبد الناصر فى الموعد المناسب ، وذهبنا معا إلى المسجد الكبير ، وإذا الشوارع تضيق بالناس الذين وفدوا إلى المدينة من كل مكان ليشهدوا صلاة الجمعة ، فلما انتهينا إلى المسجد ، تعالى الهتاف بالتكبير من داخل المسجد وخارجه ، ولم أشك فى أن هذا التكبير كان ملحوظا فيه تكريم الأزهر الشريف وتكريم الرئيس من أجل خطبته التى أشاد فيها بمكانة الأزهر فى العالم الاسلامى أشادة دونتها الصحف فى صفحاتها الاولى إلى جانب تاريخ طويل عن الأزهر ومدى ارتباط العالم الاسلامى به فى شئون السياسة وشئون الاجتماع . وفيما كنا فى الطريق إلى الصف الاول بين المصلين وقعت عينائى على منبر المسجد ، وقد أحاط بمجلس الخطيب فيه مدفعان عن يمينه وعن يساره ولا أكتم القارئ الكريم سرا أننى تمثلت نفسى بعد لحظات بين هذين المدفعين ، فأخذتنى هيبة لم أعدها فى نفسى من قبل ، على كثرة المواقف التى

واجهتها ، وكلها يدعو إلى استشعار الهيبة البالغة والخوف الشديد ، ذلك أننى سألت نفسى ما الذى حمل حكومة اندونيسيا على نصب المدافع فى مثل هذا الموقف الذى كان خطيب الجمعة فيه لا يجاوز سيفاً خشبياً يمسكه بيده رمزاً إلى أن الاسلام يعتز بالقوة المادية كما يعتز بالقوة الروحية على سواء . ولم أجد سبباً يسوغ هذا التصرف إلا فى تصرف حزب ماشومى الذى كان يتزعمه الاخ محمد ناصر ، وكان أعضاء الحزب يعتصمون بقمم الجبال ورؤوسها فى ثورة جامحة تدعو إلى تغيير الأوضاع الدستورية فى سائر مقاطعات اندونيسيا .

وقد اتجه الرئيس عبد الناصر إلى مكانه اللائق بزعيم مصر الاسلامية بلد الأزهر الشريف ، فجلس بين الرئيس أحمد سوكارنو ، ورئيس وفد باكستان ، والأمير فيصل رئيس وفد العربية السعودية الشقيقة ، وسيف الاسلام الحسن رئيس وفد اليمن ، وسائر رؤساء الوفود الاسلامية المشتركة فى المؤتمر الأفريقى الآسيوى . ولما أذن المؤذن دعانى مندوب الشؤون الدينية إلى اعتلاء المنبر ، وقد كنت أعددت خطبة الجمعة كعادتى على أصول ثلاثة يقوم عليها بناء الاسلام فى كل زمان ومكان ، وهى الحرية الشاملة ، والعدالة الكاملة ، والسلام العزيز . ولما فرغت من الخطبة أجمعت أن أمضى الوصية التى قد زودنيها الأمير فيصل بن عبد العزيز فاستقبلت القبلة فى المحراب ، ثم دعوت الحاج أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين أن يؤم المصلين .

ومرة أخرى رايت التكبير والتهليل داخل المسجد وخارجه يكاد يبلغ عنان السماء وتقدم المفتى ، فأمر المصلين وقرا سورة الانشراح وكان صوته يغمره الخشوع ، وتكاد تخنقه العبرات وهو يقرأ : « فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » .

وقد كانت وزارة الشؤون الدينية اثرت أن تترجم خطبة الجمعة من اللغة العربية إلى اللغة الوطنية ، ولقد خيل إلى وأنا أغادر مجلسى بين المصلين إلى خارج المسجد أننى قد أصبحت شيخ طريقة يتبرك الناس بتقبيل طرف جيبته ويديه وجميع ما تناله أيديهم منه . وعلى كل حال لقد دخلت باندونج فى غمار الناس وخرجت منها مضرباً ومعروفاً مقدوراً ، والفضل فى ذلك لخطبة الجمعة فقد تلقاها الشعب والوفود العربية بالكثير من التقدير والاحترام وقد أذاعتها الاذاعة مترجمة إلى الاندونيسية يوماً كاملاً .

## مديح عبد الناصر أزعجنى

فلما أخذت مكانى إلى جانب الرئيس عبد الناصر فى سيارته همس فى أذنى



قائلا : « مافيش أقوى من العاطفة الدينية في الدنيا ، وخصوصا أهل هذه البلاد إلى كانوا عمالين ييوسوا إيديك وجبتك وكل حته توصل ايدهم اليها منك ، ولا شك إن المراقبين إلى من الغرب والشرق شافوا المسلمين ومقدار حبهم والتفافهم حولك ، حتى أصبحت في رأى هؤلاء زعيما يؤيدك الغرب ويتملك الشرق ، وإن شاء الله تنتفع بك الثورة عالميا ، كما انتفعت بك داخل مصر . ولا ريب أن هذه الكلمات اسعدتني بمقدار ما أزعجتني لأنها كلمات لم أعهدا في لغته من قبل ، ثم لأنها تستهدف معنى بعيدا وغاية خطيرة .

ولم يكن الرجل ليقول كلاما إلا وهو يريد معنى ما يقول ، ولست اكتمك - أعزك الله - أنني منذ ذلك اليوم بدأت أتعامل معه في حذر بالغ وحرص شديد .

## وأخيرا الصين

وفي مساء ذلك اليوم الذي انتهى فيه مؤتمر باندونج قصدنا إلى زيارته مساء كما تعودنا من قبل ، وقد كان خارج القصر ، فلما حضر قال ، لقد أعلن الرئيس شواين لاي في خطبته أن الصين دولة علمانية لا صلة لها بالدين ، ولكنها تحترم الأقليات ومختلف القوميات ، ثم قال ، إنه يوجه دعوة باسم الزعيم « ماو » لزيارة الصين فمن أراد فإن حكومة الصين ترحب به ، ثم وجه الكلام إلى فقال : أنني أرى أن تسافر إلى الصين لزيارة المسلمين هناك .

وقد كان يجلس إلى جانبي الصاغ صلاح سالم الذي قال : أظن أحسن نذهب إلى الصين لأن مصلحة مصر في ذلك . فقال الرئيس عبد الناصر ردا على صلاح سالم أنا أقول الشيخ الباقوري يذهب إلى الصين بصفته وزيرا في الثورة للأوقاف ، ثم بصفته رجلا من رجال الأزهر الذي يحمل رسالة الاسلام ، فزيارته للمسلمين في الصين لها معنى وأنت يا صلاح لا صلة لك بهذا . وفي نفس المجلس تقرر أن يسافر الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية إلى اليابان .

وبعد أيام قليلة زارني في الفندق سفير الصين وسألني عن رغباتي التي تتعلق بهذه الزيارة ، فذكرت له أن الوفد الصيني في مؤتمر باندونج كان يتألف من السيد لي - يو - سن « نور محمد » رئيس الجمعية الصينية الاسلامية ، وهو زميل لي في كلية أصول الدين من كليات الأزهر الشريف ، ثم من السيد لو - لن - شو « رضوان محمد » وقد كان من الذين تلقوا على الدروس لما كنت مدرسا في معهد القاهرة الأزهرى .

ومعروف أن كل مسلم صيني له اسمان اسم وطني ، وإلى جانبه اسم

اسلامى ، وقد حرصت على أن يكون السيد رضوان محمد - تلميذى فى القاهرة - مرافقا لى فى مختلف زياراتى فى الصين لأنه من تلامذتى فى الأزهر ، ويستطيع أن يقوم بالترجمة الامية بينى وبين الصينيين ، وفى اليوم الثانى دعانى السفير الصينى إلى العشاء ، وكان معى مرافقى فى الرحلة الدكتور مصطفى كامل المدرس بجامعة القاهرة ، والذى لم يكن لى به سابق معرفة .

وفى مطار بكين رأينا بين المستقبلين زميلى فى الأزهر الشيخ نور محمد رئيس الرابطة الإسلامية فى الصين ، والشيخ عبد الرحيم ماسونج كونج رئيس رابطة الثقافة الإسلامية ، وشين شونج وزير الثقافة وشانج - هان - هو نائب وزير الخارجية ثم ون - هان عمدة بكين .

وكان علينا بعد هذا اللقاء أن نقابل الرئيس شواين لاي رئيس الوزراء ، وفى المساء دعينا إلى لقائه فى مجلس الوزراء ، وقد استقبلنا الرجل على باب مكتبه فى أدب جم ، وترحيب يقوم على المودة والاحترام ، وقد عرف أهل الصين بذلك فى تاريخهم الطويل ، وهم حريصون أبلغ الحرص على الاعتزاز بشعائر قوميتهم وتقديس موروثاتهم عن أسلافهم فى كل ميادين الحياة السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية .

ولا يفوتنى أن أذكر مثالا لهذا الحرص الشديد ، فإننا لأول ما صافحنا الرجل - حياه زميلى الدكتور مصطفى كامل بالفرنسية ، ولكنه رد باللغة الصينية التى ترجمها لنا تلميذى السيد رضوان محمد مع أن شواين لاي كان حاصلا على درجة الدكتوراه من جامعات فرنسا !!

ثم قال لى شواين لاي : « إننا التقينا فى باندونج ، وأرجو أن يكون لقائنا فى الصين امتدادا للحديث الودى الذى بدأت فى مجلس الرئيس عبد الناصر ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكر له أنه اختار لزيارة الصين وزيرا مسلما تعلم فى الأزهر الذى يقدسه المسلمون فى الصين - وقد كان يتولى الترجمة بين الرئيس الصينى وبينى ، تلميذى الصينى الأزهرى لو - لن - شو اوضوان محمد اسمه المسلم .

## زيارة الصين فى إذاعة لندن

وقد أشارت الصحف وأجهزة الاعلام العالمية إلى الحفاوة البالغة التى كان يحظى بها الشعب الصينى سواء فى ذلك المسلمون وغير المسلمين ، فقالت إذاعة لندن يوم ١٩٥٥/٥/٣٠ إن وكالة الصين الجديدة للأنباء أذاعت أن الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرى ، والسيد مصطفى كامل الأستاذ بجامعة القاهرة قد تبادلوا وجهات النظر فى تنمية العلاقات التجارية بين مصر والصين مع وزير



□ كان الشيخ الباقورى محل حفاوة وتقدير بالغين من الزعيم الصينى شواين لاي  
(صورة تجمعهما معا فى بكين عام ١٩٥٧) .

التجارة الصينى شى - شوانج ، وقالت الوكالة إن الضيفين المصريين قد تباحثا أيضا مع كبار موظفى وزارة الزراعة ، وأكاديمية العلوم والجمعية الاسلامية ، وإن الفريقين قد وصلا إلى اتفاق بشأن عدد كبير من المسائل المتعلقة بتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين البلدين ، وقد اشترك فى هذه المحادثات شين - شو - خوى وزير الشئون الثقافية ونور محمد رئيس الجمعية الاسلامية ونائبه ، وقالت مجلة المصور يوم ١٩٥٥/٦/٢ :

« لم يقابل زائر - باستثناء نهرو - بمثل الحفاوة والتكريم اللذين قوبل بهما الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، والدكتور مصطفى كامل الأستاذ بجامعة القاهرة فى رحلتها إلى الصين ، فإن المسؤولين هنا يرحبون بهما ترحيبا شديدا ، ويرون فيهما مصر احدى الدعامات الثلاث التى تقوم عليها يقظة الشرق وتحريكه ودعوته إلى السلام ، أما الدعامتان الأخريان فهما الهند والصين .

ولقد بدأت رحلة الأستاذ الباقورى إلى الصين بداية طيبة ، فعندما تقرر أن يسافر هو وزميله إلى الصين ظهر أن جوازى سفرهما لم يدرج فيهما اسم الصين ،

ولذلك دارت الاتصالات بين السفارتين المصرية والصينية في جاكارتا ، وانتهت المشكلة بعد أربعة أيام تأخر فيها الشيخ الباقورى وزميله عن الرحلة .

وقد أعد القصر الجمهورى في بكين نظام غذاء خاص بالشيخ الباقورى لمناسبة رمضان ، وعين طاه مسلم لاعداد وجبات الافطار والسحور في شهر رمضان ، وقد تأثر الشيخ الباقورى من الترحيب الذى غمره به قادة الصين ورجال حكومتها وزعماء مسلميها ، وأعلن سيادته بتبرعه بألفى جنيه لفقراء المسلمين ، وبألفى جنيه لغير المسلمين ، ونظمت حكومة الصين برنامجا لزيارة الوزير المصرى حتى يقف على جميع نواحي النشاط في الصين ، وبدأ البرنامج بمعهد بكين للدراسات الاسلامية ، وهو معهد خاص أنشأه المسلمون بمعاونة الحكومة بعد الثورة ، وقد تحدث الوزير الباقورى إلى طلبة المعهد ، وألقى خطابا دعاهم فيه إلى تعلم اللغة العربية ، وقد أعجب سيادته بالطلبة عندما قام بعضهم بتلاوة آى الذكر الحكيم ، وقرا الوزير الفاتحة مع طلبة المعهد وأسأذته .

ثم زار مسجد بكين ، وطاف به مع إمامه الذى شرح له تاريخ المسجد والطران الصينى الذى بنى عليه ، وقد أرادوا أن يؤكدوا للشيخ الباقورى أن حرية الدين مكفولة ، فأقامت له رابطة المسلمين في بكين بالاشتراك مع رابطة تنمية ثقافة الشعب الاسلامى الصينى مأدبة كبيرة ألقى خلالها السيد نور محمد نائب رئيس الرابطة خطابا رحب فيه بالوزير المصرى ، وقد رد عليه الشيخ الباقورى فقال : إننى راض كل الرضا عن أحوال المسلمين هنا ، وقد تأكدت أن حرية الأديان مكفولة في الصين ، ثم تمنى أن تنمو علاقات طيبة بين مصر والصين .

وكان أهم الزيارات التى قام بها الشيخ الباقورى وزميله في الصين الزيارة لوزارة التوجيه الاقتصادى ، فهناك رحب وزيرها « شانج - دى » وسكرتيرها العام « هو - هو - شيناد » بهما وشرحا للضيف المصرى وزميله السياسة الاقتصادية للصين ومشروعات التعمير والانشاء التى تحققت بعد الثورة .

وقد أبدى الضيفان اهتماما كبيرا بهذه المشروعات واجتمعا ثلاث ساعات كاملة برجال وزارة التوجيه الاقتصادى ، وشرحوا لهما مراحل التطور الاقتصادى والسياسة التى قامت عليها الصناعات الثقيلة والخفيفة ، وبرنامج الإصلاح الزراعى الصينى ، ثم استغرق البحث مشروع السنوات الخمس الأولى الذى بدأت فيه الصين سنة ١٩٥٣ لتنمية الاقتصاد الوطنى ، وعدد مشروعاته ١٥٦ مشروعا وقال « شانج - دى » « إن شعب الصين يخوض الآن معركة كبيرة يعمل فيها على تحويل الصين من دولة زراعية متأخرة إلى دولة صناعية متقدمة » .

وفي المساء أقامت الوزارة حفلة ساهرة تكريما للشيخ الباقورى وزير الاوقاف المصرى ، وفي جامعة بكين التى تضم حوالى ٨٠٠٠ مسلم قضى الشيخ الباقورى

ساعات طويلة بين طلبة القسم العربى وسألهم عن منهج دراستهم ، وأعرب عن إعجابه بمهارتهم ، وقال لهم إن لغة الضاد تفخر بكم .

وأبدى الضيف المصرى رغبته فى أن يجتمع بالأدباء ورجال الفكر فى الصين ، وقد أجيب إلى رغبته ، فعقد اجتماع ثقافى ضم كبار الكتاب ورؤساء الدوائر فى وزارة الشؤون الثقافية ، وأساتذة الجامعات ورؤساء تحرير الصحف الكبرى فى بكين ، ودارت خلال الاجتماع مناقشات طريفة ، وأجاب الحاضرون على الأسئلة التى وجهها الضيف المصرى ، وكان سيادته يبدى إهتماما شديدا بأحوال المسلمين بالذات ، وقد عرف فى هذا الاجتماع أن فى الصين ٩ كليات اسلامية عليا ، يبلغ عدد طلبتها ١٥ ألف طالب ، و ٣٦٥ مدرسة ابتدائية بها ٣٧ ألف طالب مسلم ، وقد ألقى « شيين - شون - دى » وزير الثقافة خطابا قال فيه : « إننى أحب أن أذكر للضيف المصرى الكبير أن الحكومة قررت - لأول مرة - أن يمنح الموظفون والضباط المسلمون إجازات فى أعيادهم الاسلامية كلها » . وقد صفق الوزير المصرى لهذه العبارة طويلا .

وقام سيادته يرد على الوزير الصينى ، فقال « إننى معجب بكل ما رأيته فى الصين ، أعجبتنى روح المودة والاخاء التى تسود طبقات الشعب وملأنى سعادة ما شعرت به من رغبة الجميع مسلمين وغير مسلمين ، فى أن تزداد صلات الصين بمصر قوة ونماء » .

ويسوقنا الحديث فى زيارة الشيخ الباقورى للصين إلى الحديث عن الدور الكبير الذى لعبه المسلمون هناك لتحرير بلادهم من الاستعمار اليابانى : لقد حدث عام ١٩٣٧ أن دعا الزعيم الصينى « ماو » قواد جيش التحرير إلى اجتماع عاجل قال فيه : « إن شعبنا الكبير يضم حوالى ٣٠ مليون مسلم ، ومهمتنا الكبرى الآن هى أن نكسبهم إلى جانبنا ، ونحن بغيرهم لا نستطيع أن نقيم قواعد للدفاع والهجوم تمكننا من القضاء على الاستعمار اليابانى ومع جيش تشانج كائى شيك ، وأؤكد لكم أننا لن نحقق من أهدافنا شيئا إلا إذا وقف المسلمون فى صفوقنا - وكان من بين قواد جيش التحرير الذى كوئنه « ماو » بعض الضباط الشبان من المسلمين ، فكون منهم كتيبة للدعاية تولت الاتصال بزعماء العالم الاسلامى ، وقد أسفرت بسرعة عن اتفاق أذيع على أثره بيان على المسلمين جاء فيه : « إن الاسلام فى خطر ما دام هناك استعمار واستبداد ، وإن على المسلمين أن يشتركوا فى الجهاد ليحموا دينهم ، ويحفظوا ثقافتهم ، واشترك المسلمون بعد ذلك فى معركة التحرير فى صفوف « ماو » ، ولما كتب لصفوفه النصر جعل من مبادئ القوات المسلحة الصينية هذه العبارة « المسلمون اخوة لنا فنحن جميعا أبناء الصين » . ونشرت جريدة الاخبار يوم ٢٩/٥/١٩٥٥ تحت عنوان الباقورى يزور سور الصين العظيم . أذاعت اليوم وكالة

أنباء الصين الجديدة أن فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرى قد عاد اليوم إلى بكين ومرافقه الدكتور مصطفى كامل بعد أن قضيا ستة أيام في زيارة مدينة أورمش عاصمة إقليم سيكيانج ، وقد زار الضيفان المصريان سور الصين العظيم عند بلدة كيويوكوان في إقليم «كانو» في شمال غربى الصين في طريق عودتهما إلى بكين . وقالت صحيفة تاوونج باو - اليوم أن زيارة وزير الأوقاف المصرى وزميله ، تدل على ازدياد التفاهم والتعاون الثقافى والاقتصادى بين مصر والصين .

وذكرت جريدة الاهرام يوم ٢١/٥/١٩٥٥ تحت عنوان الباقورى بالصين الشعبية - مباحثات لتنمية العلاقات التجارية - أذاع اليوم راديو بكين أن المستر يه - شين - شوانج وزير التجارة الخارجية في الصين الشعبية ، اجتمع بالشيخ أحمد حسن الباقورى والأستاذ مصطفى كامل ، وتباحث معهما بشأن الوسائل المؤدية إلى دعم العلاقات التجارية بين مصر والصين ، وكذلك تباحث الضيفان المصريان مع المسؤولين في وزارة الثقافة وأكاديمية العلوم الصينية ، والجمعية الاسلامية الصينية وحضر مباحثاتهما وزير الثقافة والشيخ نور محمد رئيس الجمعية الاسلامية الصينية .

والحق الذى لا يجوز إغفاله أن حكومة الصين قد أحسنت ضيافتى فيسرت لى السبل إلى كل ما يعين على معرفة الصين بكل ما تشتمل عليه من آثار قديمة ، ونهضة حديثة ، وذلك عن طريق الطيران الداخلى الذى مكنا من زيارة شرق الصين وغربها ، وشمالها وجنوبها ، وكان من المناطق التى استوقفت نظرى منطقة سيكيانج التى كانت الكتابة فيها على جدران المحال العامة والخاصة بالحروف العربية التى جاء بها إلى هذا المكان الأتراك يوم كانوا يعتزون باللغة العربية ، والخط العربى على يد خلفاء آل عثمان .

وفى طريق العودة إلى بكين زرت سور الصين العظيم ، وهو من الآثار التى لا يسوغ لمن يزور الصين أن يتغاضى عن زيارتها ، مهما كلفه هذا من جهد ومشقة . غير أن من الناس من يظن أن هذا السور - على عظمته وقوته - هو السور المقصود فى القرآن الكريم بالآية الشريفة من سورة الكهف « حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكننى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، أتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتونى أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا » .

## سور الصين ليس هو السد المذكور في سورة الكهف

وليس يرتاب الذين رأوا سور الصين وتدبروا القرآن العظيم ، أنه ليس هو المقصود بكلمة السد التى وردت على لسان ذى القرنين في سورة الكهف ، فالذين يذهبون هذا المذهب الخاطيء ، إما أنهم لم يروا سور الصين ، وإما أنهم لم يفهموا معنى الآية في الكتاب الكريم .

ذلك أن القرآن حين ذكر امرين عن السد الذى أقامه ذو القرنين وهما أنه بنى في مكان ارتفعت الجبال فيه كجدارين على جانبيه : أعنى أن المكان كان مضيقا جبليا ، وأن السد الذى بنى به استخدمت فيه قطع الحديد ، ثم أفرغ عليها النحاس المذاب ، على ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي ، كما يجب أن يكون هو جدارا حديديا ، لا جدارا من الحجر والآجر ، ثم أن يكون قد سد طريق المضيق الجبلي لكى نعلم أنه هو السد المذكور في القرآن .

وقد ذكرنا هذه الأوصاف على هذه الصورة لأن المفسرين للقرآن غضوا النظر عنها ، فإذا سمعوا بوجود جدار في مكان ما ، سبق إلى أذهانهم أنه هو السد الذى يريده القرآن الكريم في الآية الشريفة ، على حين أن جدار الصين أو سورها العظيم ، لا يمكن أن يكون على الصورة التى ذكرنا بحال من الأحوال . ذلك أن باينه لم يضعه في مضيق جبلي ، ولا استخدم فيه قطع الحديد بل هو جدار من الحجر يمتد إلى مئات من الأميال .

ومن حق الآية الكريمة علينا أن نشير إلى ما تضمنته من فائدة السد لمن كان دونه من قبائل تخشى الغارة من ياجوج وماجوج ، فمن كان هؤلاء القوم يا ترى ؟ ... لقد تظاهرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية تعيش في السهول الشمالية الشرقية ، وقد تدفقت سيولها قبل العصور التاريخية إلى القرن التاسع الميلادى ، وكان تدفقها نحو البلاد الغربية والجنوبية ، وقد سميت هذه القبائل بأسماء مختلفة في عصور مختلفة ، وعرف الناس قسما منها في الزمن المتأخر باسم « ميفر » في أوروبا ، وباسم « القطار » في آسيا .

ولا شك أن فرعا لهؤلاء القوم كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، وقد أغار هذا الفرع على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز ، وقد سماه اليونانيون باسم « سيفت هين » .

ولنا أن نجزم بعد قراءات كثيرة بأن هؤلاء هم الذين شكت غاراتهم الشعوب الجبلية إلى ذى القرنين ، فبنى السد الحديدي يمنع به أولئك المغيرين المدمرين .

وبهذا يتضح الفرق غاية الاتضاح في معنى الآية الكريمة ، ولا يكون محتملا في حال أن سور الصين هو المقصود بالآيات الكريمة في سورة الكهف .

ثم عدنا إلى بكين بعد تلك الرحلات الشائقة الشاقة ، وكانت هذه الرحلة ختام عشرين ألف ميل قطعتها متجولا في بلاد الصين على ما ذكرت تلك الرحلة الصحافة العالمية والمحلية . وقد نشرت جريدة الاخبار يوم ١٤/٥/١٩٥٥ رسما كاريكاتوريا تحت عنوان « اطلبوا العلم ولو في الصين » . وقالت : كانوا يطلبون العلم في الصين فأصبحت الصين تطلب العلم من مصر . والباقورى أول وزير أوقاف ركب الطائرات ليدرس أحوال المسلمين وراء المحيطات ، كان المشايخ في الماضى يكتفون بقراءة الفاتحة للمسلمين في الشرق والغرب وهم جلوس في مكاتبهم ! ولكن الباقرى شاء أن يجعل عالم الدين يركب الطائرات ويجوب البحار ، ويطير من أندونيسيا إلى الفلبين إلى هونج كونج - تائر في جبة وقفطان ، مجدد تحت العمامة ، مؤمن بغير تعصب ، في وجهه حياة ، وفي قلبه ثورة ، في يده مسبحة وفي عقله أفكار حديثة ، يجلس على السجادة ويركب الطائرة ، وفي الحاليتين يسبح بحمد الله .

وقالت جريدة القاهرة يوم ٨/٥/١٩٥٥ تحت عنوان « زيارة الباقرى للصين » .

« هناك أخبار لها نغم خاص جديد ، ومن هذه الأخبار أن الشيخ الباقرى وزير الأوقاف قد اتجه اليوم في رحلته بالشرق الأقصى إلى الصين لزيارة المسلمين فيها ، نقول الصين فقط دون تعريفها بأنها وطنية أو شعبية ، أو شيوعية ، لأن الزيارة التي يقوم بها الوزير المصرى لا علاقة لها بهذه الصفات .. إنها زيارة ذات طابع روحى يعلو فوق هذه النعوت » .

« ونقول إن هذا الخبر من الأخبار التي لها نغم خاص جديد . لأننا لم نكن نسمع مثلها في الماضى .. كنا معزولين عن هذا العالم الفسيح الذى لنا مع أهله صلات شتى منها الدين ومنها العقائد ومنها التقاليد ومنها وحدة الأصول أو وحدة الأهداف » .

وقد كان زعماء المسلمين ، ومعهم بعض الوزراء يجاملوننى على الاسلوب الشرقى فكانوا يتناولون معى طعام الافطار كل يوم في رمضان طوال إقامتى في بكين . وذات يوم دعانى وزير الثقافة لزيارة أثر يعتز به كل صينى ، وهو القصر الذى عاش فيه آخر أباطرة الصين ، وقد استجبت لدعوته شاكرا ورحت اتجول مع مرافقى المترجم وبقية الزملاء في الزيارة ، ولم ندع غرفة إلا دخلناها ولا بهوا إلا أحطنا بما فيه ، حتى حجرة نوم الامبراطور ، وقد أخذ منى العجب كل مأخذ حين دخلت تلك الغرفة العجيبة وقد لفت الزملاء نظرى إلى شجرة ذات ساق وفروع وأوراق ترتفع



حوالى متر ، وكل ما فيها مصنوع من « الجاد » الذى تأخذ خضرته بالالباب ، ويزيد هذه الشجرة روعة وجمالا أن بعض الأغصان الدقيقة فيها مصنوع من الاحجار الكريمة .

ولما رأى مرافقى علائم الدهشة فى وجهى أخبرنى أن هذه الشجرة التى لم تمسها يد . وقد سألته لماذا لم تعرض حكومة الصين هذه الشجرة للبيع فى الأسواق العالمية لكى تنتفع بثمنها فى ميزانية الدولة وشئون الشعب . قال الرجل المفضل - فى زهو وكبرياء - مبلغ علمى أن الحكومة دعت مثنين عالميين لمعرفة قيمتها ، فلما اجتمع هؤلاء اجمعوا على أنها لا يمكن أن تقدر بثمن وأن ورقة واحدة فيها قادرة على أن تغنى أسرة صينية مدى الحياة .

ثم عاد الرجل يلفت نظرى إلى حذاء أنيق تعلوه احجار كريمة كانت الامبراطورة تستخدمه فى أثناء تنقلاتها المحدودة بين حجر النوم ، وقال فى كبرياء إن الزعيم ماو - على سمو منزلته - هو الذى أشار بالاحتفاظ بكل ما خلفه الامبراطور وأسرته فى محل إقامته وقال الزعيم ، « إن هذا جزء من تاريخ الصين فالاعتداء عليه اعتداء على تاريخنا العظيم وحضارتنا العريقة .

## ترحيب خاص من ماوتسى تونج

وفيما نحن نتابع هذه الجولة الرائعة جاء مندوب القصر الجمهورى وهو يحمل بطاقات دعوة إلى حفل يدعو إليه الزعيم « ماو » فى الفندق الكبير بمناسبة وطنية - فلما جاء الموعد ، سبقنا الميعاد بوقت كاف لكى نتمكن من معرفة الوفود المدعوة معنا من اعضاء مؤتمر باندونج ، وأذكر منهم وفد العراق والجزائر واليمن وبورما والهند والباكستان والجمهورية التركية وغيرها . وقد اعدوا الأمكنة التى يقف فيها رؤساء الوفود ، وكان مكانى فى مواجهة الباب الرئيسى الذى يدخل منه الزعيم ماو ، وسائر الوفود وقوفا عن يمين الباب ويساره وأنا فى الوسط تماما ، فلما أقبل الزعيم الصينى قصد إلى فصافحنى مرحبا ترحيبيا كريما ، ثم بدأ يصافح الواقفين عن يمين ثم عن يسار سائرا على قدميه حتى فرغ من مصافحة الوفود اجمعين .

ولست أنسى السيد رئيس وفد اليمن سيف الإسلام الحسن ، فقد جاء إلى يقول : إن هذا التصرف من زعيم الصين هو تكريم للمسلمين جميعا فى عمامة الشيخ الباقورى .

ومضى شهر رمضان كما يمضى الطيف العزيز الأثير ، فقد كان هذا الشهر مع المسلمين الصينيين شهر معرفة وتعليم ، فكنت استمع منهم تاريخ بلادهم كما

يستمعون منى تاريخ بلدى العريق وامتى الاسلامية العظيمة . والذين يعرفون اهل الصين يعرفون انهم يقضون وقتا طويلا فى تناول الطعام ، وفى احاديث كثيرة يروونها عن بلادهم على صورة تدعو إلى العجب والاعجاب .

ولقد اذكر من تلك الاحاديث ان واحدا من جلسائى فى تلك السهرات الرمنضانية تحدث إلى المجلس ذات ليلة عن فلاسفة الصين فقال : إن هؤلاء الفلاسفة كانوا يختارون لتلاميذهم امكنة المحاضرات فى الهواء الطلق بين سمع الطبيعة وبصرها ، فذلك أعون على هدوء الأعصاب وصفاء الذهن وحفظ ما يلقى إليهم من فلسفة وعلم ومعرفة . ومما ذكره ذلك الزميل على موائد الافطار والسحور قوله : كان هناك مريد يدعى « تزه كونج » وكان من التلاميذ الاذكياء الذين يطمحون إلى ارفع المناصب فى الدولة .

وغير خفى على العلماء بالتاريخ ان لقب « معلم » كان اشرف الالقاب التى يتمنى الظفر بها رجل الفلسفة وعالم الاجتماع ، فقال - تزه كونج - فى احدى المحاضرات : يا معلم ماذا يجب على الدولة للشعب ؟ فقال ان من حق الشعب على الدولة ان توفر له امورا ثلاثة : احدها عدة الحرب التى يدافع بها عن نفسه ، وثانيها لقمة العيش التى تمسك حياته ، وثالثها الثقة بالحكومة التى تستبقى له قوة دولته .

فقال - تزه كونج - يا معلم إذا لم يكن بد من الاستغناء عن واحد من هذه الامور الثلاثة فما الذى نستغنى عنه الشعب ؟

فأجابه المعلم نستغنى عن عدة الحرب لاننا نستطيع أن نخرج الاعداء من بلادنا إذا قاطعناهم ، فلم نتعامل معهم فى شأن من شؤون الاجتماع ، فإنهم عند ذلك لا يستطيعون البقاء ولا يجدون مناصبا من الجلاء . ولم يشأ - تزه كونج - أن يسكت فقال يا معلم إذا لم يكن بد من الاستغناء عن أحد الامرين لقمة العيش والثقة ، فما الذى نستغنى عنه منهما ؟

فأجابه الفيلسوف المعلم نستغنى عن لقمة العيش ، لأن الموت كان ولا يزال حتما مقضيا على البشر ، أما إذا انعدمت الثقة ، فلا بقاء لدولة الشعب ، وعند ذلك يتهاافت عليه الاعداء ويتخلى عنه الاصدقاء وقد نالت هذه القصة من السامعين ما تستحقه من الاستحسان ، ولم اكن أنا اقل القوم إعجابا بها . وذلك لاننى رأيتها مطبقة تطبيقا صارما فى شعب الصين . فكل حاكم ولاية وكل وزير وفى مقدمتهم الرئيس شو والزعيم ماو كان يطبق على نفسه ما يدعو الشعب إلى تطبيقه . ومما لا أستطيع إغفاله فى هذا الحديث ، ان الرئيس شواين لاي كان قد اقام حفل عشاء فى مجلس الوزراء ودعا إليه زعماء الديانات من مسلمين ومسيحيين وبوذيين . ولما فرغنا من الطعام أخذ الرجل بيدى وراح يطوف معى على هؤلاء الزعماء فيقدمنى إليهم فى الوقت الذى يقدم نفسه إلى كل واحد منهم .

ثم قام الرجل بعد ذلك ، فالتقى كلمة بصفته رئيسا لدولة كبيرة تحترم فيما ذكر عقائد المتدينين من مختلف الديانات ، وكان حقا على أن أرد التحية بمثلا ، فقلت ما كنت قلته قبل ذلك في كثير من البلاد التي زرتها ، وخلاصة ذلك أن الإسلام يحترم الحرية ، وخاصة حرية الدين وضربت لهم مثلا يقره فقهاء الاسلام فيقولون - على سبيل الافتراض - : إذا التقط أحد المارة المسلمين طفلا حديث الولادة ، ثم ذهب به إلى بيته فنازعه فيه آخر غير مسلم ، ثم لم يجد بدا من اللجوء للقاضي المسلم ليحكم بينهما بما يراه متفقا مع أصول الإسلام ، فإذا ادعى المسلم أن الطفل للقيط عبده ، وادعى غير المسلم أن الطفل ولده ، فإن على القاضي المسلم أن يحكم بالطفل لغير المسلم ولدا ، ولا يحكم به للمسلم عبدا ، لأن الشريعة المحمدية متشوقة غاية التشوق إلى التمكين للحرية في دنيا الناس .

وفي اليوم الثاني رأيت أن أزور المسيحيين في كنائسهم والبوذيين في معابدهم ، وكانت الغاية من وراء هذه الزيارة الكشف عن مدى الصدق في كفالة الصين لحرية العقائد .

## زيارة لكنيسة ومعبد بوذي

وبدأت بزيارة الكنيسة التي قالوا عنها أنها أم الكنائس في الصين ، ولقيني أهل الدين فيها كما كانوا يلقونني دائما بالثناء على مصر والإشادة بالأزهر الشريف الذي كان يتمتع بالتكريم من كل حكام مصر أمراء وملوكا ورؤساء حتى جاءت ثورة يوليو راح الناس يظنون أن الثورة سوف تنتكر للأزهر ، ولكنها كانت على عكس ما يظنون فكرمت الأزهر أبلغ تكريم باختيار ضيفنا الذي نسعد به بيننا الآن وزيرا بارزا فيها .

ثم ثنيت لزيارة أحد المعابد البوذية ، فلما أفضيت إلى داخل المعبد استلفت انتباهي أحد زوار المعبد . ذلك أنه وقف خاشعا أمام تمثال هائل لبوذا ، ثم القى بنفسه تحت قدمي التمثال في خشوع واضح واستسلام عجيب ، وقد كان هذا التمثال يدعو الناظر إلى الدهشة والاستغراب ، ذلك أنه كان منحوتا من جذع شجرة عالية ضخمة ، وقد تفنن النحات الصيني في صياغة وجه التمثال وسائر أجزائه الجسمانية على طريقة تخيل الناظر إليه أنه يقف أمام بوذا بلحمه ودمه ، وليس هذا على الفنان الصيني ببعيد ؛ فإن حضارة هذا الشعب تتجلى رائعة معجبة في كل ما للصيني في حياته الاجتماعية من سائر نواحيها سواء في ذلك ما يتصل بحياته المادية ، وحياته الروحية .

وقد قضينا في الصين شهر رمضان ١٣٧٤ هـ تغادر بكين ثم نعود إليها ،

فلما قرب عيد الفطر رغبت الحكومة الصينية إلى أن أصلي العيد مع المسلمين في مقاطعة طاغستان . وهذه المقاطعة تقع على الضفة الغربية من بحر الخرز ، ويذكر أهلها أن بلادهم فتحت في خلافة هشام بن عبد الملك ، ومنها انتشر الإسلام في تلك الأقطار ، وكان أهلها لا يدينون بالإسلام .

وقد ذكر مؤرخ موثوق أن أحد الملوك في بلاد طاغستان كان يقيم شعائر الملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ، فكان يصلي يوم الجمعة مع المسلمين ، ويوم السبت مع اليهود ، ويوم الأحد مع المسيحيين .

ولما اجتاحت المغول بلاد طاغستان كان أكثر أهلها قد صاروا مسلمين ثم لما كانت غارة تيمور لك في سنة ١٣٩٥ م كان أشهر شعوب الطاغستان قبيلتين : إحداهما القايتاق والأخرى القومق ، وكان هؤلاء من أشد أنصار الإسلام وأشد حماسا في بث دعوته .

وفي عام ١٥٧٨ م استولى على تلك البقاع الأتراك العثمانيون ، ولكن لم تطل فيها مدتهم .

وقد أعجبني من أولئك الذين لقيتهم في تلك البلاد ، إصرارهم على أن أكثر الأشراف في طاغستان ينتمون إلى أصل عربي ، وأن أباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

وقد كان يطيب لي أن أجالسهم كثيرا في الهواء الطلق حينما وفي بيوتهم مع أسرهم أحيانا في أيام العيد ، وكنا إذا دخلنا دار أحدهم في أيام العيد وجدنا تلالا من الكعك والحلوى ، وأبواب بيوتهم مفتوحة في أيام الأعياد يفشاهما كل من أراد تهنئتهم بالعند .

وكان كبارهم وزعماءهم يتحدثون إلى كلما سنحت فرصة ، فيذكرون لي أن روسيا القيصرية كانت قد طمعت في الاستيلاء على الطاغستان منذ القرن السادس الميلادي ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منها ما يريدون . وكنت انتفع بتلك الأحاديث انتفاع متعة ومعرفة ، وكان يغريهم ذلك بالماضي في حديث الطاغستان : ماضيها ، وحاضرها ومستقبلها - حتى إذا أفضى بهم الحديث إلى الشيخ شامل الذي كان يقتدى بالأمير عبد القادر الجزائري - بدت في أصواتهم نغمة حزن أسيف وراحوا يذكرون للشيخ المجاهد العظيم من المناقب مالا يعرفه كثير من المسلمين .

ذلك أن الرجل رضى الله عنه التقى بالروس في وقائع كثيرة أرغمتهم على الجلاء عن جميع البلاد . وقد افتتح المجاهد العظيم جميع الحصون التي كانت للروس في الجبال وغنم منهم شيئا كثيرا من المؤن والعتاد الحربي وأخذ عددا كبيرا من الأسرى .

ولا ريب أن انتصار الشيخ شامل أخرج كبرياء القياصرة ، وأضعف هيبتهم في نفوس أمتهم ، فلم يجدوا بدا من أن يحشدوا كل مظاهر قوتهم ، ثم يهاجموا المجاهدين الذين لا يملكون من القوة والعتاد ما يملك أعداؤهم الحانقون . وبذلك تمكن الطغاة من السيطرة على بلاد طاغستان ، غير أن الرجل لم تهن قوته ولا فترت عزيمته ، فظل يقاوم أعداءه عشر سنين في الجهات الغربية من الجبال ، ولكن جذوة الإيمان لم تخمد في صدر الرجل العظيم ، فظل يقاتل ويناضل حتى نشبت الحرب بين روسيا وتركيا فثار أهل الطاغستان ، واستعادوا القابهم التي حرمتهم روسيا منها ، وكان لقب ملوكهم وأمرائهم السيد المعصوم ، ثم لما دارت الدائرة على الدولة العثمانية في تلك الحرب تمكنت روسيا من قمع الثورة وقهر الثائرين ، ومضى الشيخ شامل إلى الملا الأعلى في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمجاهدين المتقين .

وليس يخفى على الذين يتدبرون الأحداث التاريخية أن الإسلام رحم بين أهله ، وأن المسلم حيثما سار وأينما حل واجد في أخوة العقيدة ما يغنيه عن أخوة الآباء والأمهات .

## دخول الإسلام للصين

هذا وقد يسأل سائل حريص على المعرفة عن دخول الإسلام إلى الصين ، في أية سنة ؟ وفي أي عهد من عهود الدعاة إلى الإسلام ؟

والذي يرتضيه ثقات المؤرخين أن أول وأقد إلى الدولة الصينية من الدولة الإسلامية كان في عهد سيدنا عثمان سنة ٧٥١ م وقد رحل إلى الصين في عهد الخلفاء الراشدين كثيرون من أهل الدعوة والتجار ، وكانت الجالية الإسلامية في عاصمة الصين وحدها أربعة آلاف شخص ، وهي أكثر من الجالية الفرنجية الموجودة آنئذ في بكين . وقد كان عواهل الصين يجاملون المسلمين .

وفي عهد أسرة جانتكينز خان سنة ١٣٦٧ م ، كان للمسلمين منزلة عالية سياسية واجتماعية ، وكان الأعيان المسلمون الذين سجلت أسماؤهم في سجل طبقة الأعيان الملكي أكثر من مائة نفر .

وقد كان السيد جاسر الدين القلقى المسلم واليا عادلا على مقاطعة ، أو ولاية يونان ، وقد بنى لأهلها هيكلًا للفيلسوف الأكبر كونفوشيوس .

ومن أحسن ما ألف من كتب باللغة الصينية كتاب الفه العلامة صالح في آخر القرن الثامن عشر وسماه سيرة سيد المرسلين ، ثم ألف كتابا آخر سماه أسرار الإسلام .

وهذا العلامة المسلم المؤرخ الجليل مدفون في بلدة فانكين ، وقد حاولت أن أزور قبره حين أنبأني زملائي بتلك المعلومات القيمة التي تدعو الانسان إلى السعى إلى مظاهر وجودها مهما بلغت بهم المشقة من جهد جهيد .

وقد كان الأمر على ما يرام لولا طغاة الأسيرة المنشورية الذين اضطهدوا المسلمين وساموهم الخسف سنة ١٩١٠ م ، وزاد من اضطهادهم أمراء منشوريا الذين كانوا في سيكيانج « التركستان الصينية » فأخذوا أموالهم - واستحيوا نساءهم حتى قام المسلمون يدافعون عن أنفسهم ، ف وقعت الثورة الهائلة التي استغرقت أكثر من مائة سنة من ١٧٥٨ إلى ١٨٧٣ ميلادية .

ولا ريب أنك - أعزك الله - متناول إلى الالام بأسباب انتشار الإسلام في الصين ، فاعلم - علمك الله الخير - أن لهذا الانتشار أسبابا عدة أولها : تجارة المسلمين ، وثانيها : الفتوح الاسلامية ، وثالثها : تناسل المسلمين ، ورابعها : اختلاط الوثنيين بالمسلمين ، وتأثرهم بأدابهم التي حملت أبناء التتار في التركستان الصينية والروسية على أن يروا في الاسلام المثل الأعلى الذي تنشده الفطرة الصحيحة وتتغياها الحياة الشريفة المسالمة .

ومن الصور التي تستلفت النظر انتشار الجمعيات الاسلامية الصينية ، وكثرة المدارس الاسلامية أيضا ، وفي إطار ذلك المجلات الصينية الاسلامية . وقد روى لي أحد الزملاء بمناسبة المجلات أن مجلة الآداب الصينية كان قد كتب فيها أحد سفلة الكتاب مقالة خلاصتها : « أن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير لأنهم أبناء خنزير ، والانسان لا يأكل أباه » .

وقد طبعت المطبعة الحديثة بشنغهاي هذه الحكاية في كتاب مستقل ، فقام المسلمون في ذلك البلد - شنغهاي - يتشاورون في هذا الأمر الخطير ، ثم تقدموا باحتجاج إلى إدارة المجلة فوعدهم رئيس التحرير أن ينشر في الجرائد اليومية المشهورة اعتذاره للمسلمين ، كما وعد أن يصحح الخطأ الذي نشر في العدد الأخير وأعدا إياهم أن لا ينشر في المجلة مثل هذا الرأي السفيف مَرَّة أخرى ، وأن يطعم النار أعداد المجلة المذكورة .

## مسجد الشوق إلى النبي

ولا يفوتني أن اذكر أن أقدس مكان زرت في تلك البلاد مسجد يسميه المسلمون الصينيون « مسجد الشوق إلى النبي » وقد أخبرني أحد الزملاء أن هذا المسجد بنى على الطراز الصيني في القرن الأول من الهجرة ، وكان الذين قاموا ببنائه من أهل



□ الباقورى بعد ان ادى الصلاة في مسجد الشوق إلى النبي في بكين ( ١٩٥٥ ) ومعه بعض المسلمين الصينيين . والعبارة المكتوبة بالصينية في الجزء العلوى من الصورة معناها : الاسلام رحمة من الله تعم ارجاء العالم .

المدينة المنورة ، فلما أتموا المسجد وغرسوا الأشجار إلى جانبه هموا بالرجوع إلى المدينة ، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون فأطلقوا على هذا المسجد اسم « مسجد الشوق إلى النبي » .

ولقد كانت زيارتى لهذا المسجد مسك الختام في رحلتى إلى الصين ، فلما هممت بالعودة تفضل الزعيم ماو فأهدى إلى كتابا من جزئين مكتوب باللغة الانجليزية وعنوانه « أكبر زحف في التاريخ » .

وقد طلب منى الرئيس جمال عبد الناصر أن يطلع على هذا الكتاب لينتفع به فأعطيته الكتاب .

وأقام الرئيس شواين لاي حفل عشاء بمنزله بمناسبة انتهاء زيارتى للصين التى تم فيها توطيد صلات طيبة بين الصين ، ومصر عن طريق أول معاهدتين

إحداهما اقتصادية ، والثانية ثقافية قمت بتوقيعهما ، ولما انتهى حفل العشاء أهدى إلى شواين لاي بعض أواني الأزهار ، وحملنى إلى الرئيس سجادة « شينواة » كبيرة أخبرنى الرئيس أنه وضعها في حجرة نومه ذكرى لمؤتمر باندونج .

## زيارة للفلبين

وبعد زيارة الصين لم يكن لى مندوحة عن زيارة الفلبين لحضور المؤتمر الإسلامى الذى كان منعقدا في « كوتاباتو » برياسة خليف الزمان الباكستانى .

وفى مدينة « كوتاباتو » أنزلونا فى فندق شديد التواضع ، وقد أدهشنى أننى رايت المسلمين فى تلك البلاد يقدسون كل من له صلة بالإسلام من قريب أو بعيد ، وقد بلغت دهشتى غايتها حين ذهبت لأداء صلاة العشاء فى مسجد البلد ، فرأيت المسلمون فى المسجد يتناولون جبتي بالتقبيل والدموع ملء مآقيهم .

والفلبين عبارة عن جزائر تقع فى بحر الصين غربا ، والباسفيك شرقا ، وبحر سيلان جنوبا ، وهذا القطر ينتظم ألفا ومئتى جزيرة ، وهى جزائر جبلية بركانية كثيرة الزلازل ، وقد سميت هذه الجزر بالفلبين نسبة إلى فيليب الثانى ملك أسبانيا الذى جرى اكتشاف هذه الجزائر فى أيامه ، فدان أكثر أهلها بالمسيحية ، وكان ذلك فى سنة ١٥٦٨ م .

وقد ظلت هذه الجزر مئات السنين خاضعة للحكم الأسبانى ، ولكن أهلها اضطروا إلى الثورة لقسوة معاملة الأسبان لهم فناصرت حكومة أمريكا الثائرين فى حركتهم فخلصوا بذلك من حكم أسبانيا .

وقد أراد الأمريكيون أن يستميلوا المسلمين من أهل الفلبين ليتقوا بهم على الكاثوليك ، إذ كان مذهب أمريكا الدينى موصول الأسباب بالمذهب البروتستانتى ، وبين البروتستانت والكاثوليك خصومة شديدة تبلغ أحيانا منزلة العدواة بين المتخاصمين .

وقد احتالت أمريكا لذلك حيلة ذكية فأرسلت إلى الاستانة وفدا يلتمس من الحكومة العثمانية إرسال مرشدين يعملون على تهذيب مسلمى الفلبين نظرا لما كانوا عليه من الجهل يومذاك .

ولما كانت الدولة العثمانية وقتئذ شديدة العناية بأمور الإسلام أمرت المشيخة الإسلامية بأن ترسل إلى الفلبين أحد مأموريها ، وهو المرحوم وجيه أفندى زيد الكيلانى النابلسى ، وقد جعلت الحكومة ذلك الرجل أشبه بشيخ للإسلام فى الفلبين ،



فلما ذهب استقبله المسلمون بفرح يفوق الوصف ، وبدأ الرجل مهمته ، وغاونه الأمريكيون أكرم معونة ، ولكنه مرض مرضا شديدا فرجع إلى وطنه ، وهناك قضى نحبه ، فلقى ربه راضيا مرضيا .

وأشهد اننى لا اكاد اتخيل هذا الموقف لامريكا إلا ويأخذنى العجب من موقف هذه الدولة الكبرى من قضايا التحرر في العالم ، وكم تمنيت أن يمضى هذا البلد الحر على سنته القديمة في الانتصار للمظلومين على ظالمهم ، فإذا هم على ذلك منتصرون لأبناء فلسطين الذين لا يشك أحد في أنهم ضحايا ظلم أليم ، ولو أن امريكا أخذت نفسها بالمضى على الطريق الذى سلكته مع مسلمى الفلبين - منذ مئات السنين لكانت بذلك قد ربطت ، حاضرها المأمول بماضيتها الكريم ، ثم انطلقت بذلك ، ومن ذلك إلى قابل شريف يخشاه العدو ، ويرضاه الصديق .

ثم نعود بك - أكرمك الله - إلى المؤتمر الإسلامى في كوتاباتو ، فاذكر لك بغير زهو أن المؤتمرين كانوا ينتظرون وصولى إلى مؤتمرهم انتظار الصائم المجهود مدفع الافطار .

ومما زاد إعجابى بأولئك السادة واعتزازى بالأزهر الشريف أن رئيس المؤتمر تخطى لى عن مكان الرئاسة ، وجاء إلى يعانقنى كما يعانق الأخ أخاه بعد غياب طويل . ثم دعيت إلى الكلام ، فبدأت خطابى بما كنت أبدا به خطبى كلما تهيأت لى إلى موقف خطابى سبيل . فحمدت الله جل ثناؤه وصليت على سيدنا محمد رسول الله وعلى جميع إخوته من الانبياء والمرسلين وفى طليعتهم موسى وعيسى عليهما السلام ، ثم ذكرت للقوم اننى في هذا الموقف أمثل مصر نائبا عن رئيسها الذى حملنى إليكم تحيات طيبات . ورايت أن أتبرع من وزارة الأوقاف بثلاثة آلاف جنيه لجميع العمال الذين شاركوا في الاعداد لهذا المؤتمر الكبير ، وقد تولى تفصيل هذا الاجمال مرافقى في الرحلة الدكتور مصطفى كامل في لغة انجليزية مبينة .

ولا يفوتنى أن اذكر عن السيد خليف الزمان سفير باكستان انه كان يتولى خطبة الجمعة حيثما حل في بلد إسلامى تقام فيه الجمععات .

ولست أبالغ إذا ذكرت أن أكثر الذين كانوا في المؤتمر لم يكونوا يعرفون عن جمال عبد الناصر ، وماذا تعنى كلمة ثورة في مصر ! بل لقد زعم أحدهم أن مصر بلد يحكمه الشيوعيون ، ولكن الزعيم أحمد الفتو السينااتور زعيم المسلمين في الفلبين قام فذكر أن الحكومات الشيوعية لا يمكن أن يمثلها في مؤتمر إسلامى عالم من علماء الأزهر الشريف يتولى منصب وزير الأوقاف ، وقد صفق الناس طويلا لهذه الكلمات الصادقة ، فاقبلوا على يعتذرون إلى عن هذه الكلمة التى القاها الشيطان على فم مواطن جاهل بشئون البلاد العربية والاسلامية .

وفي المساء دعيت إلى حفل عشاء أقامته جمعية تبشيرية مسيحية في الفلبين ، ولم يكن من الميسور أن اعتذر عن عدم إجابة الدعوة ، فقبلتها شاكرًا . وفي مساء ذلك اليوم من شهر يونيو سنة ١٩٥٥ م ذهبت مع المدعوين إلى حفل العشاء وقد كان رئيس البعثة التبشيرية رجلاً طيب السلوك مهذب الحديث فلما دخلنا إلى حجرة الطعام ، جاء يسألني : لقد اعتدنا أن نصل على الطعام قبل أن نتناوله ، فهل يؤذيك أن أمضي على هذه السنة ؟

فأجبت له لقد كنت أحب أن أطلب إليك أن لا تبطل أيا من عاداتك لأن الاسلام يأمرنا أن نحترم مشاعر مخالفتنا في الدين .

ولست أنسى أننا - بعد أن فرغنا من العشاء - جاء إلى أحد الاخوة المسلمين يقول لي إنك أطعمتنا في هذه الليلة طعاما يحرمه علينا الاسلام ، لأن رئيس الجمعية المسيحية ذكر في صلاته المسيح ، فذنبنا في هذا الطعام الحرام تحمله أنت عنا .

وأذكر أنني قلت للرجل يا أخى إذا كنت تطلب الحق ، فإننى أجيبك بما أرجو أن يقتنع إن شاء الله . وإن كنت تستوحى العصبية البغيضة إلى ، فإن أمرى وأمرى إلى الله الذى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . فأجابنى الأخ المسلم ، وقد أغرورقت عيناه بالدموع إننى لا أطلب إلا الحق والاطمئنان إلى أننى أكلت طعاما غير حرام .

فقلت له وقد تأثرت غاية التأثر ، إنك لابد قرأت سورة المائدة وفيها هذه الآية : « اليوم أحل لكم من الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، الخ الآيات .

وأنت إذا راجعت كتب التفسير ، وفي مقدمتها الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، فإنك واجد في تفسير هذه الآية ما نصه : وجائز للمسلم أن يأكل من ذبيحة الكتابي ، وإن ذكر عليها اسم المسيح لأن الله تعالى أحل إلينا أن نأكل من ذبائحهم وقد علم ما يقولون .

ولم يسع هذا الأخ إلا أن يقوم أخذاً بيدى يقبلها ويقبل رأسى ، ويسألنى أن أعفو عنه .

## تقرير لعبد الناصر من الفلبين

وقد بعثت إلى عبد الناصر من الفلبين بما كانت تشتمل عليه الرحلة من حديث

عن مصر ، والأمال الكبار التى يعقدها عليها المسلمون فى كل بلد فيه إسلام ومسلمون .

ومع أن هذه كانت الحقيقة التى لا ريب فيها ، فإننى لم أكن أبتغى من وراء ذكرها له إلا أن أصرفه عما كان يوسوس به إليه قرناء السوء من بعض الوزراء ، ويؤيئون له القدوة بأتاتورك . الذى صنع بتركيا ما أشمت العدو وأحزن الصديق ، وجعلها تفقد كل الموانى التى كانت تحت سلطانها فى البحر الأبيض المتوسط .

واعتقد أننى قد نجحت فى ذلك بعون من الله وتوفيق ، فأنصرف عبد الناصر عما كان يراد له ولمصر معه من شر مستطير ، والحمد لله رب العالمين .

وقد كانت هذه الرسائل نهاية لرحلة طويلة شاقة ، فلم أجد بدا من العودة إلى بلدى بعد أن أديت الأمانة خارج البلاد ، كما كنت قد أديتها من قبل داخل البلاد . وما كان ليغيب عنى فى لحظة أننى أول مسئول مصرى طاف أرجاء العالم داعيا لمصر والعروبة والإسلام . . . ولست بقادر على تجلية شعورى بالسعادة التى غمرت نفسى لأول ما لاحت معالم الوطن الحبيب الذى كان يتمثل لعينى فى البقطة والنام مدة تسعين يوما جوالا فى أفاق مختلفة الأجواء ، وأقطار مختلفة المشاعر والعقائد . . . ولم يكن لى فى كل ذلك من حديث إلا عن مصر وحضارة مصر ، ثم عن الأزهر الشريف الذى رأيته موضع التقدير والاحلال فى الهند والباكستان وأندونيسيا والصين واليابان والفلبين وسيلان . وكنت كلما رأيت نفسى موضعا للتكريم إلى درجة التقديس بين أهل تلك البلاد ، وددت لو أن كل أزهرى رأى ما رأيت لكى يعلم مقدار ما للأزهر من منزلة سامية ، وتكريم عظيم .

وقد وصلت الطائرة إلى مطار القاهرة فى السادسة صباحا ومع ذلك وجدت المطار غاصا بالمستقبلين ، كما ذكرت ذلك الصحف بتاريخ ٣٠/٦/١٩٥٥ وكان طبيعيا . وقد بلغت القاهرة - أن أستريح بعد طيران ألف الأميال غير أن مكتب الرئيس اتصل بى فى حلوان ، وأبلغنى أنه قرر السفر إلى صعيد مصر ، وأنه حريص على أن أصحبه فى تلك الرحلة .

وكانت هذه - بلا ريب - فرصة سانحة لاتحدث إليه عن رحلتى ، ونحن فى القطار ، ولقد أذكرهنا - لله ثم للتاريخ - أن الرجل قد استقبلنى استقبال عزيز عليه ، فلما أخذنا أمكنتنا فى صالون القطار الذى كان خاصا بالملك ، بدأ يسألنى عن الرحلة ، فرحت أقص عليه كل ما شاهدته ، مما يتعلق بشئون شعبنا ، وما كان فيه ، وما صار إليه عن طريق الثورة ، التى لا أشك أنها أخذت مكانها من الإعجاب بها ، والتقدير للقائمين عليها .

وقد كان الرجل يحسن الاستماع ، وربما شاركه في التعليق على الحديث زملاء الرحلة ، منهم جمال سالم ، وأنور السادات ، ولا ريب في أن الحديث عن الرحلة قد استغرق وقتاً طويلاً ، كنا نقطعه حيناً بتناول الشاي وحيناً آخر بتناول الغداء ، وأحياناً بالوقوف لاستقبال الجماهير التي كانت تحتشد في المحطات التي يقف عليها القطار .

## الفرق بين ثورتى مصر والصين

وفيما كنا على هذه الحال - والحديث ذوشجون - بدأ على وجهه أنه يتهيأ لتوجيه سؤال ، فسألنى عن الفرق بين الثورتين الصينية والمصرية ، وطلب إلى أن أجيبه في صراحة ووضوح .

وأذكر أنني قلت له : إن الفرق يقتضىنى حديثاً ربما طال فأمل ، أو قصر فأخل .

فأجابنى : أنا عايز أعرف كل ما يمكن معرفته عن هذا الشعب ، بكل ما فيه من نظم وبكل ما له من تاريخ .

فبدأت أقول له : إن الاستعمار تختلف أساليبه باختلاف الشعوب التى يرى مصلحته فى استعمارها ، فلا يمكن أن تكون أساليبه فى الصين هى نفس أساليبه فى مصر ، ذلك أن أهل الصين لم يكن لهم دين فى حياتهم الجاهلية وإنما كانوا يتبعون فلاسفة ومفكرين ، فى طليعتهم معلمهم الأكبر كونفوشيوس الذى لم يكن مؤمن بدين أو إله يدير الكون ، ويقيم أمره على الإيمان بنظرية الجزاء على الأعمال إحساناً بإحسان ، وإساءة بإساءة . والأمر على غير ذلك فى مصر منذ أقدم العصور ، فإنها كانت تؤمن بإله أزلى غيبى واحد ، عبدته فى قوة الاخصاب النباتى فى النيل ، وقوة الاخصاب الحيوانى فى العجل أبيس ، وقوة التدبير فى فرعون .

ثم هى - مع ذلك - لا تزال تؤمن بنظرية الحساب ، خالدة نقوشها على جدران المعابد الأثرية فى كل مكان يكشف عنه الباحثون . فلما ابتعث الله بالاسلام الحنيف محمداً رسول الله رحمة للعالمين ، بدأ أصحابه الميامين يحملون الدعوة إلى الله ، فجاء عمرو بن العاص إلى مصر . ومن مصر انطلق الدعاة إلى الغرب . وذهب إلى الصين كثير من الوفود الإسلامية وفى طليعة أولئك السادة سعد بن أبى وقاص الذى بنى له ضريح بالقرب من مدينة كانغتون ، وذلك فى منتصف القرن السابع ، وقد انتشرت الدعوة الإسلامية عن أولئك الدعاة بين أهل سينكيانج « التركستان الصينية » . وقد ظلت أتحدث إليه عن دخول الإسلام فى منطقة الشرق الأقصى ، فبدأت علائم

الدهشة في وجهه ، وقال متى حفظت كل هذا ؟ وكيف تستحضره الآن ؟ فأجبت في ثقة بأننى كنت مدرسا في معهد القاهرة ، وكانت مشيخة الأزهر قد رشحتنى لبعثة في البلاد الأجنبية ، وكان من الطبيعى أن يبحث المرشحون للبعثات عن كتب يقرأونها ابتغاء الظفر بعضوية بعثة تسافر إلى أرض الله للتعلم أو للتعليم ، وفي أثناء دراستى لتاريخ الأزهر ، وتاريخ التبشير في مختلف البلاد التى تدين بغير الإسلام ، وقعت بى المصادفة على مذكرة كان قد رفعها الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر إلى السراى الملكية في هذا الموضوع ، وفيها يذكر أن رسائل كثيرة من جهات أجنبية رسمية ترغب في إرسال مبعوثين من الأزهر إلى الصين والهند وجنوب أفريقيا والكونغو وأمريكا ، وذلك لتعليم الناس في تلك البلاد الإسلام ، وقد سافر من الأزهر إلى الصين زميلان في معهد القاهرة هما : الشيخ سيد الداي ، والشيخ فليفل الصغير ، ولما عاد الزميلان إلى القاهرة كانا يذكران عن الصين ما يدعو كل راغب في العلم إلى قراءة ما كتب عن هذه البلاد كتاب الغرب والشرق ، وقد كنت من الذين أقبلوا إقبالا شديدا على دراسة تاريخ الإسلام في جميع بلدان الشرق الأقصى ، وذلك هو السر في معرفتى الواسعة بمعالم الصين الحضارية والدينية والالام بتاريخها الطويل في القديم والحديث ، فلما رغبت إلى بعد مؤتمر باندونج في زيارة المسلمين في الصين استجابة لدعوة شوين لاي أضفت إلى معارفى النظرية معارف أوثق قائمة على التجربة والمشاهدة .

وانتهز هذه السانحة لأقرر مالا ينبغي جهله أو تجاهله في هذا المجال ، ذلك أن الأزهر كان قد أنشأ رواقا لأهل الصين ، كرواق الجبرت والشوام والمغاربة ، وسائر الاقطار التى يهتم أهلها بحسن العلاقة بينها وبين مصر العظيمة ، وما أكثر ما كنا نزور رواق الصين ونحن طلبة في القسم العالى ، وقد كان شيخ الرواق الصينى ، هو الأستاذ محمد ابراهيم شاه كوجين .

وأما الفرق بين الثورتين المصرية والصينية ، فهو الفرق بين ثورة يستجيب فيها زعماء لرغائب شعوبهم ، فلا يزالون يجاهدون الأعداء بكل وسائل الجهاد حتى تتحقق لهم أمانهم في الإصلاح المنشود ، وتلك هى ثورة الصين التى كتب عنها زعيمها « ماو » كتابا سماه « أكبر زحف في التاريخ » وقد ذكر « ماو » في هذا الكتاب أنه سار هو وزملاؤه كرا وفرا مسافة اثني عشر ألف ميل ، وأما ثورتنا المصرية ، فينطبق عليها المنطق الفلسفى الذى يقول : إن الثورات يخطط لها الفلاسفة ، وينفذها الشجعان ، ويستثمرها لخير الشعب الصادقون المخلصون .

وقد كان القطار يقف في كل محطة لاستقبال الرئيس ، وقد أعد لكل محطة خطابا قصيرا ، وكان أنور السادات هو الذى أعد له هذه الخطب القصار ، وقد لاحظت أنه كان يطلب إلى أن الخص له الخطاب الذى يستقبل به كل محطة ، على أن يكون بعيدا عن العناية الكاملة بأساليب الكتاب والخطباء .

وأذكر أننا حين اقتربنا من محطة المنيا وبدت طلائع المستقبلين قال لي : إنك كنت شيخا لمعهد المنيا هنا - قلت نعم ، إنه بلد طيب ، وفيه خير كثير ، وأذكر أن جدى لوالدتى الشيخ فراج الباقورى ، كان هو المفتى لهذا الاقليم ، كما ذكر ذلك السيد على مبارك فى كتابه « الخطط التوفيقية » ثم هو بعد ذلك بلد مشهور بالكرم ، وهو البلد الذى له ذكرى طيبة فى نفسى ، فقد اختارتنى الثورة للوزارة ، وأنا شيخ لمعهد المنيا الدينى - وكذلك هو البلد الذى اعتقلت فى إحدى قراه - قبل الثورة - قرابة العامين . وما زالت رحلتنا ماضية فى الطريق حتى بلغنا أسوان ، ونحن فى أثناء الرحلة وقف القطار على محطة الحوامدية ، فجاء شاب من الاخوان يتوسط جماعة منهم وفى يده مصحف كبير مفتوح وهو والشباب من حوله يهتفون : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وليس فى وسعى أن أصور ما كان يعتمل فى نفسى من ألم ، ولا ما كان يرتسم على وجه عبد الناصر من غيظ شديد . وألقى خطبة حانقة لا أشك فى أنها كانت مطلع الفتنة الكبرى بين الحكومة والاخوان .

وأخيرا عدنا إلى القاهرة ، وكان من الحق على لنفسى ، ولأولادى أن نذهب إلى الاسكندرية ، كما كانت عادتى منذ زمن بعيد فى أغلب الأحيان ، وفى الاسكندرية ذهبت مع أولادى إلى مسرح الريحانى طلبا للترفيه عنهم ، كما يفعل المصطفون عادة ، وقد رأيت أن أدخل إلى المسرح بعد ابتداء الرواية حتى لا أستلفت الأنظار ، غير أن المرحوم الأستاذ سراج منير لمحنى ، فبادر إلى وقف التمثيل ، ثم استأذن الحضور فى صوت مسموع قائلاً : اسمحوا لى أيها السادة أن أحيى باسمكم رجلا غاب عنا مائة يوم فى زيارة لبلاد الشرق الأقصى لمصر والمصريين ، وهو الجالس بينكم الآن الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، فارتجت جنبات المسرح بالتصفيق ، ثم اتبع كلامه بنكتة على الطريقة المصرية فقال : « ان الشيخ الباقورى سئل هناك عن اللغات التى يعرفها ويستطيع التحدث بها ، فقال أعرف العربية والانجليزية وصينى مكسر » .

وفى اليوم التالى دعيت إلى اجتماع مع الرئيس فى حفل من أجل قضية فلسطين ، وفى صوت خفيض قال لى عبد الناصر ، إن رحلتك الطويلة جعلتك زعيما يصفق له المواطنون فى مسرح الريحانى .

فأجبتة فوراً إن تصفيق المواطنين ليس من أجل شخصى ، ولكن من أجل أننى أمثل ثورة مصر . وما أسرع ما بدت فى وجهه أمارات الرضا والارتياح .

## المشاركة في احتفالات الدستور الإيراني

وبعد يومين اتصل بي مكتب الرئيس في الاسكندرية ، وأبلغني أنه تلقى دعوة من شاه إيران لحضور الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على دستور إيران . وقد رأى الرئيس أنني أنوب عنه في مشاركة الشعب الإيراني احتفاله بهذه المناسبة ، وذهبت إلى إيران ، ومعى الصاغ ابراهيم الطحاوى ، والشيخ محمد تقى الدين القمى ، وقد كان الشيخ القمى مشرفا على دار جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة .

وفي إيران رأينا من مظاهر الترف والعظمة مالا يكاد يرقى إليه خيال . وقد رأى الشاه أن يجلس إلينا جلسة خاصة ، فكنت أنا والسفير المصرى عبد الشافى اللبان ، والدكتور محمد حسن الزياد الذى كان مستشارا فى السفارة . ولا أنسى أن الشاه قال لى بلغنى أنكم تحاولون أن تضعوا نظاما جديدا للحكم فى مصر ، فأبلغ جمال عبد الناصر أنني أقترح عليه أن يجعل نظام الحكم نظاما رياسيا ، وذلك هو ما أخذ به جمال عبد الناصر .

وقد دعانى وزير السياحة هناك إلى زيارة المعالم التى يزورها كل وافد إلى تلك البلاد . وقد رأينا فى هذه الجولة الرصيد الذهبى للعملة الإيرانية ، وهى مجموعة كثيرة جدا من القوالب الذهبية التى تشبه قوالب الطوب الأحمر الذى كنا نصنعه فى مصر من طمى النيل .

ومن أغرب ما رأينا مجموعة التيجان التى تنتظم كل الجواهر الكريمة المعروفة فى العالم .

وأذكر أنني وقفت أمام أحد هذه التيجان وقفة رجعت بى إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد جىء إليه - رضى الله عنه - بتاج كسرى ، وكان مصنوعا على هيئة تأخذ بالآليات - إذ كان ينتظم كل ما يعرفه الناس من الأحجار الكريمة فى ذلك الزمان . فلما وضع التاج بين يدى أمير المؤمنين أقبل بوجهه على من حوله من أصحاب رسول الله ، ثم قال : إن الذى أدى هذا لأمين ، فقال له أحد أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - لو رتعت يا أمير المؤمنين لرتعنا ، ولكنك صنعت أمانة الله فينا فسان الله لنا أمانتنا فيك .

ومما لا ينبغي تجاهله فى هذا الوطن أن صاحب معركة القادسية التى انهزمت فيها المجوسية ، كان هو سعد بن أبى وقاص صاحب رسول الله ، وأحد العشرة الذين بشرهم - صلوات الله عليه - بالجنة .

ثم لم يكن لنا من بد في أن نتجول في إيران كما تجولنا في سائر البلاد التي فيها مسلمون ، لذلك رأيت أن أزور « قم » وهي المدينة التي يعتبرونها مقدسة وكان يقيم في هذه المدينة الامام البروجيردي إمام أئمة المذهب الشيعي ، وقد أخبرني الثقات من أهل العلم أن شاه إيران دعا البروجيردي لمقابلته ، ولكنه لم يستجب للدعوة ، فأعاد الشاه الدعوة ، فأعاد البروجيردي الاعتذار ، وعند ذلك لم ير الشاه مندوحة من أن يزور مدينة « قم » وأن يزور البروجيردي في داره ، ولكنه حين علم بمقدم الامبراطور . غادر داره إلى مكان غير معلوم ، وهذا في رأي تصرف لا يليق برجل الدين مهما تكن الأسباب الحاملة على ذلك .

وما دام حديث الملامح قد أفضى بنا إلى إيران ، فإن من الحق الذي تعنو لسلطانه الوجوه أن أذكر حقيقتين لا ندحة لى عن ذكرهما ، إعتزازا بالحق وإنصافا للتاريخ . وأولى الحقيقتين أن كثيرا من أهل إيران مع إسلامهم وتشيعهم لآل البيت الشريف - لا تزال تجد فيهم آثار البغضاء للعرب - مع علمهم أن آل البيت الذين يقدسونهم ذلك التقديس ، إنما هم عرب قرشيون .

وقد ذكر مؤرخ ثقة أنه كان يحدث رجلا من فضلائهم ، ومن ذوي المناصب الرفيعة في الدولة الفارسية ، فلما بلغ الحديث بهما البحث في قضية العرب والعجم ، قال الإيراني الكبير للمؤرخ الثقة : إن العرب عندما استولوا على فارس ، أفسدوا أخلاقهم ، وبذلك أسقطوا تلك الأمة الفارسية العظيمة التي استولوا عليها وأدخلوها في دينهم .

ولم يسع المؤرخ إلا أن يقول : اعتقد أن أخلاقكم أيها الفارسي كانت فاسدة من قبل ، ولولا ذلك ما تغلب عليكم العرب وأنتم أمة منظمة تعيش في القصور ، وهم أمة بدوية تعيش في الخيام .

وقد حدثني وأنا في إيران رجل من أهل السنة حديثا شهده معي زملائي في الرحلة إلى إيران ، وقد كان الرجل السنّي عضوا في البرلمان ، وكان يؤكد لى أن الدولة لم تكن تعامل أهل السنة معاملة الإيرانيين .. فكانت تتركهم بغير مدارس للتعليم ، ولا مستشفيات للعلاج ، وهم - مع ذلك - يحبون آل البيت حبا ليست له حدود . وقد قص علينا الرجل نفسه ذات ليلة قصة خيل لى معها أنه يضاحكنا في مزاح خيالي سخيف - لولا أنه أقسم برب العالمين أنه يقول الحق ، وقد ذكر فيما قصة علينا أن رجلا من آل البيت نزل في قرية من قرى إيران جارا لرجل من رجالها عظيم ، وما أن سمع أهل القرية بالضيف العظيم حتى وفدوا إلى دار الرجل في القرية بهدايا مختلفة تناسب أقدار القادمين بها ، فعاش أهل القرية جميعا سعداء ، وقد ظفروا بكل ما يشتهون من خير الدنيا وخير الدين . وظل الضيف الكبير أياما على ذلك والهدايا



تنهال عليه ، وعلى البيت الذى يؤويه ، فلما طال به المقام أثر الرحيل وحدد لذلك يوما أنبأ به صاحب الدار ، فقال له : لا يمكن أن تذهب ، وإلا حرمتنا خيرا كثيرا لا بد أن يرحل عنا . فلما لم يجد قبولا طلب إليه فى رجاء ضارع أن يبقى بضعة أيام ، وله بعد ذلك أن يرحل كما يشاء . وذات ليلة دخل صاحب البيت على الضيف ، وقال له : ألا تزال مصرا على الرحيل ؟ فأجابه بالإيجاب ، يقول الرجل الراوى : فلما رأى صاحب الدار إصرار الضيف على الرحيل ، أخرج سكيناً من جيبه ، ثم قال له : إن بقاءك بيننا يفيض علينا من الخير ما يغنى ويسعد ، فإذا رحلت عنا ، فقد أبدلتنا بالغنى فقرا ، وبالأمن خوفاً ، وهذا امر لا يرضاه مثلك لنا مع علمك بشدة حاجتنا إلى بقائك بيننا ، فلك أن تختار بين أمرين لا ثالث لهما : أن تبقى بيننا مكرماً فى دار ، أو شهيداً فى ضريح ، يؤمه الناس بالهدايا التى تغنى من فقر وتشبع من جوع ، ولم يسمع المسكين إلا أن يعدل عن الرحيل ، ويبقى خضوعاً لمنطق السكين .

## الشيعة لا يصلون الجمعة

ومع أن التطواف فى إيران كان بغية كل سائح لم أجد بداً من العودة بعد بضعة أيام قضيتها فيها موضعاً للتكريم والاحترام ، ولقد أطلعنى القوم هناك على أمر لم أكن أتوقعه ، وما كنت لأعرف سره ولا الباعث إليه . ذلك أن الشيعة - فى جملتهم - لا يقيمون صلاة الجمعة انتظارا للإمام الغائب ، ولكننى دعيت فى إيران لصلاة الجمعة ، وكان الخطيب ينطق العربية الفصحى ، ويتحدث حديثاً لا يختلف عليه المسلمون مهما يكن اختلافهم المذهبى .

وقد كان من الحق أن أسأل الشيخ محمد تقى الدين القمى عن تلك القضية ، فذكر أن تعطيل صلاة الجمعة - فى انتظار الإمام الغائب - ليس إجماعاً من أئمة الشيعة ما دام إمام الصلاة واحد منهم ، وما دام الأمر ليس أمر نص بقدر ما هو أمر اجتهاد ، فإننا فى هذا العصر طلاب تقريب بين المذاهب ، فإذا كانت إقامة صلاة الجمعة وسيلة إلى التقريب المنشود ، فليس هنا مانع من إقامة الصلاة ، وإننا نحمد الله - تعالى - على أنك شهدت هذا المعنى فى بلاد الشيعة الإمامية ، وهو أمر يعينك على المضى فى الطريق الذى أثرته لنفسك ، جمعاً للكلمة ، وخدمة للإسلام والمسلمين .

وعلى هذه الصورة الطيبة التى الممت فيها بأحوال المسلمين فى إيران ، انتهت زيارتى لهذا البلد الذى لا أكف عن الضراعة إلى الله لئيل نهار أن يسلك بأهل السياسة والرياسة فيه سبيل الحرص على الأخوة الإسلامية ، فلا يجدون منتدحاً عن المصالحة التى يدعوهم إليها أهل السياسة ، وقادة الأمم فى الشرق ، والغرب على سواء ، ولئن استجاب هؤلاء السادة لنداء المصلحة الشاملة : إنهم ليستجيبون قبل ذلك وخيراً من

ذلك لقول الله - تعالى وعز - « إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولما اعتزمت السفر خلال يوم أو يومين ، ذكرنى السفير الدكتور اللبان بأن من الواجب أن أستاذن الشاه قبل مغادرة البلاد ، كما جرى بذلك العرف السياسى ، وكما يقتضى كذلك أدب الإسلام الحنيف ، ثم أخبرنى أن فى القصر الامبراطورى غدا حفلا أمر الشاه بإقامته للوفود المشتركة فى عيد الدستور ، وقد صحبت السفير إلى الحفل ، وهناك صحبتنى إلى الشاه فى مقصورته ، فلقينى لقاء كريما ، والبشر يشرق فى وجهه ، وكلمات الترحيب تجرى على لسانه ، ثم ذكرنى بأن لا أنسى ما كان قد قاله لى من قبل وصافحنى وهو يقول : إن خطواتك إلى التقريب بين المذاهب الاسلامية مع أفاضل علماء الأزهر الشريف هى موضع التقدير والشكر من جميع المسلمين ، ولهذا أكرر وصايتى لك بأن تبلغ شركاك فى دعوة التقريب خالص تحيتى ، ولعل حسن الحظ يجمعنى بهم ذات يوم فى مصر أو إيران . وقد كانت تلك الكلمات آخر العهد به ، فقد قضى الرجل نحبه محروما من وطنه ، مبكيا من قادري فضله ، رحمه الله وجزاه جزاء المؤمنين الصابرين ..

## ومؤتمر الحزب الدستورى فى تونس

ولما جئت إلى القاهرة لقيت الرئيس عبد الناصر وأبلغته رسالة الشاه ، وذكرت له تفاصيل ما شاهدته فى إيران ، فقال لى وهو يبتسم الحمد لله على السلامة من ايران ، ومع السلامة إلى تونس لتحضر مؤتمر الحزب الحر الدستورى فى مدينة صفاقس ممثلا لحكومة مصر .

فقلت له : أنا مستعد للسفر إلى أى مكان تكون فيه لمصر مصلحة ، فمثل مثل ابن بطوطة الذى رحل إلى أقصى الشرق ، أو الشريف الأدريسى الذى اكتشف البحيرات الثلاث فى أفريقيا ، والتي كان من حقها أن تسمى بحيرات الشريف الأدريسى ولكنها سميت : فكتوريا نيانزا ، والبرت نيانزا ، والبرت إدوارد . فقال لى عبد الناصر : بعد حضور هذا المؤتمر فى تونس ، سافر إلى مراكش لتهنئة الملك محمد الخامس بعودته إلى العرش .

وبدأت أعد للرحلة إلى تونس ، التى دعت وفودا عربية كثيرة لشهود هذا المؤتمر ، وقد كان من توفيق الله أننى اخترت المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم سلامة لطلاقة لسانه بالفرنسية ، واختارت الاذاعة الأستاذ احمد سعيد مدير صوت العرب لمصاحبتى فى الرحلة ، التى بدأتها بتونس .

وفي هذا البلد العربي الاصيل ، انعقد المؤتمر ، وتحدث فيه رؤساء الوفود . وقد كانت تونس - يومئذ - يحكمها حاكم يلقب بكلمة « باي » ويبدو أنه كان بينه وبين الرئيس الحبيب بورقيبة ما يكون عادة بين المتنافسين في خدمة البلاد ، وقد كانت شعبية الحبيب بورقيبة - في ذلك الوقت - أشد وضوحا من شعبية « الباي » . إذ كان هو رئيس الحزب الحر الدستوري الذي كان يرأسه من قبله العلامة المؤرخ الجليل الأستاذ عبد العزيز الثعالبي رحمه الله . وقد كان عبد الناصر أخبرني بهذا « الخلاف » وبأن فرنسا تريد الحبيب لأن ثققتها به أشد من ثققتها بغيره من سائر المواطنين ، كما كان هناك خلاف بين الحبيب وبين صالح بن يوسف المجاهد التونسي ، الذي اغتالته في أوروبا يد غادر جبان . وقد كان صالح بن يوسف من أحسن الذين صحبتناهم في مؤتمر باندونج ، وكان مجاهدا عربيا شديد الاعتزاز بجامعة الزيتونة طلابا وأساتذة ، وقد لجأ أولاده إلى مصر التي كانت ولا تزال ، وسوف تظل ملاذا للعروبة والعرب ، ومعابدا للإسلام والمسلمين .

رأيت من الحق على أن أزور رأس الدولة فرغبت إلى مرافقي التونسي أن يتصل بالقصر ويحدد لي موعدا ، وتحدد لي ميعاد زيارة في وقت جد قريب . ولما لقيت « الباي » أخبرني في - تواضع كريم - أنه كان مريضا وأن هذا اليوم الذي يلاقى فيه أحد أبناء الأزهر هو يوم سعيد يشرح صدره ، وتعود فيه إليه صحته كاملة . ثم دعا الرجل كبيرا من كبراء قصره ، فأهداني أرفع الأوسمة التونسية ، ثم قلدني إياها بنفسه مبالغة في التكريم .

ولم تطل إقامتي في تلك البلاد الحبيبة ، ومع ذلك زرت بعض المعالم ، ومن أهمها طبعاً جامعة الزيتونة ، ثم دعاني أحد الوطنيين الصادقين الذين قبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية . وقد كان الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الجنسية قد أفتى بأن كل من يقبل الجنسية الاستعمارية ، هو مرتد عن الاسلام ، ولا يجوز أن يدفن في مقابر المسلمين ، وقد حكم عليه بالاعدام ، فلاذ بمصر كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، وفي مصر التحق بالأزهر الشريف مدرسا ومنحه الأزهر عضوية هيئة كبار العلماء .

فلما قامت ثورة يوليو إرادت تعيين شيخ للأزهر ، وفي مجلس الوزراء اختلفت الآراء . فأعلنت أن الأزهر ملك للمسلمين ، فلا ينبغي أن يحبس منصب شيخ الأزهر على المصريين وحدهم ، فإذا وجد غير مصري عالم كفء وله موقف في الدفاع عن الاسلام أو الاعتزاز بالعروبة والاسلام ، فإن هذا يكون أحق بمنصب شيخ الأزهر ممن عداه ، ولذلك يجب أن يعين الشيخ الخضر حسين شيخاً للأزهر ، وفعلنا تم تعيينه شيخاً . ثم رأت الثورة بعد ذلك أن تعين وكيلين للجامع الأزهر ، فعين الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز « مصري » والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن

« سودانى » وكيلين للأزهر ، وبهذه الصورة الاسلامية الجامعة رضى المسلمون فى مصر والمغرب والسودان . وتطاولت بالمسلمين آمالهم فى أن يظفروا بهذه المناصب وأمثالها إذا التحقوا بالأزهر الشريف ، وحرصوا على شعائر العروبة ، وأدب الاسلام .  
منهما اختلفت بهم الديار .

## لقاء الملك محمد الخامس

ثم أخذنا الطريق إلى المغرب ، وهناك سعدنا بلقاء الملك محمد الخامس ، الذى تنكرت له العنصرية البربرية حتى تنازل عن العرش ثم نفته فرنسا إلى بلاد بعيدة . ولم أكن أعرف عن جلالته كثيرا إلا أن زميلا عربيا كان قد كتب مقالا عنه فى مجلة « الهلال » وصفه فيه بأنه الملك الزعيم ، غير أن جلالته قد أكرمه الله فجمع له بين شرف الزعامة ، وجمالة الملك .

وليس يخفى على البصراء بشئون الاجتماع أن ثمة فرقا واضح المعالم بين الزعامة وبين الملك ، وذلك أن الملك متشبث بملكه شديد الحرص عليه وعلى استبقائه لنفسه أولولده ، على حين أن الزعيم باذل أغلى ما يملك فى سبيل الاعتزاز بنفسه والانتصار لشعبه . وكذلك رأيت صاحب الجمالة محمد الخامس ملك المملكة المغربية ، وسليل البيت النبوى الشريف .

وقد هيا لنا - رحمه الله - فى حضرته موضعا مرموقا ضم الوفد الذى كان يرافقتى ، وبعض الاخوة المواطنين فى القطر العربى الشقيق . وكان من الحق على أن ألقى بين يدي جلالته كلمة تعبر عما نكنه لجلالته وبيته الشريف من صادق المودة وعميق الاحترام ، فتفضل مشكورا بمنحنا الأوسمة والنياشين التى لا نزال نعترز بها ضارعين إلى الله - عز وجل - أن يفسح له فى جناته ما يكون كفاء لمثوبة المجاهدين ، وأن يسبغ على آل بيته الشريف ظلال الامن والسكينة والسلام .

ولقد ظللت فى كريم ضيافته أمدا غير قصير ، وكنت أخرج فى معيته كل يوم جمعة لأداء الصلاة ، فكان يركب جواده يتبعه حامل المظلة ، وقد اجتمع الشعب كله فى صفين عن يمين وشمال يحيونه ، والفرحة به تغمر وجوههم ، والولاء له يعمر صدورهم ، وقد كانوا حرموا من صلاة الجمعة طوال فترة غيابه عن قاعدة ملكه ، إذ كانت الجمعة لا يؤديها المسلم إلا بإذن الامام ، وكان قد أمر بسيارة تتبع جواده العربى الاصيل . فكنت أجلس فى هذه السيارة بين ولديه الكريمين : الأمير الحسن - جمالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب الآن - أطال الله بقاءه ، والأمير عبد الله - رحمه الله - رحمة واسعة .



□ استقبال عاهل المغرب الملك محمد الخامس ، المؤلف خير إستقبال يليق بمكانته الدينية والسياسية ، ويرى بين الملك والباقوزى الحسن الثانى ملك المغرب حاليا ( وكان حينذاك وليا للعهد ) .

ولم يكن بد من أن أرغب إلى جلالته فى مقابلة خاصة . وذات يوم بعد صلاة الجمعة تفضل باستقبالى فى مكتبه ، ثم سألنى عن مصر وأحوالها فانتهزت هذه السانحة ، ورفعت إليه تحيات الشعب المصرى ، وتحيات خاصة من الرئيس عبد الناصر ، ثم قلت له : لقد كلفنى الرئيس أن أتشرف بدعوة جلالتكم لزيارة القاهرة .

فقال لى إننا نسمع عنكم أنكم لا تحبون الملوك ، فقلت له أن ملوك أمتنا العربية الاسلامية صنفان : أحدهما ، يعتبره الشعب دخيلا عليه متحكما فيه ومصادق ذلك عندهم أن التقاليد العربية الاسلامية لا ظل لها فى قصورهم ، ولغة الشعب لا يحسن النطق بها أحد منهم ، وثانيهما : يعتبره الشعب صميما فيه يقاسمه السراء والضراء ، وملوك الشعوب العربية الاسلامية هم فى الصميم من شعوبهم ، حيث

يسوسون الشعوب بروح الأخوة ، ويقاسمونها حياة السراء والضراء . وجلالتكم نبعة كريمة من الروضة النبوية الشريفة .

وقد أجابني بأنه قبل الدعوة ، وأنه سيزور مصر ، وهو في الطريق إلى حج بيت الله الحرام حين تأذن الظروف بذلك .

غير أن إرادة الله - تعالى - لم تشأ لي أن أظفر بشرف استقباله حين زار مصر ، إذ كان الخلاف بين عبد الناصر وبينى قد الزمنى دارى لزوما لم يمكنني من مجاوزة عتبة الدار لأمد طويل ، ومع ذلك أبى عليه كرم محتده إلا أن يسأل عنى أخى وصديقى الدكتور نور الدين طرافا الذى كان يرافق جلالتة في زيارته لسوريا إبّان الوحدة ، وكذلك أبى عليه كرم محتده إلا أن يكرمنى مرة أخرى في تكريمه لكبرى بناتى ليلي ، ذلك أنها كانت في طريقها مع زوجها إلى أمريكا ، وكانت تستقل الباخرة التي كان يستقلها جلالتة ، فلما بلغه أن ابنتى في الباخرة نفسها ، بعث إليها مـ يدعوها إلى مقابلته ، وتناولت الطعام على مائدته ، وقد تفضل فسألها عنى داعيا لها بعناية كريمة ، لا تزال تعتز بها هى وزوجها السفير محمد سعيد الدسوقي كلما سنحت لهما فرصة الحديث عن كبار الهمم من ملوك المسلمين .

كان مما استلفت انتباهى خلال زيارتى للمملكة المغربية أن أجد من التنافس الحزبى ما لا يكاد يخلو منه قطر من أقطار العروبة والإسلام . ذلك أننى وجدت حزبين يتنافسان : أحدهما حزب الاستقلال ويرأسه أخى الفقيه المالكي علّال الفلّسى ، والثانى حزب الشورى والاستقلال ، ويرأسه صديقى الأستاذ محمد حسن الوزانى .

وقد كان حزب الاستقلال الذى يرأسه السيد علّال ينتظم الرجال والنساء عضويته انصافا للمرأة التى ظلت محرومة من حقوقها دهرًا طويلا ، ولم ينصفها مذهب اجتماعى كما انصفها الإسلام .

ولقد أذكر بهذه المناسبة ما لا أجد له تعليلا إلى الآن ، وهو سوء الظن بمشايع الطرق الصوفية وانتقادهم على الملأ في كثير من الأحيان . وشاهد ذلك قصة أرويتها عن كتاب لي أخرجته للناس دار الهلال بعنوان « عروبة ودين » ، وفيه قلت :

أذكر وأنا في مراکش أننى كنت أتجول في أحد الأحياء الوطنية ، فدعيت لزيارة إحدى المؤسسات ، فاستقبلنى أهلها مرحبين ، وكانت في يدى مسبحة صغيرة فلما بصرت بها سيدة مددت يدي للسلام عليها ، أبت أن تسلم على قائلة : معذرة يا سيدى لأنك شيخ طريقة أو مريد طريق .

فقلت لها : لا والله ما أنا بشيخ ولا مريد .

فأجابتني : فلماذا تحمل هذه المسبحة في يدك ؟

فأجبته : إن المسبحة عندنا لا يختص بها رجال الطرق بل هي في يد أى إنسان يحب أن يشغل يده بشيء يستعين به على ذكر الله ، ولذلك فإنتى أقدم لك هذه المسبحة لكى تصنعى منها عقدا .

وعند ذلك فقط ذهب ما كان يملا وجهها من غيظ والم . وقد سألت بعض الأخوة الذين كانوا يرافقوننى من أعضاء حزب الاستقلال ، فقالوا : إن فرنسا كانت ترى أن لمشايخ الطرق مكانة في نفوس السواد الأعظم من المسلمين ، فحشدت هذه الدولة ماله وسلطانها لإنشاء جيش فرنسى من مشايخ الطرق وأغرتهم بالذهب وكل ما يغريهم لكى يكونوا أعوانا لها على المجاهدين المخلصين من المواطنين الذين باعوا أنفسهم لله ذبيادا عن الوطن وحماية للإسلام ، وكما صنعت فرنسا ذلك في الجزائر وفى سوريا من قبل ، لا تزال تصنع ذلك الصنيع البغيض في المغرب ، وفى كل بلد تريد أن تخدعه بصورة دينية براقة ، لكى تعوق خطوات المجاهدين الصادقين ، فلهذا لا تؤاخذ هذه السيدة التى تجهمتك وافقدتك مسبحتك المرجان الغالية .

وقد عجبت للسيد العلامة الذى كان يشارك السيدة كراهيتها الشديدة لرجال التصوف . مع أن أيا من أهل البصر الفاقه لشئون التاريخ يعلم - عن يقين - أن روافد القوة التى يستند إليها الدعاة إلى الإسلام في أفريقيا ثلاثة :

## الرافد الأول : الطرق الصوفية

وهى ثلاثة طرق :

أولها : الطريقة القادرية التى أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى البغدادى .

وثانيها : الطريقة الشاذلية التى تأسست في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى ، وهى من أوليات الطرق التى أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها « بوبريت » في مراكش ؛ وكان من أشياخها سيدى العربى الدرقاوى الذى نمت في مريديه حماسة دينية امتدت إلى المغرب الأوسط ، وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الاستعمار الفرنسى . ومما امتازت به الطريقة الدرقاوية دعوتها إلى الطاعة لمشايخ الطريقة ؛ إذ كان يوصيهم المرجع المقدس للطريقة الدرقاوية بقوله : « على الإخوان أن يكونوا في يد المرشد كالموتى بين يدى الفاسل . وربما ذكر أهل العلم أن هذه الطريقة تشبه المبادئ الرهبانية التى كان يدين بها « اغناطيوس » .

وثالثة الطرق : الطريقة التيجانية ، التى أسسها أحمد بن محمد التيجانى

في مدينة فاس سنة ١٧٨٢ م ، ومن أهم تلك الطرق الطريقة السنوسية التي ترى  
أفضل العبادة لله في حماية الوطن ونشر الإسلام .

## والرافد الثاني : الأزهر الشريف

وقد كان من أهل العلم فيه من يذهب مذهب المتصوفة ويستن بسنتهم ،  
وهو العلامة الجليل الإمام الدردير أحد أسيخ السادة المالكية .

## وثالث الروافد : التجار المسلمون

الذين كانوا يتعاملون مع الناس بالسماحة والأمانة واشعارهم روح الأخوة  
الدينية التي أوصى بها القرآن الكريم ، ودعا إلى رعاية حقوقها رسول الله العظيم .  
ولذلك كان من العجيب أن يتحامل الناس على مشايخ الطرق ورجال التصوف .  
وكان الأشبه بهم أن يحترموا من يستحق الاحترام ، وأن يزدروا من يستحق  
الإزدراء . وإلا فإن من أهل التصوف المقدورين الذين تبدو معالم تصوفهم في النزول  
على حكم القرآن بغير تأويل يخرج بالمسلم عن سواء السبيل ، وفي طليعة هؤلاء  
السادة الإمام الورع الزاهد أحمد بن حنبل ، والإمام التقى النقي ابن تيمية ،  
ومريده العلامة الجليل ابن قيم الجوزية رضى الله عنهم ورضى عنا بهم أجمعين .  
وبعد هذا المشوار الطويل - على بعد الشقة وشدة المشقة - عدت إلى القاهرة ،  
ثم لقيت الرئيس وأخبرته بما ينبغي أن أخبره به ، من حيث كنت ممثلا لحكومة مصر  
في هذه الرحلة التي استغرقت شهرا كاملا .

## عودة للسعودية

وانذكر أنني حين رويت له ما قلته للملك محمد الخامس ، من أن الثورة  
لا تعادى الملوك من حيث هم ملوك ، ولكنها تعادى الذين يتعالبون على الشعوب ويرون  
سلطانهم حقا مقدسا مستمدا من حق الله - تعالى - على خلقه ، ولما كان ملوك المغرب  
ديمقراطيين بحكم بيئتهم التي نشأوا فيها ، وبمنطق الإسلام الذين تأدبوا بأدبه - لم  
يكن من الحق أن تكون مبادئ ثورتنا شاملة للملوك أجمعين . فما كان جوابه إلا أن  
قال : بأى حق تقول هذا القول ، وتربط نفسك وتربطنا معك بمبدأ لم تستشرنا فيه ؟



ولم أشأ بعد أن سمعت هذه الكلمات إلا أن أمسك عن القول حتى لا أجد فرصة لجدال عقيم لا خير فيه لأحد . والعجيب أنه أخبرني - غفر الله له - في نفس الجلسة أنه مسافر للعمرة ، ورغب إلى أن أصبح به إلى البلاد المقدسة ، وقد نزلنا ضيوفا على جلالة الملك سعود بن عبد العزيز في قصره بجدة ، وكان يصاحبنا في هذه الرحلة السيد أنور السادات بصفته سكرتيرا للمؤتمر الإسلامي ، ولم أكن أدري أن هذه الرحلة كانت تتغيا عقد معاهدة للضمان الجماعي ، وقد التقى لهذا الغرض الملك سعود ممثلا للمملكة العربية السعودية ، والإمام أحمد ممثلا للمملكة اليمنية والرئيس عبد الناصر ممثلا لجمهورية مصر .

ولست أنسى ما كان يمتاز به جلالة الملك سعود من الصراحة والسماحة التي حملته على أن يكرمنا برؤية كل حجرات القصر المنيف في جدة ، ثم دعانا السفير المصرى في جدة الدكتور عبد الوهاب عزام إلى زيارة السفارة وتناول العشاء ، وقد تفضل فصحبنا إلى السفارة المصرية سمو الأمير فيصل - الملك فيصل رحمه الله - والذين عرفوا الفيصل ، يعرفون عنه أنه سياسى ماهر في شئون السياسة العالمية ، حتى كان يرى من وراء الحجب ما تعلن عن صدقه الأيام في قابل من الزمان قريب أو بعيد .

وفيما كنا في الطريق ذكر سمو الأمير للرئيس عبد الناصر أنه يكره لأمته التزمت الشديد والدعاة إليه باسم الإسلام ، وأذكر أن عبد الناصر قال له : إن معنا الشيخ الباقورى وأنور السادات فأجابه في لهجة الواثق بما يقول : ليت كل الناس مثل الشيخ الباقورى ، وأنور السادات إذن لاسترحنا ، واستراح الناس معنا من كل ما يلصقه أعداء الإسلام به مما هو برئ منه ودخيل عليه .

## في الطريق إلى ليبيا

ولم يطل مقامنا بالبلاد المقدسة فعدنا إلى القاهرة بعد خمسة أيام ، وإذا دعوة من المملكة الليبية للمشاركة في الاحتفال بمرور مائة عام على وفاة محمد بن علي السنوسى مؤسس الطريقة السنوسية .

وقال لى عبد الناصر : يبدو أنك ستكون نائبا عن الحكومة كلما تلقينا دعوة من قطر عربى ، أو قطر إسلامى . فإذا لم يكن لديك مانع فتجهز للسفر لتمثيل مصر في هذا الاحتفال ، وكان من العجيب أن يتصل بى في اليوم التالى العالم الشاعر الأديب أحمد خيرى الذى كانت تربطه بوزارة الأوقاف رابطة وقف خيرى كبير كان والده خيرى باشا قد وقف ريعه على مكتبة حافلة بالكتب يزورها من يشاء لينتفع بما ضمته

من تراث أدبى رفيع ، على أن ينزلوا في دار أقيمت بجانب المكتبة ضيوفا على الوقف الكريم .

وقد كان ابنه الحاج أحمد خيرى من أئمة اللغة الأعلام ، وكان على ذلك شديد الاعتزاز بانتسابه إلى البيت النبوى الشريف ، وكانت صلته وثيقة بالبيت السنوسى ، وقد ألف كتابا سماه « سطعات الماس من سجعات الأساس » .

ومع ذلك أخذت الحكومة تطارد الرجل الفاضل ، وتتربص به الدوائر على يد أحد المحافظين في إقليم البحيرة ، فسلب أرضه التى كان يفلحها بنفسه ، ثم سلب المكتبة الضخمة ، وأعطيت لجامعة الاسكندرية بحجة أن طلاب العلم أشد حاجة إليها وانتفاعا بها من الذين يزورونها من شتى الجهات .

وقد أخبرنى - رحمه الله - بأنه مدعو إلى الاحتفال بذكرى الإمام السنوسى . فرغب إلى أن يصحبنى في هذه الرحلة . فرحبت به زميلا كريما ، وأخا يعتز به المسلمون في كل مكان .

وقد اجتمع في هذا الحفل المهيب ممثلو الدول الإسلامية اذكر منهم الأستاذ العلامة الفاضل بن عاشور التونسي ، وقد عجبت أن يكون بين هؤلاء السادة ممثل للحكومة التركية ، الذى كان يشغل منصب مدير الشؤون الدينية في الجمهورية التركية ، وكان مثار عجبى أن كمال اتاتورك قطع علاقته بالإسلام ، وارغم الشعب التركى على أن يتنكر لماضيه وإحاضره ومستقبله ، وأكثر من ذلك أنه قضى على اللغة العربية ، فحرم بلاده بذلك من الانتفاع بالتراث العربى الاصيل ، الذى كانت تركيا المسلمة تستمد منه بقاءها ونماءها وهويتها في صدور الاولياء والأعداء على سواء .

وليس يذكر عالم من علماء الأزهر الشريف المملكة الليبية ، إلا ذكر بها أولى كتاب في التوحيد أطلق مؤلفه عليه اسم « الرسالة السنوسية في التوحيد وعلم الكلام » .

ومما لا يجمل إغفاله في الحديث عن المملكة الليبية ، أن إيطاليا حين أعلنت الحرب عليها في سنة ١٩١١ م تطوع في الدفاع عنها كثير من المصريين في مقدمة الذين أعرفهم من أولئك المجاهدين الأستاذ عبد الرحمن عزام واللواء صالح حرب ، والمواطن الفلاح الصاوى سيد دراز وكثير غير هؤلاء ممن يعرف الله - تعالى - لهم فضلهم ، وإن جهلهم أكثر الناس .

وقد ذكر لى صالح باشا حرب قصة عن المجاهدين في تلك البلاد ، فقال : إننا قد احتجنا ذات يوم ملابس تقينا شدة البرد ، وليس هناك متاجر ولا وسيلة لنا إلى شراء ما يقينا هذا البرد ، فلم نجد إلا ضريح سيدى رافع رضى الله عنه أخذنا من كسوته

ما يقى صدورنا هذا البرد الشديد . وكان الناس كلما رأونا على هذه الصورة يعجبون من أن يقاتل الجيش الطليانى ضريح يمشى على قدمين فى ميدان القتال . ومعروف أن الجيوش السنوسية لم تستطع الثبات أمام جيوش إيطاليا المسلحة بكل أنواع الأسلحة التى لا علم لبدو ليبيا بها ، ولذلك لم يكن بد من أن يستسلم الضعفاء للأقوياء .

ويبدو أن الإمام محمد بن على السنوسى كان بعيد النظر عميق التجربة ، فقد رأى بثاقب فكره أن الأجانب على وشك أن يستولوا على بلاده ، فأوغل إلى الجنوب ، وأقام بالصحراء وأنشأ زاوية للسنوسية فى واحة جغبوب ، تولى بها ، وله فيها ضريح يزوره السنوسيون من جميع الديار .

وقد ولد بالزاوية البيضاء السيد أحمد الشريف الذى عرض عليه إتاتورك أن يكون خليفة للمسلمين بعد أن ألغى الخلافة من بيت آل عثمان ، فأبى أن يتحمل تبعات هذا المنصب الجليل لأنه يحتاج إلى قوة كبيرة ، وربما أغضب قبوله منصب الخلافة أكثر المسلمين ، والسيد إدريس الذى كان ملكا للمملكة الليبية .

وقد زرت هذه الزاوية ، ورأيت بعض أثاره الذى كان يعيش معه على صورة من النقش لا تخطر على بال إنسان يعيش فى القرن العشرين .

ومهما يكن من أمر ، فقد سعدت أبلغ السعادة بهذه الرحلة التى أفادتني كثيرا من المعارف بأحوال الناس فى تلك البلاد التى لم تقصر يوما فى ركوب الأخطار فى حومة الجهاد حماية للوطن ودفاعا عن الإسلام . وقد كنا نتمنى أن نلقى الملك السنوسى لشكره على الدعوة الكريمة ، وكان فى مكان بعيد يقتضينا سيرا جاهدا فى جو لا قدرة لنا على احتماله ، ولا عهد لثنا به .

وقد كان مما أثار دهشتي ما علمته عن المجاهدين الذين كانوا يقاومون الغزو الإيطالى ، مقاومة لا يقوم بحقها إلا أولئك السادة الذين رباهم محمد بن على السنوسى ، ذلك أنه فى شهر مارس سنة ١٩١٢ م حمت موقعة بين العرب وبين الطليان ، وقد كان من المتطوعين للجهاد أمير البيان العربى شكيب أرسلان ، ومعه رجال خمسة من أعز خلصائه فى جبل لبنان ، فلما وصل هؤلاء المجاهدون تلاقوا فى أحد المعسكرات بأنور باشا ناظر الحربية التركية ، والغازى مصطفى كمال باشا الذى تولى بعد ذلك رئاسة الجمهورية التركية ، وقد مضى هؤلاء المجاهدون إلى غايتهم التى تطوعوا من أجلها فى جيش السنوسى .

وفى هذه الأثناء نشبت حرب البلقان بين الدولة التركية والطامعين فيها الذين كانوا يطلقون عليها اسم « الشيخ المريض » ، وكانوا يتربصون بها الفناء لكى

يقتسموا موارثها فيما بينهم ، ومن أجل ذلك الح الاتراك على انور باشا للرجوع إلى الاستانة ، فترأى عن إجابة الدعوة . وما زالت تركيا تلح عليه ، وهو يؤجل حتى إذا لم يجد بدا من الرحيل رحل مكرها وسلم القيادة إلى عزيز المصرى الذى واصل قتال الطليان .

ثم عقدت الدولة التركية صلحا مع إيطاليا ، فسحب عزيز المصرى عسكره النظامى الذى كان يومئذ في برقة ، وقد أخذ هذا العسكر معه ما أمكن أن يأخذه من الأسلحة ، ثم ساروا قاصدين الحدود المصرية ، ولم يستسلم المجاهدون في طرابلس للأمر الواقع بل أصروا على أن يسلمهم عزيز المصرى البنادق في مناقشة تولاهم شيوخ الزوايا السنوسية من أهل الجهاد وأهل الفقه بالإسلام ؛ ولكن الحجة مهما كانت قوية فإنها لا تغنى شيئا في مواجهة الأقوياء ، ولذلك انتهى الأمر بين عزيز المصرى ، وبين المجاهدين إلى القتال . ف وقعت حادثة مؤسفة خلاصتها ، أن الأعراب عندما قطعوا الأمل في تسليم البنادق عن طريق الاقتناع بالأخوة الإسلامية ، أطلقوا الرصاص على العسكر العثماني الذى كانت تركيا قد أرسلته إلى ليبيا لمشاركة إخوانهم الليبيين في مدافعة الطليان .

وكان للعرب مخيم غربى السلوم ، وقد أخذت عزيز المصرى الحمية العسكرية ، فأمر الجنود الذين كانوا تحت قيادته بمقاومة العدوان بمثله . فنشبت معركة سقط فيها كثير من العرب ومن الجنود الاتراك ، وعند ذلك امتد الصريح إلى سكان المغرب العربى ، فأقبل المجاهدون من كل صوب يريدون الانتقام من عزيز المصرى وعسكره . ولم يستطع احتمال هذا البلاء السيد أحمد الشريف السنوسى ، فأكفهر الجوبينه وبين عزيز المصرى ، ومع ذلك لم يكن ليرضى أن تكون النهاية أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا ، فأرسل الشهيد عمر المختار لتلالى الشر ، ومنع الأعراب من الهجوم على عزيز المصرى وعسكره .

وامام هذا التيار الجارف من البسالة في مواجهة إيطاليا ، لجأ الطليان إلى الخديوى يرجونه في أن يتوسط لحسم الخلاف وصيانة الدماء ، فأرسل عدة مرات يقترح على السنوسى الاتفاق مع إيطاليا ، ولكن السنوسى اعتذر عن قبول ذلك قائلا في كتاب كتبه إليه : إننى لا أملك ذلك القطر لأنزل عنه إيطاليا ، ثم إن الإسلام يعنى من تسليم البلاد للمستعمرين .

وفيما نحن في طريقنا إلى مصر رغب إلى أخى الأستاذ أحمد خيرى في أن أصحبه إلى دسوق بحيرة لاستريح معه من عناء الرحلة الشاقة ليوم أو اثنين ، ثم أعود إلى القاهرة ، وكان أخشى ما أخشاه أن أكون كما وصف الشاعر القديم رجلا صاحب أسفار كثيرة ، فقال :

ما أب من سفر إلا ليزعجه رأى إلى سفر بالبين يقطعه  
كأنما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يذرعه

ولست اتجهم عادتي في التعليق على كل رحلة رحلتها بوضع كلمات تشير إلى  
معان قد ينتفع بها الذين يقرأون هذه الملامح بعد وقت يقصر أو يطول .

ذلك أنه كان يرافقني في الرحلة داخل الأراضي الليبية سفير مصر هناك السيد /  
أحمد الفقي ، وقد كان من عادتي إذا رحلت أن أبدأ الرحلة بما كان يستفتح به يومه  
رسول الله ﷺ ، إذ كان يقول كلما خرج من بيته : « اللهم إني أعوذ بك من أن أذل  
أو أذل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يُجهل عليّ .. اللهم أنت صاحب السفر ،  
والخليفة على الأهل والولد ، فاحفظني بحفظك يا رب العالمين » .

و ذات يوم انطلقت بنا السيارة في سرعة مجنونة ونحن في طريق من مقر الضيافة  
إلى جهة بعيدة لشهود مؤتمر فرعى ، وكادت السيارة تسقط بنا في هوة سحيقة تحت  
الجبيل الذي كنا نسير عليه ، ولكن الله سلم ، فنجونا من الموت المحقق بأعجوبة ،  
كما نشرت الصحف المصرية ذلك في حينه ، ولست أنسى ما كان يرتسم في وجه السفير  
المصري من علائم الرعب التي تشويها أمارات الابتهاج بالنجاة من الموت ، ثم قال لي  
في لهجة صادقة : أرجو أن تكتب لي هذا الدعاء فإني أعتقد أنه هو الذي أنجانا من  
الهلاك في هذه الرحلة .

### عبد الناصر .. أسلوبه وبطانته

عندما عدت للقاهرة ، لزممت دارى فى مصر الجديدة ، فزارنى الرئيس عبد الناصر للاطمئنان علىّ ، وكان قد قرأ ما نشرته الصحف من تعرضى لخطر شديد ، ونجاتى من حادث السيارة .

وقد انتهزت هذه السانحة فحدثته بكل ما رأيت وسمعت ، خاصة ما يتصل بعزيز المصرى وخلافه مع العرب حتى كاد يقتل بعضهم بعضا لولا حكمة السيد أحمد الشريف السنوسى ، ثم أخبرته أننى وجدت الإخوان المسلمين فى كل مكان رحلت إليه ، فهم فى تونس ومراكش والجزائر وليبيا ، حتى سمعت عن واحد منهم هو الأستاذ عبد الهادى سليمان طراد ، الذى كان قد سافر إلى إيطاليا ليتعلم اللغة الايطالية ، معتقدا انه قد ينتفع بها فى مشاركته للمجاهدين الذين جاؤا إلى طرابلس من جميع افاق البلاد الإسلامية .

وبعد الفراغ من الحديث أعاد علىّ ما كان يقوله دائما كلما عدت من رحلة : إنك فى أسفارك الكثيرة فى أنحاء العالم المختلفة أنفع لنا ولك من بقائك وزيرا للأوقاف فى مصر لتشفلك أمور يستطيع أى مواطن أن يقوم بها ، فى حين أن أسفارك داعيا لمصر أمر لا يستطيعه كل المواطنين . وأنا أرى أن تقدم اقتراحا بتغيير اسم وزارة الأوقاف إلى وزارة الشؤون الدينية .

### التجديد فى وزارة الأوقاف

وقد خشيت أن يكون حرص عبد الناصر على إنشاء وزارة للشؤون الدينية بدلا من وزارة الأوقاف استجابة لرغائب الذين كانوا يطمعون فى إدارة أراضى الأوقاف الزراعية ، وهم كثير من كبار القائمين بالشؤون الزراعية فى مختلف الوزارات والهيئات ، لذلك لم استجب لهذه الرغبات ، وأثرت أن أبقى فى وزارة الأوقاف ، وأن أنفذ مشروعاتى التى كانت الصحافة المصرية كثيرا ما تنشر أخبارها للناس فى صور أو مقالات نشر بعضها الأستاذ طاهر الطناحى فى مجلة « المصور » وفيها يقول : لقد

ابتكر وزير الأوقاف طريقة غير الطريقة التي كانت تسيير عليها الوزارة من قبل ، وما كادت تمضى عليه مدة وجيزة في وزارة الأوقاف حتى أحدث فيها ثورة إصلاحية ، وثورة تجديدية فقام بتحريرها من الجمود الذي عاشت فيه منذ قامت في هذه البلاد ، لأنه عدو التزمّت والتعصب والجمود ، وألغى الوقف الأهل الذي طالما كان مثار الشكوى الدائمة مما يرتكب فيه من المظالم والآثام .

وقد ابتكر طريقة مشروعة في الأوقاف الخيرية ، فأنشأ لها ما لم يكن من قبل من مؤسسات صناعية ، وشركات إنتاجية أصبحت مصدرا للربح الشريف لكثير من الفقراء ووسيلة كريمة لتوزيع الخيرات وإعاشة العائلات المحتاجة ، وقد فتح بها أبواب العمل للعاطلين المحتاجين الذين يقتلهم الحياء دون الطلب والاستجداء .

هذا .. والذين تعقبوا مآثر وزارة الأوقاف في تلك الأيام ، سوف يرون خبرا نشرته « أخبار اليوم » عند إنشاء مصنع لتجفيف البصل في مديرية سوهاج ، يجفف من خمسين إلى مائة طن يوميا ، وذلك بتاريخ ١٩٥٥/٤/٢ وحول هذا المصنع نشرت الأخبار بتاريخ ١٩٥٥/٥/٢ ما يلي :

صرح وزير الأوقاف لندوب الأخبار بأنه جريس على حماية محصول البصل من التلف الذي يتسرب إليه ، فإن ما يزرع منه يزيد على حاجة الاستهلاك المحلي للبلاد ، ولابد من تصدير الجزء الفائض للخارج ، وهذا لا يتحقق إلا بإنشاء مصنع خاص لتجفيفه في سوهاج . ثم قال : وقد رأيت أن اجتمع مع كبار المنتجين للتشاور حول هذا الموضوع فيما يتصل بزراعته وبيع المحصول للأوقاف توطئة لتجفيفه ، وتصديره للخارج ، وبذلك يتحقق لنا غرضان : أحدهما حماية المحصول من التلف ، والآخر بيع ما يفيض عن حاجة البلاد والانتفاع بقيمته .

وكذلك أنشأت الوزارة مصنعا للثلج في سفاجة ، وقصة إنشائه ترجع إلى زيارة كنت قد قمت بها مع الرئيس عبد الناصر والمشير عامر ، وقد رأينا في تلك المنطقة ثروة سمكية لا نظير لها في ثغر من الثغور المصرية ، ولما التقينا بالصيادين شكوا أن الفساد يسرع إلى السمك ، وخاصة الجمبرى الذي يتكاثر هناك على صورة خيالية ، وقد طلبوا إلينا إنشاء مصنع للثلج ، فقامت الوزارة بإنشاء هذا المصنع كما أشارت إلى ذلك جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٥٥ / ٤ / ٤ م .

## فكرة إسقاط الجنسية عن الإخوان

ولست أنس لجمال عبد الناصر - يرحمه الله - كلمته التي علق بها على خديشي

إليه عن الاخوان المسلمين ، وعن رحلتى إلى شمال افريقيا ، فقد قال لى : إنهم مع كل ما تصفهم به مكروهون من رؤساء الدول التى لجأوا إليها .

ثم أضاف : إن بعضهم يشتم مصر ، وحكومة مصر بالفاظ نابية وأحاديث مختلفة ، ولما كان ذلك أمرا غير لائق ، فقد رايت أن أحرمهم من الجنسية المصرية ، وخاصة عبد الحكيم عابدين ، وقد كتبت قرارا بذلك ورغبت إلى الرئيس نجيب أن يوقعه ولكنه أبى ، فبعثت إليه بكثير من إخوانه ، فأصرّ على عدم التوقيع ، واطن لو أنك أنت ذهبت إليه ، وطلبت منه أن يوقع القرار ، لبادر إلى توقيعه وكفانا شر الخلاف الذى لا خير فيه .

أذكر أننى انتهزت هذه الفرصة ، فذكرت له أن الاخوان فيهم الصالح والطالح ، والصادق وغير الصادق ، شأنهم في ذلك شأن كل الطوائف في كل الشعوب وكل طائفة فيها ما يكفيها ، وهذا امر لا يخفى عليك . وقد خشيت أن ينقلب الامر بينى وبينه إلى جدال لا يدرى عاقبته إلا الذين خبروه ، فرأوا انه إذا غضب لم يفرق بين ما يلىق وما لا يلىق . على أننى لو أثرت الجدل ومضيت إلى غاية القول ، لذكرت له صورتين كنت قد رفعتهما إليه ، شاكيا تصرفات الذين ينتسبون إلى السلطان انتساب مملوك للمالك ، أو مرعوس لرئيس .

وإحدى الصورتين ، أن أحد كبار الضباط الذين ينتسبون إلى الثورة زارنى ذات ليلة بعد منتصف الليل في شتاء قارس وكان معه قريب له ، فجاءنى البواب خائفا مذعورا ، وأخبرنى بأمر هذا الضيف الذى جاء في سيارة السجن الحربى ، وفيها جنود يرتدون زى البوليس الحربى ، ثم امره مقدم القوم بأن يخبرنى بمقدمهم ، وبأنهم يطلبون مقابلتى على وجه السرعة لأنهم مشغولون ، ولا يستطيعون الانتظار .

فما تمالكت أن قمت من فراشى ، وهبطت السلم ووساوس السوء تملأ صدرى ، وخوف المجهول يسيطر على أهلى وولدى ، ثم دعوت بالقوم إلى غرفة الجلوس وكانوا قد سبقونى إليها ، فقام إلى كبيرهم وإلى جانبه قريبه وقال لى - فى لهجة أمرة - إن فى وزارة الاوقاف وظيفه وكيل وزارة غير مشغولة ، وقد جئتك اليوم اطلب منك تعيين هذا وكيل لوزارة الاوقاف ، وأرجوك لا تؤاخذنى على هذه « الرذالة » لكنكم علمتونا إن الضرورة لها احكام .

وثانية الصورتين : أن فى بولاق بالقاهرة مسجدا يقع بالقرب من مسجد السلطان « أبو العلا » وقد كان هذا المسجد يسمى « مسجد الخطيرى » ولكنه تحول بالاهمال وطول الزمن إلى خرابة ، يأوى إليها المتسولون والهاربون من القانون . وقد جاءنى ذات يوم أحد الضباط الذين ينتسبون إلى الثورة ، وفى حديث طويل رغب إلى انه فى حاجة شديدة إلى معونة كريمة من وزارة الاوقاف ، وأن مثله لا يمد يده إلى



مال مهما كان كثيرا ، ولكنه يجب أن يستأجر أرضا من خرابات وزارة الأوقاف ، لكي يقيم عليها محطة بنزين تمون السيارات . وهذه الخرابة في موقع عظيم ، وهو مستعد أن يستأجرها من الوزارة بالقيمة التي يراها السيد الوزير .

ثم ذكر لي أن الخرابة التي يريد استئجارها هي مسجد الخطيرى الذى طال عليه الآمد وأحاط به الإهمال ، فأصبح أثارا يسكنها اليوم والغربان ، وربما لجأ إليها بعض قطاع الطرق أو بعض المتسولين . ولم يسعنى إلا أن أرفض طلبه خوفا من الله ، أو خوفا من الناس ، أو الاثنين معا .

وقد أخبرت بالصورتين جميعا عبد الناصر ولست أشك في أنه تحرى عن الرجلين وعرف جلية الخبر ، ولكنه أثر المجاملة والمصانعة . ومعنى ذلك أن كل طائفة في دنيا الناس فيها الصالحون والطالحون ، والصادقون وغير الصادقين .

## الإخوان المسلمون . . ثلاث طوائف

والإخوان المسلمون لا يختلفون عن الناس ، وإن كانوا - في مبلغ علمي - طوائف ثلاث ، فمنهم الأغنياء أصحاب المال الكثير ، ومنهم المحتاجون الذين تجوز عليهم الصدقات . ومنهم من يتوسطون بين الفريقين ، فلا هم إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

والذين التجأوا منهم إلى دول أسبغت عليهم من سلطانها وما لها ما تطمئن إليه حياتهم ، لا ينبغي أن يغض من قدرهم أن يجاملوا الذين أفسحوا لهم صدورهم ، وبالفوا في إكرامهم ، حاشا أن يسبوا وطنهم أو القائمين عليه وولاة الأمر فيه .

وما أكثر بطانات السوء في دنيا الناس سواء في ذلك المسلمون وغير المسلمين ، بل إن بعض الذين يحيطون بولى الأمر يتعرضون بسبب ذلك لأذى يلقام به أصدقاء ولى الأمر في الأمة وأعداؤه أجمعون ، على ما تؤيد هذا المعنى الكلمة الجليلة التى رواها صاحب العقد الفريد عن العربى الفيلسوف خالد بن صفوان حيث قال : « من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة كان أكثر عدوا ممن صاحبه بالفسخ والخيانة ، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه . فاما عدو السلطان ، فيكره الناصح الأمين لأن نصيحته إياه تطيل بقاءه في المنصب ، وهو يريد المنصب لنفسه . وأما صديق السلطان ، فيكره الناصح الأمين لأنه يريد لنفسه أن يكون هو بجانب السلطان ينتفع بجاهه وماله .

## بطانة عبد الناصر هي الأسوأ

وقد كانت بطانة عبد الناصر من أسوأ البطانات في الأرض إلا قليلا ممن عصم الله ، فكانوا يحرصون على استغلال قريتهم منه : إما رجاء لخيره وإما اتقاء لشره ، وهم مع ذلك قليل جد قليل .

ولقد كان من أشد ما ابتلاه الله به ، أخذه بالنظام الهتلري في حكم الشعب ، واستعانته برجال المخابرات النازية الذين حاولوا أن يصنعوا بمصر ما كانوا يصنعونه بألمانيا في عهد هتلر .

وأشهد أن جمال عبد الناصر بدأ حياته السياسية زعيما متزنا الرأي عميق الفكر محبوبا من الجماهير ، ولو أنه سار على هذه الطريق ، لبقيت مصر به أكرم الغايات ، ولكنه انحرف عن سواء السبيل ، وكان المظهر الصارخ لانحرافه يتجلى في أمرين :

□ أحدهما : حرصه على الاستبداد بالرأى الذى أفقده أفضل زملائه من رجال الثورة ، وهم لا يقلون عنه حبا لمصر .

□ وثانيهما : إثارة سوء الظن بالناس ، دعاه إلى الاسراف في التجسس عليهم بكل الوسائل التى كشف عنها العلم ، ولجأ إليها الحراس على سلطان الحكم بأى ثمن ومن أية طريق ، ولم ينفعه ذلك شيئا بل زاده بعدا عن الشعب وزاد الشعب إصرارا على سوء الظن به ، وخيبة الأمل فيه .

وما أصدق ما أخرجه أبو داود من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم » . يعنى - صلوات الله عليه - أن ولى الأمر إذا أساء الظن برعاياه وجاهرهم بذلك فإنهم صائرون إلى ما ظنه بهم من السوء ففسدوا وأفسدوا .

وقد أدرك عبد الناصر أن الأمر أصبح من الخطورة بحيث يحتاج إلى التدارك قبل فوات الأوان ، ولذلك قرر أن يلقي الشعب في مختلف المدائن والقرى ، فمضى ومضينا معه نطوف في البلاد ، ونحدث إلى الناس كلما امتهدت إلى حديث سبيل . ولعله لم يظفر بما كان يريد ، فرأى أن يختصر الرحلات مؤثرا عليها جماعة أقل عددا وأقدر على مواجهة الشعب ، تتولى عنه لقاء الجماهير في مجالس خاصة ، أو أحفال عامة محدودة .

وقد تألفت هذه الجماعة فعلا باسم ركب التحرير وكان أعضاؤه : أحمد حسن الباقورى ، وأحمد عبده الشرباصى ، وإبراهيم الطحاوى ، وأحمد عبد الله



□ حديث ضاحك بين الرئيس عبد الناصر والباقورى .

**طعيمة -** ولعل عبد الناصر كان يريد بذلك أن يتجنب لقاء الجماهير التى كان يهيمن عليها جو قلق من سيئات الظنون . ولعل مرجع ذلك إلى القسوة فى تطبيق قوانين الإصلاح الزراعى ، وحل الأحزاب ، وتعطيل الدستور ، واختلاف الكلمة بين الثائرين أنفسهم حتى كان بعض الضباط يقول فى نقده زملاءه : لقد خلعت الثورة ملكا واحدا لكى تضع فى مكانه ثلاثة عشر ملكا - يحرص معظمهم على أن يظهروا بمظهر الملك . ذلك أنهم كانوا قد استبدلوا بسياراتهم المتواضعة ، سيارات صالون فاخرة يرفرف على مقدمتها علم الدولة .

وبهذه الكلمات وأمثالها - مما كان يتهم به الرئيس محمد نجيب - زملاءه شاع بين العامة والخاصة أن الثورة تتحول إلى الدكتاتورية بعد أن أعلنت الأصول الثلاثة التى قامت عليها ، وهى : الاشتراكية ، والحرية ، والديمقراطية .

وقد ظهر لى أخيرا أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يقصد من الاتصال بالشعب عن طريق ركب التحرير هذا إلا أن يعرف مشاعر الذين تلقاهم من أهل الرأي في الشعب ، فيعينهم أعضاء في المجلس الاستشارى الذى كان يؤثره على المجالس النيابية المنتخبة .

وقد كنت كثير الأسفار ، والصحف لا تكاد تكف عن نشر أخبار تحركاتنا في المدائن والقرى بين راض وساخط .

وانتهز هذه الفرصة لأذكر الأخوة مصطفى ، وعلى أمين ، والدكتور أحمد باشا حسين الوزير الأسبق وسفير مصر في أمريكا في أوائل أيام الثورة . وخلاصة ذلك أنهم رغبوا إلى أن أذكر للرئيس عبد الناصر ما انتهى إليهم من أنه ربما اختارهم أعضاء في المجلس الاستشارى ، ثم طلبوا منى - في إصرار - أن أبلغه رغبتهم في عدم تعيينهم أعضاء في المجلس المذكور . وقد فهمت من إصرارهم هذا أنهم لو عينوا ، لامتنعوا عن حضور المجلس ، أو استقالوا عقب تعيينهم ، وقد تمثلتهم في هذه اللحظة موضع سخط عبد الناصر ، وربما أوقع بهم مالا قدرة لهم على احتماله ، فشجعتنى ذلك على تنفيذ رغبتهم أداء للامانة التى وضعوها في عنقى . وهى امانة ثقيلة الأعباء ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

وأذكر أننى حرصت على لقائه بمجلس قيادة الثورة في الجزيرة حيث كان اللقاء فيها للخاصة الذين يقابلونه بدون ميعاد سابق ، وأحببت - كعادتى - أن أقدم بين يدى حديثى إليه ما يكشف لى عن دخيلة نفسه ، فأخذت أذكر له أخبار لقاءاتنا مع أعيان المدن والقرى ، ثم قلت له في أثناء الحديث : إنك مستطيع أن تتحرى عن هؤلاء المواطنين لتعرف مدى الانتفاع بهم في المجلس المقترح . كما تعرف استعدادهم لقبول العضوية ، حتى لا يعتذر أحد منهم بعد التعيين .

ولم أكد أنطق بهذه الكلمة حتى رأيت في وجهه غضبا ثائرا ، ثم قال : إن الذى أعرفه أن المناصب الشعبية والحكومية ، تكليف لا تشريف ، فالذى يعتذر يكون عرضة لغضب القانون .

ولذلك حمدت الله أن قدمت هذه المقدمة قبل أن أخبره بزيارة الاخوة لى في مكتبى ، ورغبتهم إلى أن لا يعينوا أعضاء في هذا المجلس .

وما أكثر ما كنت أقابل في هذا التجوال أصدقاء من زملائى في الاخوان المسلمين ، ولم يكن هؤلاء جميعا يقابلوننى إلا تذكركنا حياة الزمالة ، والماضى بكل ما اشتمل عليه من أحداث موصولة الأسباب بشئون الدنيا وشئون الدين .

و ذات يوم ونحن في سوهاج ذكر بعض الاخوة في جلسة خاصة المحنة التى مر

بها الاخوان بعد حل الجماعة ، ومقتل النقراشي باشا ، واستشهاد الامام حسن البنا ، وقد جاء في اثناء الحديث ذكر الاستاذ مصطفى مرعى الذى كان يكتب - قبل الثورة - مقالات تحرج الملك وكل من له صلة بميزانية الدولة . وكان الرجل آنئذ عضواً في مجلس الشيوخ ، فكانت هذه المقالات موضع إعجاب الذين يخاصمون القصر الملكى ، ويرون في إنفاق مليون جنيه لاصلاح « اليخت المحروسة » لونا من ألوان السفه ، وقصر النظر ، وإنفاق أموال الشعب في وجوه الترف ، بدلا من إنفاقها فيما يحتاج إليه الشعب من غذاء وكساء ودواء .

ومع أن موقف مصطفى مرعى كان موقفا وطنيا شريفا ، فإنه لم يسلم من التحامل عليه ، تحاملا كان يقوم به المؤثرون من الثورة ، على اختلاف منازلهم الحزبية ومنافعهم الشخصية ، فكانوا يشيعون عنه في كل مكان أنه صديق للحزب السعدى الذى كان يدين للقصر بالولاء . وقد كان ذلك في رأيهم آية واضحة على أنه لم يكن صادقا لا في الوطنية ولا في الدين .

وأذكر أننى رأيت من الحق أن أنصف الرجل ، فأذكر لبعض هؤلاء المتحمسين ما لا يعلمون . ذلك أن مصطفى مرعى كان أحق الوطنيين المخلصين بمقام الزعيم مصطفى كامل في وفائه للوطن ، واعتزازه بالدين .

فأما أنه كان صديقا للحزب السعدى ، فإن صداقته - في مبلغ علمى - كانت تنفيا مصلحة الأمة فيما كان يعتقد . وذلك أننى كنت أستعين به على تلطيف حدة الخصومة بين الحزب السعدى والاخوان المسلمين . وقد بذل الرجل كل ما في وسعه ، ولكنه لم يصل إلى النتيجة المرجوة .

وكان من الأمور التى رغبت إليه أن يبذل جهده في سبيلها ، أن يطلب من النقراشي باشا عدم بيع مخلفات جماعة الاخوان المسلمين للجمهور ، لأن ذلك تصرف من شأنه أن يثير النفوس ، ولا خير لوطنى صادق الوطنية في ثورة نفسية ينفخ في أحد طرفيها عدو متربص ، وينفخ في الطرف الآخر ولى حميم . وأشهد أن الرجل بذل كل ما في وسعه ، ولكن الله - تعالى - له فينا علم غيب هو بالغه . وليس يحاسب المرء على أنه لم يظفر بنتيجة سعيه ، ولكنه يحاسب على قدر اجتهاده وإخلاصه ، وقد اجتهد مصطفى مرعى صادقا وسعى مخلصا ، ولكنه لم يظفر بما كان يجب أن يظفر به لخير الوطن والمواطنين .

هذا ما يتصل بوطنية الرجل وحسن سلوكه ، وأما ما يتصل بدينه ، فإننى أذكر هنا - الله ثم للتاريخ - أننا كنا قد دعينا في سنة ١٩٥١ إلى محاضرة في قاعة « يورت » التذكارية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، فلما انتظم الحفل المهيّب الذى كان الاخوان المسلمون كثرته الكاثرة ، بدأ الاستاذ مصطفى مرعى كلمته بالحديث عن النقراشي

باشا والترجم عليه ، وما كادت كلماته عنه تقع في مسامع الحاضرين ، حتى علا الهتاف ثائرا بسقوط الظلم وأعوانه ولعنة الظالمين ، والمتحدثين عنهم ، ثم تحولت القاعة إلى مظاهرة لا يسمع السامع فيها إلا ما يسوء ويحزن .

وقد رأيت بعض الثائرين يكاد يقود زملاءه إلى المنصة التي كان يجلس عليها خطباء الحفل . وما كاد هذا الخاطر يلم بذهنى ، حتى تمثلت الخطر الهائل الذى يتهدد حياة الجالسين على المنصة لو أن الثائرين ظلوا يهتفون ويصرخون . فلم أجد أيسر من أن أطلب إلى القارئ أن يتلو آيات من القرآن الكريم . وقد كان اهتمامى متجها إلى الأستاذ مصطفى مرعى خشية عليه من ثورة الثائرين . وما كاد القارئ يفتتح القراءة باسم الله ، حتى خفتت الأصوات ، وساد القاعة صمت عميق ، ثم التفت إلى الأستاذ مصطفى ، فإذا السكينة تشيع في وجهه والدموع تترقرق في عينيه ، ثم يقول في خشوع المؤمن ووقار العالم - : إن الاسلام لا يزال بخير فالحمد لله رب العالمين .

ولم تكد هذه الكلمات تقع في مسمعى حتى رجعت بى الذاكرة إلى الفترة التي كنت ألقاه فيها واسطة خير بين حكومة السعديين وجماعة الاخوان المسلمين . ولما دعيت إلى إلقاء كلمتى ، بدأتها بعتاب الدعاة إلى إقامة هذا الحفل ، وكان محور العتاب أن تكون قاعة يورث هى مكانهم المختار ، متناسين أن إسرائيل إنما تستند في اعتدائها على فلسطين إلى تأييد أمريكا وثقتها بها وحمايتها لها ، مع أن أمريكا أولى شعوب الأرض ، وأمم العالم باحترام الحقوق التي رسم طريقها للانسانية المغلوبة على أمرها الرئيس الأمريكى ويلسون ، الذى تعترف به الانسانية ويمبادئه التي كان يدعو إليها ، ويحرض قومه على الانتصار لها في كل مكان تتعرض فيه الشعوب لظلم المستعمرين القاهرين .

## قضية التعصب

وقد أحسست أن كلماتي هذه ربما أخرجت صدور الذين نحرص على مودتهم ، ويتعلق بالامل في معونتهم . فذكرت كلمة رواها للناس في تعليق منصف بصير أحد زملائي في معتقل المنيا الأستاذ موسى صبرى ، وهى الكلمة التي روتها عنى جريدة « الأخبار » في تلك السنة - أى أواخر سنة ١٩٥١ - : « إن التعصب على وجهين : أحدهما التعصب للعقيدة ، وثانيهما التعصب في ظل العقيدة .

واذكر أنني قلت إن التعصب للعقيدة أمر فطرى ، إذ كان قيام العقيدة في نفس صاحبها يقتضى الانتصار لها والدفاع عنها وعن الذين يشاركونه فيها ، وذلك أمر لا تأباه الشريعة المحمدية المسماح بدليل قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« خيركم المدافع عن عشيرته ، ما لم يَأثم . » . وقد بين صلوات الله عليه - منطقة الاثم حين سألته سائل ما العصبية يا رسول الله ؟ فقال له - صلى الله عليه وسلم - : « هي أن تعين قومك على ظلم » .

فالعصبية في ذاتها ، أمر لا مفر منه ، فإن دعت إلى ظلم أو أعلنت عليه ، فذلك هو الاثم البغيض إلى أهل الحق ، على ما ورد في الحديث الشريف . وقد أذكر أن بعض أصدقائي الغياري على عاتبي على هذه الكلمة دهرا طويلا ، فكنت كلما تحدثت في هذا الباب ، ذكرت له أنني بهذه الكلمة في طرفيها إنما استند إلى كتاب الله الكريم .

فأما الطرف الأول الذي هو تعصب للعقيدة ، فإن الإشارة إليه ماثلة في قوله - تعالى - : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

ووجه ذلك ما يذكره العلامة جمال الدين القاسمي ، حيث قال ما يجعل برنا بمواطننا الذين نخالفهم في الدين ، أمرا سائغا ، من حيث كانوا لم يقاتلونا في الدين ، ولا أخرجونا من ديارنا ، ولا ظاهروا أحدا على إخراجنا من أرضنا ، فالبر بهؤلاء على هذه الصورة ، مدعاة إلى مرضاة الله إذ كان ذلك من الاقساط إليهم وكان الله - تعالى يحب المقسطين . فهؤلاء المواطنين يستحقون برنا بهم وأقساطنا إليهم مهما اختلفت عقيدتنا معهم ، وليس ذلك بمانع لنا من أن نكرمهم مع اختلافنا في العقيدة . فأما الذين لا يستحقون البر بهم ولا الاقساط إليهم ، فإنما هم الذين يظاهرون أعدائنا على إخراجنا من أرضنا .

واقباط مصر لم يعينوا ظلما لنا ولا مستعمرا أرضنا ، بل كانوا شركائنا في مجاهدة الاستعمار والمستعمرين . وثورة ١٩١٩ ضد الاستعمار أعدل شاهد على هذا الذي نقول .

وخلاصة هذا القول : أن على المسلم أن يتعصب لعقيدته بالدعوة إليها والانتصار لها ، بشرط ألا يواقع ظلما في محاربته أصحاب عقيدة دينية يدينون الله عليها ، ثم لا يعينون ظلما لنا على اغتصاب أرضنا وانتهاب أموالنا .

وحاصل القول في هذه المسألة ، أن المسلم مأمور بترك الحرية الدينية لذى العقيدة من المسيحيين وغير المسيحيين ، بشرط ألا يقاتلنا هؤلاء في الدين . ولا يعملوا على إخراجنا من أرضنا ، ولا يظاهروا أحدا علينا أراد أن يغصب أرضنا ، أو يتسلط على أموالنا ، ويستذل إنسانيتنا .. ومن يراجع معنى هاتين الآيتين ير أن ترك صاحب العقيدة على عقيدته من أدب الإسلام . هذا هو معنى الدعوة إلى التعصب للعقيدة . فأما التعصب في ظل العقيدة ، فهو أن يحرم المسلم أو الدولة الإسلامية ذا عقيدة دينية حقا من حقوقه الإنسانية المكفولة له بحكم الشريعة المحمدية المسموح .

وليس يشك أهل الانصاف في أن حياة الأقباط في عهد الدولة الإسلامية ، كانت أدنى إلى السلامة ، والسلام منها في عهد الدولة الرومية . ذلك أن الإمبراطور هرقل بعد انتصاره على الفرس سنة ٦٢٨ م جمع مذاهب الدولة المتصارعة وأراد التوفيق بينها على صورة تمنع الناس الخوض في الكلام عن كنه طبيعة السيد المسيح عليه السلام . وقد كان الإمبراطور شديد التعصب لمذهب الدولة الرومية ، وهو المذهب الملكاني في حين أن مذهب الأقباط كان هو المذهب اليعقوبى ، وكان بين المذهبين خلاف جوهري تعرض بسببه الأقباط إلى ألوان من العذاب تتأبى على الخيال .. إذ كان خصومهم الملكانيون يوقدون المشاعل ويسلطونها على مخالفهم في العقيدة حتى يسيل الدهن من أجسادهم إلى الأرض . ثم يضعونهم بعد ذلك في أكياس مملوءة بالرمل ، ويرمونهم في البحر ، فمن لم يمت حريقا مات غرقا .

ثم لما أذن الله للإسلام أن تشرق شمسهُ بفتح مصر على يد عمرو بن العاص - رضى الله عنه - كان يسير في حكمه على نهج التسامح والاعتدال متقيدا بأدب الإسلام في معاملة البلاد المفتوحة صلحا أو عنوة ، ولم يكن له - رحمه الله - هوى مع أحد المذهبين ، حتى لقد ذكر الدكتور « بقلر » في كتابه « فتح العرب لمصر » ، أن أسقفا ملكانيا بقى على مذهبه حتى مات ، لم يمسه أحد بسوء ، في حين أن بطريزك القبط كان يتمتع بحريته المذهبية ، فيدعو الناس إلى مذهبه بالإقناع ، دون أن يمسه أحد بسوء كذلك . فلم يكن عمرو بن العاص فاتحا سياسيا يحرض بعض المذاهب على بعض ويغري الشعب بعضه ببعض على طريقة « فرق تسد » . بل كان رجلا يتقيد بالمنهاج الإسلامى فيرى أن حماية المسلمين لأهل الذمة ، ترتبط بشروط الصلح معهم ، وكانت هذه الشروط تقضى بأن يدفع القبط الجزية على أن يأمنوا في بلادهم ، أمنا يشمل أموالهم وأولادهم ، وعلى أن يدافع المسلمون عنهم من يتربص بهم الدوائر من أعدائهم ، وقد كانت شروط الصلح هذه تنتظم أموراً خمسة : (أولها : أن لا يعتدى على القرآن ولا تحرق مصاحفه ، كما فعل ذلك بعض المتعصبين في المشرق والمغرب . وثانيها : أن لا يوصف سيدنا محمد رسول الله بما يسوء أتباعه من المسلمين والمنصفين من غير المسلمين . وثالثها : أن لا يتزوج مسيحى من مسلمة . ورابعها : أن لا يخدع مسلم أو يغري بوسيلة من وسائل الإغراء ، حتى يرتد عن الإسلام . وخامسها : أن لا يتخذ الأقباط ولدا لهم من أعداء الإسلام .

والذين يتأملون في هذا الذى ذكره « بقلر » ، وتابعه عليه أبو الحسن الفدوى لا يرتابون في أن عمرو بن العاص بفتحه مصر قد أضفى عليها ظلال الأمن والسكينة والسلام ، بعد أن كانت تعيش مع الروم معيشة الهلع والخوف ليل نهار .

وبهذه الكلمات التى أثرتها هنا لهذه الملامح نرى من الحق علينا أن نعود بك - أعزك الله - إلى الحديث عن نظام الحكم في الثورة .



## قضية المستبد العادل

كان عبد الناصر كثيرا ما يردد في بعض مجالسه كلمة منسوبة ظلما أو جهلا إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . وهي أن الشرق لا يصلحه إلا مستبد عادل . ولعل تلك الكلمة هي التي أوجت إليه فكرة المجلس الاستشاري - الذي كان يعد الغدة لتشكيله - وهي كلمة تعاند الحق وتتجاهل الواقع في دنيا المستبدين . وإلا فإن الاستبداد والعدل لا يجتمعان إلا إذا اجتمع الليل والنهار في آن .

ووجه الظلم في نسبة هذه الكلمة إلى الأستاذ الإمام ، أنها ترميه بالتنكر للشرعية المحمدية في اعتزازهها بالدعوة إلى نظام الشورى من جانبى : النص ، والتطبيق .

فأما النص ، فقول الله جل ثناؤه خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

ففى هذه الآية وصف القرآن الرسول وصفا شريفا ، قائما على أن الله - تعالى - زوده من كرائم الصفات بصفة الرحمة ، وأنه بهذه الصفة كان هينا لينا بالمؤمنين رؤوفا رحيمًا ، ثم أمره بعد ذلك بأن يعفو عن الذين أخطأوا الصواب من أصحابه في مخرقة أحد ، خطأ أنزل بالمسلمين أوجع المصائب . وقد كان من شأن ذلك أن يغير نفس رسول الله عليهم وأن يضيق صدره بهم ، ثم يصرفه عن اعتبارهم أهلا للشورى ، فأمره - تعالى - بأمر ثلاثة : أولاها : أن يعفو عنهم وثانيها : أن يستغفر لهم وثالثها : أن يشاورهم في الأمر .

هذا .. وأما التطبيق فخلاصة القول فيه ، أن هزيمة قريش في معركة بدر الهبت حماستهم في عداوة الإسلام ، فزحفوا نحو المدينة وعسكروا عند سفح أحد . ولم يكن بد للمسلمين من مدافعة الذين يترصبون بهم الدوائر من مشركة قريش ، فجمع رسول الله أصحابه في يوم جمعة ليتدارسوا أفضل السبل لمواجهة الموقف ، وكان من عادته أن يشاور أصحابه في كل أمر ذى بال .

فلما اجتمعوا قصّ عليهم رؤياه ، ذاكرا لهم أنه رأى نفسه في برع حصينة ، أولها أنها المدينة لا يخرج منها فيتقى بها ، كما يتقى الدارع بدرعه ، وذكر لهم أنه رأى بقرا تنحر ، فأول ذلك جماعة من أصحابه يقتلون ، وذكر أنه رأى ثلثة في سيفه ، وأول ذلك : رجلا من أهل بيته يقتل في المعركة .

وبذكره صلى الله عليه وسلم هذه الرؤيا لأصحابه ، قرر لهم أن عليهم أن لا يغامروا بالخروج للإلقاء أعدائهم حيث نزلوا ، وأن يؤثروا البقاء ضمن أسوار المدينة يردون هجمات القرشيين عليها .

وقد أقره على رأيه هذا أصحاب السن العالية ، والعقل الراجح من صحابته ، غير أن الكثرة المؤلفة من شبان متقدمين حماسة ، كانوا أشد ميلا إلى الخروج لمقارعة أعدائهم في معركة ناضحة بالرجولة والشجاعة ، فكانت حجتهم أن التحصن بالمدينة ، قد يحمل على العجز والضعف ، وربما أغرى العدو بهم وجراه عليهم .

وقد رأى - صلوات الله عليه - أن يأخذ برأى أهل الحماسة من أصحابه ، مخالفا بذلك رأيه الشخصي ، مع أن رأيه الناشئ عن الرؤيا صورة من صور الوحي ، ومع ذلك رأى - باجتهاده - أن ينزل على رأى مخالفه ، فلبس عدة الحرب وخرج إلى الميدان .

ولا ريب في أن تصرف رسول الله في نزوله على رأى أصحابه خلافا لرأيه ، دليل على أن نظام الشورى في الإسلام ، هو النظام الديمقراطي في النظم العالمية الحديثة ، لكن عبد الناصر لم يكن من رحابة الأفق وسعة الإطلاع والقدرة على فقه الشريعة بالمنزلة التي تجعله يؤثر حكم الشورى إيثارا له أو اعتزازا به ، ولهذا أثر صورة للحياة البرلمانية ذات وجهين : وجه يترضى أنصار الديمقراطية ، ووجه آخر يرضاه أنصار الاستبداد .

**وجملة القول في هذه الصورة ذات الوجهين ، أن يترك باب الترشيح لمجلس الأمة مفتوحا لمن يشاء من المواطنين ، فإذا أغلق باب الترشيح ، عمدت الحكومة إلى تأييد من تثق به ، فيسرت له السبيل إلى الظفر بمقعد البرلمان عن طريق حذف أسماء منافسيه ، ولم تكن هذه الصورة المعقدة قد صدرت بقرار من مجلس الوزراء ولعلها صدرت بقرار من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو من الرئيس عبد الناصر وحده .**

## دائرة الخليفة لثالث مرة

وقد تقدمت للترشيح في دائرة الخليفة ، التي حيل بيني وبين الظفر بها مرتين أيام الملكية ، ومع أنني كنت وزيرا في حكومة الثورة ، وكان من حقي أن أظفر بتأييدها ، إلا أن الأمر جرى على غير ما كنت أتوقع ويتوقع الناس ، إذ أبلغني زميل موثوق عندي أن أحد كبار الثوار حرض مواطنا على أن يرشح نفسه منافسا لي في دائرة الخليفة ، وقد صدع المواطن بالأمر ، فبدأ - بعد أن أعلن ترشيحه - بهاجمني مهاجمة من لا يخشى إلا مُحرضيه ابتغاء الثواب أو النجاة من العقاب .

ولست في حاجة إلى القول بأن هذا التصرف قد اثار نفسي ، وحملنى على سوء الظن بكل ما كنت أسمع من كلمات الوفاء والإخلاص . وربما أسلمنى ذلك إلى مجارة الذين كانوا ينتقدون الثورة ورجالها ويتحاملون عليها ، وهم كثير في داخل مصر وخارجها . حتى لقد قال لى ذات يوم جمال عبد الناصر إن الجيش هو سند النظام الذى أنت فيه وزير مسئول . وأذكر أننى أجبت بآن ذلك المرشح الذى حرصه على ضابط كبير مسئول ، إنما يهاجم النظام كله في شخصى ، ثم ذكرت له بيتا من الشعر العربى يقول فيه الشاعر :

كنت في كربتى افر إليهم فهمو كربتى فأين الفرار ؟

وفي حوار طويل بينه وبينى حول هذا الشعر ، وحول بعض رجال الثورة - الذى وصفهم بأنه أصبح لا يأمن جانبهم - ذكرت له رأيا يكون خاتمة هذا الحوار الطويل فقلت له - فيما أذكر - إن هذه الثورة تحتاج إلى السنة وأقلام ، واقترحت عليه أن يلتقى ببعض الذين زودهم الله بالقدرة على إقناع الشعوب بالقضايا التى تنغيها ثورات الإصلاح في كل زمان ومكان .

## العقاد وعبد الناصر

ولعل هذا الرأى كان قد لقى في نفسه هوى ، فسألنى عن المواطنين الذين أرشحهم له ، يلتقى بهم ، ويتحدث إليهم بما يجعلهم يطمنون إلى الثورة أو إلى انفسهم في ظل التعاون معها والدفاع عنها ، وكان في طليعة أولئك المواطنين الأستاذ عباس العقاد .

وقد أثرت أن اذكر العقاد لأمرين أعرفهما له :

أحدهما : أن الرجل كانت له ندوة في مصر الجديدة تضم صفوة المواطنين ، يتعلمون منه ، ويأخذون عنه ، فلو أنه اطمأن إلى أهداف الثورة ، لكان في لسانه وقلمه لها خير كثير .

وثانيهما : أننى رأيت الرجل في أول مؤتمر للثورة انعقد بدار « لطف الله » وهو يحمل قصيدة يحرص على إلقائها في هذا المؤتمر تحية للثائرين ، وهو الرجل الذى عهد الملكية ، اضطهادا لا يصبر على لوائه إلا الصابرون .

ولم يكن عبد الناصر ليجعل العقاد ، ولا الذين يأخذون عنه ، ويعتزون بالانتساب إلى ندوته أيام الجمعة من كل أسبوع . ولكنه سألنى سؤال من رضى

الاقتراح ، وأحب أن يمضيه إلى غايته المرجوة منه ، فقال : وأين المكان الذى نلتقى فيه بهؤلاء الذين تقترحهم ؟ فأجبت : إن الأمر فى هذا يسير جد يسير ، والذى أوتره ، وأملك أمره الآن أن تأذن بأن يكون أول اجتماع فى دارى . ولم يزد على أن صمت ، صمت من يرضى هذا الاقتراح ، وقد رأيت أن أحيط الأستاذ العقاد علما بما انتهى إليه حديثى مع عبد الناصر ، ثم دعوته إلى أن يتناول فى دارى طعاما بعد صلاة العشاء ، ويلتقى فيه مع الرئيس عبد الناصر ولعل الله - تعالى - أن يجعل هذا اللقاء مطلع يمن وبركة على شعبنا المصرى وأمتنا العربية . والذين يعرفون الأستاذ العقاد ، يعرفون أنه رجل شديد الاعتزاز بنفسه ، إعتزاز عالم ذى رأى احتمال فى سبيل الدفاع عنه شدائد الحياة ، وذاق مرارة السجن مع الفوغاء وأصحاب السوابق والمتشردين .

وقد أجابنى بقبول الدعوة قائلا : إننى حريص على أن أعرف لك حقك غير أننى اشتراط لذلك ، أن يكون حضورى إلى منزلك بعد أن يتكامل المدعوون . وإن ما حملنى على هذا الشرط ، علمى بأن صاحبك شديد الكبرياء ، وقد يصافحنى بغير اكتراث ، مضيا على السنة التى أثمرها لنفسه فإذا دخلت ، فتراخى فى القيام لمصاحبتى ، فلا تؤاخذنى إذا ملكنى الغضب ، فلعلت فى وجهه اليوم الذى جمعنى به ، ثم انصرفت غير أسف على شيء .

ولم يسعنى أن أوافقه على رأيه ، ولا رأيت أن أقنعه بأن ذلك لن يكون منه شيئا ، ثم اختصرت الحديث وازمعت منذ تلك اللحظة أن أصرف تفكيرى عن الاهتمام بهذه الدعوة فى جملتها وتفصيلها ، وإن كنت أعلم عن يقين أن قلم العقاد لو قدر له أن يدافع عن الثورة الحانقين عليها ، والمتربصين بها ، لكان لها فيه غنى عن كل الوسائل التى يلجأ إليها الدعاة إلى إقناع الشعب بها والثقة فيها ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه والله - تعالى - علم غيب هو بالغة .

على أن تعاطف الشعب والثورة ، كان أمرا يتأبى تصويره على جامع الخيال . فمهما كانت منزلة العقاد من صدق الوطنية ، ومهما كانت منزلة قلمه من شرف البيان ، فليس فى وسع ذلك كله أن يمهّد للثورة طريقا إلى قلوب كثيرين من المواطنين يعترفون بها بصدق ، ويطمنون إليها تماما ، ذلك أن قانون الإصلاح الزراعى وما صاحبه من تشريعات مختلفة ، كان يدعو فريقا من الشعب دائما إلى التناكر للثورة والحقد عليها والتربص بها ، وربما ظاهر ذلك فى أنفس المواطنين ، حرمان طبقة ذات امتياز فى المجتمع من القابهم التى كانوا يعترفون بها فى أنفسهم ، وفى أهلهم وذوى قرباهم ، فإن أنت ضمنت إلى ذلك كله قانون تطهير الاداة الحكومية بحرمان الموظفين من وظائفهم ، رأيت معاداة الثورة مشبوبة النار مسعورة الأوار فى كل مكان .

وقد أذكر أن بعض الموظفين الأكفاء حرّموا وظائفهم بسبب منافسات بينهم

وبين زملاء لهم في الدواوين ، لأن منافسيهم كانوا يطمعون في وظائفهم ، وشواهد ذلك من الكثرة بحيث لا تنقاد لحصر ، ولا يطمع في الإخاطة بها بيان .

ولعل بعض الاخوة الزملاء في الوزارة لا يزال يذكر أن وزيراً معروفاً قدم عدة اشخاص ليوافق مجلس الوزراء على إخراجهم من وظائفهم ، فلما عارضت في إخراجهم ، سألتني : هل تستطيع أن تأخذهم عندك في وزارة الأوقاف ؟ .

فأجبت بأنني أستطيع ذلك عن طريق نديهم للعمل منذ اليوم ، وفي هذه الأثناء ندبر لهم في الميزانية درجات تكافئ درجاتهم ينقلون إليها .

وبذلك حفظ الله - تعالى - لأولئك المساكين حياة كريمة بعيدة عن جو التطهير ، الذي كان عاراً على كل من خرج من وظيفته في هذا الإطار البغيض . ولعله لا يخفى على أكثر الذين عاصروا هذه الحركات ما كان يقاسيه أولئك الذين أخرجهم قانون التطهير من بلاء لا يستطيع تصور المصيبة به إلا أولئك الذين مسهم الضر بهذا التشريع الأثيم .. ذلك أن من هؤلاء المساكين من كان وجيهاً في قومه ، سعيدياً في أسرته ، فإذا هو يرى ابنته المخطوبة قد فسخت خطبتها لأن أباه لا ذمة له ، ولا مروءة بدليل أنه خرج من وظيفته عن طريق التطهير ، فلا يلبث الرجل أن يرى الحياة الدنيا أضيق في عينه من سم الخياط ، لأنه أصبح سخرية الساخرين ، وضحكة الضاحكين .

ولقد كانت وزارة الأوقاف تتلقى يومياً مئات الرسائل من مختلف الجهات ، وهذه الرسائل كلها تشتمل على هذه الكلمات : « الله فوق الظالمين المجرمين الذين أفسدوا علينا حياة الدنيا وحياة الدين » . ولقد لقيت ذات يوم الرئيس عبد الناصر ، ودار حديث عن هذه التشريعات ، فانتهزت الفرصة ، وذكرت له بعض هذه الرسائل ، وما كان أشد عجبى حين رأيته يقدم إلى صورا مرفوعة إليه ، أعنف وأقسى من الصور التي كانت ترد إلى وزارة الأوقاف .

## مديرية التحرير

وأثناء هذا الحديث بين الرئيس وبينى ، دق جرس التليفون ، فإذا المتحدث هو مجدى حسنين ، الذى كان يتولى أمر مديرية التحرير ، شديد التحمس لها ، وترقب الخير منها لمصر والمصريين ، فلما فرغ عبد الناصر من الحديث سألتني : ما رأيك في مديرية التحرير فأجبت : إن مثلها مثل كل أمر جديد ، بين مآدح وقادح ، ومن رجال الثورة والمشاركين في تحمل تبعاتها ، من يتعصب لها ابتغاء خيرها ، ومنهم من يتعصب عليها انتقاء شرها أو ضررها .

وقد زرت أنا هذه المديرية وبنيت فيها بعض المساجد ، وساعدت في بناء بعض الكنائس ، لكى تكون هذه المديرية أرضا نموذجية يتلاقى عليها المصريون مسلمين ومسيحيين .

ولعل الرئيس عبد الناصر قد أراد الله له خيرا من طريق هذا الحديث ، فذكر لى أنه يفكر فى أن يحل مشكلة بعض الخارجين فى التطهير بإسناد بعض الأعمال إليهم فى مديرية التحرير ، فوافقته على ذلك وشجعته عليه . ولم يلبث الأمر فى هذه المعضلة أن أخذ طريقه إلى ما تقر به العيون ، وتنتشر له الصدور .

## وهيئة التحرير

ولقد اذكر أننى كنت - ذات ليلة - مع الزملاء فى مقر مجلس قيادة الثورة فى منشية البكرى ، وعرض حديث عن تكوين هيئة تكون لسانا للثورة ، فذكر عبد الناصر فى أثناء حديثه معنا ، أنه يفكر فى إنشاء هيئة باسم هيئة التحرير ، ثم ذكر أن أماله فى هذه الهيئة تستحق الاعتبار والعمل على تحقيقها بكل وسيلة ، وكان من بين المجتمعين فى هذه الليلة الضابط وجيه إياظه الذى اقترح - فى حماس شديد - أن يكون للثورة قسم يؤديه من يحرص على الانتظام فى سلك الهيئة المقترحة ، وقد رغب إلى عبد الناصر أن أضع صيغة هذا القسم فوضعت فى حدود ما أعتقد لكى يتلوه رئيس الجمهورية ومع الشعب كله ، وفى الميدان الذى يعرف اليوم بميدان التحرير قام رئيس الجمهورية محمد نجيب بتلاوة القسم الذى انتظم هذه الكلمات : « اللهم إنك تحب الأقوياء وتكره المستضعفين ، وتنشر رحمك على الذين يؤثرون الموت العزيز فى سبيل الحرية ، على الحياة الذليلة فى مجال الاستعباد .

اللهم وإنك لقريب ترى وتسمع وأنا لنقسم بذاتك العلية على أن نعمل - ما وسعنا العمل - على إرساء قواعد الحياة المقبلة لوطنا المقدى على أصول محررة من العبودية ، منزهة عن الهوى موصولة بالحق والعدل . وأن نبذل فى سبيل ذلك كله ما تقتضيه مصلحة أمتنا ، وتبغية شرف بلادنا ، وأن يكون شعارنا دائما : الاتحاد والنظام والعمل . اللهم فاشهد ، وأنت خير الشاهدين . »

وقد كانت كلمات الاتحاد والنظام والعمل شعارا وضعه محمد نجيب للثورة ، يردده المواطنون فى كل أحاديثهم لأنه هو نفسه لم يكن يفوته تذكير المواطنين باحترام هذه الأمور الثلاثة فى سائر تصرفاتهم من أجل مصلحة الوطن العزيز ، الذى لم يكن يتهدد مستقبله شيء كما يتهدد هذا المستقبل المرموق الانقسام والفوضى والإهمال فى الأعمال ، فكانت هذه الكلمات الثلاث هى الدواء لتلك الأدواء .

والذين يطالعون الصحف التي صدرت بمناسبة مهرجان التحرير في يناير سنة ١٩٥٢ يرون مقالات كتبها مواطنون فضلاء تتضمن تأييد هذا الشعار الذي وضعه للثورة الرئيس نجيب ، وقد كان من هذه المقالات ، مقالة للأستاذ الشيخ حسين مخلوف يؤيد بها هذه الكلمات الثلاث ، ويلتمس لكل واحدة منها سنداً من القرآن الكريم - والقرآن - بلا ريب - يكره الفرقة وينهى عنها ، ويكره الفوضى ، ويحترم النظام ويدعو إلى العمل ، وقد يراه لونا من أشرف ألوان التقرب إلى الله جل ثناؤه .

## السادات أم سيد قطب ؟

وما دام الحديث عن التحرير ، فإننى أذكر أن الرئيس عبد الناصر دعانى ذات يوم إلى مقابلته في مقر مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، فلما التقينا أمر بغداء طيب ، ثم طلب إلى أن أرشح له من أهل الثقة من يصلح للإشراف على هيئة التحرير ، ولم أتردد في أن أذكر له اسم أنور السادات . بحكم أنه كان زميل في سجن الأجانب بالقاهرة ، وفى معتقل ماقوسة في صعيد مصر ، ثم بحكم أنه رجل له ماضٍ طويل في العمل الوطنى ، وله صلات كثيرة بالهيئات الشعبية ، وخاصة هيئة الإخوان المسلمين التى كانت له بها صلات كثيرة وثيقة منذ سنة ١٩٣٦ وكان يعرف كل البارزين فيها ، ثم هو بعد أمين المؤتمر الإسلامى العام .

وفى اليوم التالى نشرت الصحف هذا النبأ فى أبرز صفحاتها ، فدعانى عبد الناصر إلى اللقاء به مرة أخرى فى مجلس القيادة أيضاً ، ثم أخبرنى أن الأستاذ سيد قطب يريد أن يكون سكرتيراً لهيئة التحرير ، وأن الأستاذ الهضيبى يزكّيه لهذا المنصب .

وقد سألنى رأى فأجيبته بأن الأستاذ سيد قطب كفىء لذلك بما معه من ثقافة عريضة ، ثم بما له من أسلوب أدبى معروف ، ولم يلبث عبد الناصر أن نظر لى ، وقال : أن أخشى ما أخشاه أن يستغل الأستاذ قطب - بالاتفاق مع الهضيبى - منصبه فى هيئة التحرير لجعلها شعبة من شعب الإخوان المسلمين ، ولهذا قررت أن يكون سكرتير الهيئة وحيد جوده رمضان الذى هو معروف عندى بوطنية ، وبعده عن الحزبية والأحزاب .

ولما كانت معرفتى بالسيد وحيد رمضان معرفة سطحية ، لم أشأ أن أتعرض له بنفى ولا إثبات ، فقلت له أنت أعلم بما فيه خير البلد وأبصر بالرجل الذى ترشحه ، فليكن ما يشاء الله أن يكون .

و ذات يوم تحدث إلى مدير مكتب عبد الناصر ، وطلب منى الا أشغل التليفون لان الرئيس يريد أن يتحدث إلى فى امر خاص عاجل .

وبعد فترة قصيرة رن جرس التليفون ، فإذا المتحدث هو عبد الناصر ، ولكنه بدلا من أن يستمر فى الحديث ، طلب إلى أن القاه فى مجلس القيادة فى الجزيرة ، ودار بينى وبينه حديث طويل لم أوافق عليه لأننى أيقنت أنه من تلفيقات الذين لا يريدون لمصر خيرا .

وقلت له : إن رجائى إليك أن تسيء الظن بكل خبر يتغيا فساد ذات البين بينك وبين أى رئيس دولة عربية أو إسلامية ، لأن مهمة المستعمرين لا تطمع فى شىء كما تطمع فى التفريق بين أبناء الأمة الواحدة ، وأصحاب العقيدة الواحدة ، والمصلحة المشتركة .

وذكرته بما كان يذيعه صلاح سالم من أنه حصل على وثيقة فى سفارة إحدى الدول الإسلامية ، تتضمن اتهامات للثورة بأنها ثورة شيوعية ، وتحرض المسلمين على سوء الظن بها ، والعمل على تشويه سمعتها .

ولكنه قال : إن الامر هنا أمر وثائق ، وليس امر خبر ، وأنا فى انتظار صورة الوثيقة التى تؤكد ما يقوله صلاح سالم .

فقلت له : إن أدوات الاستعمار لا يعجزها أن تصطنع وثيقة ، إذ كانت الوثائق أكثر قبولا من الاخبار التى لا تساندها أدلة ، فلا أستبعد ما ذكره لك صلاح سالم ، لانه رأى ما أخبرك به فى وثيقة مضموعة . والتاريخ الحديث حافل بهذه الصور التى يراد بها إفساد العلائق بين أبناء الشعب الواحد ، وشعوب الأمة الواحدة لمصلحة الغاصبين والمستعمرين .

## يطلب منى الاستقالة

ويبدو أنه لم يشأ أن يطيل الحديث فى هذا الموضوع . فأخبرنى أنه مزعم مع بعض زملائه العودة إلى العمل فى الجيش ، ولقد أدهشتنى هذه الكلمة ، فقلت له : إن ثورة يوليو لم تبلغ غايتها ، وقد بذل الشعب والجيش فيها أغلى واقسى ما يبذله طالب إصلاح ، فلا ريب أن فى تصرفكم هذا خطرا شديدا ، وخيبة أمل اليمة .

فقال : إننا سنرغب عن بعد تصرفات محمد نجيب ، فإذا رأينا انحرافا عن اهداف الثورة ، استأنفنا ثورة أخرى من جديد .



وهنا رغب إلى أن أنصرف إلى الوزارة لأجمع أوراقى ، وأرفع استقالتي إلى الرئيس نجيب . وفعلنا ذهبت وجمعت أوراقى ، ولكننى لم أشأ أن أكتب استقالتي خشية أن يشيع الخبر الذى كان يحرص عبد الناصر على بقاءه سرا بين أقل القليل .

وقد كان تصرفى هذا فى عدم كتابة استقالتي مثارا للريب فى نفس عبد الناصر ، إذ ظن أننى انحاز إلى معسكر نجيب ، ولعل الذى أوحى إليه هذا المعنى ، أنه هو نفسه كان قد أخبرنى من قبل بأن عبد الحكيم عابدين يسرف فى مهاجمة الثورة فى كل مكان يرحل اليه ، وأنه رأى أن يسحب منه الجنسية المصرية ، فكتب القرار وعرضه على الرئيس نجيب لتوقيعه ، ولكنه أبى أن يوقعه ، فمن أجل ذلك رأى أن معرفتى بعبد الحكيم عابدين وكثرة إتصالي به فى وزارة الأوقاف ، دليل على أننى إلى معسكر نجيب أقرب منى إلى سائر المعسكرات الأخرى فى الثورة .

## ثلاث قوى فى الحكم

ولعل من الميسور إدراكه أن مصر فى تلك الفترة كانت محكومة بقوى ثلاث هى : الوزارة الرسمية ، ومجلس قيادة الثورة ، والمؤتمر المشترك المكون من الوزارة والمجلس . وليس يخفى أن كل جماعة من هذه الجماعات الثلاث ، كانت تتصور أن لها الحق فى اتخاذ القرار دون سواها . ويتمثل هذا المعنى ، كانت عيوب القيادة الجماعية أكثر من مميزاتهما . وقد تسألنى - حفظك الله - لِمَ لم تكتب استقالتك كما طلب عبد الناصر ؟ ولا اكتمك أننى كرهت أن أكون منحازا لطرف دون طرف . ولم أجد ما يسوغ لى الوقوف مع عبد الناصر ضد محمد نجيب ، ولا مع نجيب ضد عبد الناصر ، فأثرت اللياذ بالصمت فى هذه المعركة التى لا ناقة للوطن فيها ولا جمل .

وقد كشفت الأيام عن وجه الصواب فى عدم الانحياز لمعسكر دون معسكر ، لأن الجميع كانوا أخوة مبدا وزملاء كفاح ، وقد زادنى اقتناعا بموقفى هذا ما وقع بعد ذلك الخلاف الأليم من أحداث ، فى طبيعتها الاعتداء بالضررب على الدكتور السنهورى باشا ، ثم أعقب هذا الاعتداء اعتداء آخر ، أكلح وجها واسوأ نتيجة ذلك أن الرئيس نجيب أزمع أن يودع جلالة الملك سعود - الذى حضر إلى مصر من أجل المصالحة بين نجيب وزملائه من الضباط ، وفيما كان نجيب يصعد سلم الطائرة مع الملك ، لحق به ضابط معروف بسوء السلوك ، ودعاه إلى مصاحبته إلى أسفل السلم ، فلما أجابه فاجاه بلطمة شديدة على وجهه أفقدته الوعي ، ثم نقل بعد ذلك إلى منزله المتواضع بضاحية الزيتون ، وعلى فراشه ألفت وزارة جديدة وقد ظن الزملاء - أننذ - أن محمد نجيب إنما كان يريد السفر مع الملك لاجئا سياسيا ، وغير

ذى حاجة إلى بيان أن هذه الصورة من اللجوء تخرج مصر بثورة وحكومة وشعبا اعظم إخراج .

## إتصالات الإخوان والانجليز

لا ريب في أن هذه الصورة الشوهاء للحكم في مصر كانت مسرة للعدو على قدر ما كانت مساة للصدق ، فظن الشعب في مصر والناس في الخارج أن الثورة قد اهتزت ، وأنها تشرف على السقوط ، وعن هذا الوحي بدأت السياسة الاستعمارية تعمل بوسائلها الخفية على أن يلتقى مندوب عن الإخوان المسلمين بالمستر كروزيل المفوض بالسفارة البريطانية فذهب الأستاذ حسن العشماوى إلى منزل الوزير المفوض الانجليزى ببولاق الدكرور في الساعة السابعة صباحا يوم الأحد العاشر من يناير ١٩٥٤ وقد تكررت الزيارة ، فعاد الأستاذ العشماوى في اليوم نفسه إلى المنزل المذكور ، ودامت المقابلة من الساعة الرابعة بعد الظهر إلى الساعة الحادية عشرة . وليس هذا الغرض على دهاء السياسة وأساطين الاستعمار ببعيد ، وبهذا اللقاء بدأت مرحلة بين الإخوان المسلمين ، والثورة يهيمن عليها سوء الظن ، وتوجهها الكراهية بين الفريقين توجيهها لا يصل ناره إلا الوطن والمواطنون .

وقد كان من أسوأ مظاهر الاستغلال لهذا اللون الخبيث من التخطيط أن المتربصين بالثورة والحاquدين عليها ، راحوا يزعمون للناس - من غير ملل - أن هناك اتصالا بين الإخوان والانجليز ، وأن واسطة الاتصال بين الفريقين هو الحاج محمد سالم سالم صاحب النقل والهندسة ، وقلت لنفسى أن الإخوان المسلمين كانت دعوتهم تقوم منذ قامت على تطهير الأرض العربية والإسلامية من الاستعمار الذى لم يكن يزعه شيء كما يزعه ذلكم الهتاف « الله أكبر والله الحمد » يزلزل كيان الجبابرة في كل زمان ومكان ، واستبعدت أنا شخصيا كل هذه الاقاويل .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه المزاعم مهدت السبيل لمحاكمة الإخوان المسلمين ، محاكمة لا يذكرها الذاكرون إلا ليسخروا من بعض أعضاء المحكمة وهو يطلب من الشهيد الشيخ أحمد شريت العالم الأزهرى أن يقرأ سورة الفاتحة بالقلوب ، وهو على ما ترى طلب لا يتنطق به لسان عاقل ذى مروءة ودين .

وانتهز هذه السانحة لأذكر أمرين لا تستغنى عنهما هذه الملامح ، التى لا اشك في أنها ستظل على مدى الدهر مرجعا للتاريخ ، وذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

● أولهما : أن عبد الناصر طلب إلى ذات يوم أن اتصل بالأستاذ البهى

الخولى ، واذكر له أن المحكمة سوف تستدعيه للشهادة ، وإن أخبره عن الرئيس عبد الناصر أن يكون مطمئنا غاية الاطمئنان .

● وثانى الأمرين : أن عضوى المحكمة جمال سالم ، وأنور السادات قالوا لى : إن المحكمة قررت أن تستدعى كل من جاء اسمه فى المحكمة . وبناء على ذلك ستدعوك المحكمة للشهادة ، فقلت لهما : فى شئ من العتاب - إننى سأستجيب لدعوة المحكمة ، غير أننى أقرر لكما منذ الآن أننى سوف أسأل عن اسمى وعن وظيفتى جريا على العادة ، وسوف أذكر اسمى مقرونا بأننى وزير الأوقاف السابق ، وهذا قرار لن أنزل عنه مهما تكن الظروف ، ثم انكما تعلمان أننى كنت نائب المرشد العام للإخوان المسلمين فهل يليق بى أن أشهد على ابنائى ، على مسمع ومرأى من العالم العربى والإسلامى ، وهل يتصور أحدكما أن عبد الناصر يرضى لنفسه أن يشهد فى المحكمة على إخوانه من أبناء القوات المسلحة ؟ إن هذا - بلا ريب - ضعف فى الخلق ، وسوء فى الأدب ، ومدعاة لشماته العدو ، وثناء الصديق . وإننى لأذكر فى هذا المقام قول الشاعر الحكيم :

واكرم نفسى إننى إن أمنتها وحقق لم تكرم على أحد بعدى .

واذكر أننى انصرفت من هذا المجلس غير مسلم ، ولا مصافح ، وفى اليوم التالى طلبنى الرئيس عبد الناصر ، وقال لى : إنك تعلم أننا نعتبرك واحدا منا ، فإذا كنت ترى أن المصلحة فى عدم استجابتك للمحكمة ، فكل اخوانك معك لأنهم جميعا يطلبون المصلحة العامة ، ولهذا أرجو أن لا تغضب وأن تعتبر هذا الحادث كان لم يكن .

وبعد أن انتهت المحاكمة وصدرت الأحكام التى كانت تتسم بالقسوة ، ویتلقاها الناس بالاستنكار فى داخل مصر وخارجها جاء إلى مكتبى الضابط محمد عبد الرحمن نصير ، وانتحى بى جانبا ، ثم أخبرنى بأن المشير عامر قد اتفق مع عبد الناصر على أن تتبعك سيارة جيب للحراسة ، ذاهبا إلى حلوان أو عائدا منها إلى القاهرة فما رأيك ؟

فأجبت بآن مثلى لا يقبل هذا العرض ، ولذلك لا أجد مندوحة عن رفضه .

وقد كان يجلس معنا فى المكتب زميل ، فسألنى أن أخبره عن هذا الحديث السرى بينى وبين الضابط نصير ، فأجبت كصديق بما عرضه على الضابط نصير من أمر الحراسة ، وبأننى رفضت هذا العرض ، فجعل يلومنى ، ويسألنى عن السبب الذى من أجله رفضت الحراسة ، مع أن هذا العرض يعتبر لونا من التكریم . فقلت له : إن القوم يضيقون ذرعا بالإخوان ، وربما وسوس لبعضهم أحد الشياطين ، ويزين لهم أن يقتلونى ، ويتهموا الإخوان بقتل ، فيكونوا قد ضربوا عصفورين بحجر واحد .

وقد كان يجلس في مكتبي أحد الأصدقاء وهو المهندس أحمد عبده الشرباصي - وكان وزيرا للرى - فلما انصرف الضابط أبو نصير ، سألتني : ما هذا الحديث الطويل ؟ الذي فوت على موعدا مهما ؟

فقصصت عليه الخبر ، ثقة به ، وحرصا على معرفة رأيه ، فسألني عن الذي بعث إلى بتلك الرسالة مع الضابط المذكور ؟

فقلت له : إن الذي أرسله إلى هو المشير عبد الحكيم عامر ، الذي أمره أن يخبرني بأن الرئيس زعلان من كلماتي التي قلتها لجمال سالم ، وأتور السادات ، وهو يقول لي : إننا نعتبرك واحدا منا . فكان عليك أن تخبرنا بأن استدعاءك للشهادة في المحكمة ليس في مصلحة الثورة . وعند ذلك لا يطلب أحد منك هذا ، الذي أثارك وحملك على أن تقول ما قلت ، لأن الثقة بك كاملة ، وغيرتك على الثورة معلومة .

ولم يسع أخى وصديقي - بعد أن فرغت من الحديث - إلا أن يصوب رأى ويقرنى على تصرفي ، ولا شك في أن هذا الصديق ، روى عني ما أخبرته به في الخاصة ، أو مجالسه الرسمية ، إعجابا بصواب الرأي فيه .

## الجواسيس ينشطون

واعتقد أن الجواسيس انتهزوا هذه الفرصة ، فأخذوا ينشرون عني أنني أتهم رجال الثورة بالفدر ، والحرص على المباحة بيني ، وبين الإخوان المسلمين . وذات يوم جامنى الأستاذ البهي الخولي الذي كان مراقبا عاما للشئون الدينية في وزارة الأوقاف ، وفي حديث طويل بيني وبينه ، ذكر لي أن لفظ الجلالة الذي يعطو رأسى في المكتب ينبغي أن يتصدر الآية الكريمة : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . . الآية . .

وقد استدعى الشيخ البهي خطاطا من وزارة الأوقاف ، فأمرت أن يكتب الآية بخط جميل ، وأن يضعها في إطار أنيق ، ولا تزال هذه الآية إلى اليوم تعلو رأس كل من يجلس على كرسي وزارة الأوقاف . ومن أعجب العجب أن شياطين الجاسوسية قادرين على أن يتأولوا كل تصرف ، تأولا يرضى الراعى بقدر ما يسىء الى الرعية . وقد ذهب هؤلاء الجواسيس فيما بلغنى - يذكرون لرجال الثورة أنني بعد محاكمة الإخوان ، اعتبر الوزارة ظلمات أسأل الله أن يخرجني منها إلى النور .

## اتصال من صلاح نصر

وفي هذا الجو المفعم بسوء الظن ، جاعنى ذات يوم مدير مكتب الامن في الوزارة ، وذكر لى أن السيد صلاح نصر يريد أن يتحدث إلى ، ثم إذا بجرس التليفون يرن ، وكان هو المتحدث ، فذكر لى أن أحد الإخوان المسلمين في منطقة القناة ، يخطب الجمعة بلغة الإخوان وكلماتهم وأفكارهم ، وأن اسمه الشيخ الراوى ، وهو قريب الشيخ فرغلى وفيما الذى حكم عليه في محكمة الثورة بالإعدام ، فذكرت له أن الإخوان لم يعودوا يتحدثون بلغة الدعوة ، ولا يدعون الناس إلى الانتظام في سلك دعايتها .

ولكن الرجل قال لى في لغة الوثائق : إن مجرد القرابة بينه وبين الشيخ فرغلى وفا ، توحى بكل ما يتصل بدعوة الإخوان المسلمين .

فقلت له : إننى مرسل إلى تلك المنطقة بالشيخ البهى الخولى المراقب العام للشئون الدينية في وزارة الأوقاف ، وسوف يصلك رأيه واضحا ، وهو رجل موثوق ذو خلق ودين .

وقد رجوت الشيخ البهى أن يسافر إلى منطقة الاسماعيلية ، وأن يكتب رأيه فيما يرى على اننى سأبعث برأيه كما يكتبه إلى الرئيس عبد الناصر .

وقد سافر الرجل ثم حضر بعد أسبوع ، فأخبرنى بأن أكثر الذين يصلون مع الشيخ الراوى صلاة الجمعة هم رجال القوات المسلحة ، وأنهم جميعا مستريحون إلى سعة معارفه وحسن إلقائه ، وإن أخشى ما أخشاه أن تعلق الناس به قد يحملهم على الغضب له ، إذا نقلته الوزارة أو أسامت اليه .

فوافقت على وجهة نظره ، وأخبرته بأننى لم أعين الشيخ الراوى إلا بأذن من الرئيس عبد الناصر .

وقد أذكر أن وزارة الأوقاف كانت قد عقدت امتحان مسابقة للحاصلين على شهادة ازهرية عالية ، ودخل هذه المسابقة الشيخ الراوى وإخوة له كثيرون ، وقد نجحوا جميعا في الامتحان . ولم يكن يؤذن للوزير - لى وزير - أن يعين أحدا إلا بعد الرجوع إلى مكتب الامن في الوزارة ، وقد عارضى المكتب في تعيين هؤلاء الناجحين في المسابقة . وكانت هذه المعارضة مثار مشكلة تستعصى على الحل إلا في صورة واحدة : أن يعين هؤلاء الناجحون في وظائف ادارية في الوزارة ، ثم يندبون للعمل أئمة في المساجد ، ولم يكن هذا الحل مقبولا في رأى الناجحين الأكفاء ولا رأى مكتب الامن والمشرفين عليه . عند ذلك لم أجد بدا من استعمال حقى ، فالفيت قرار تعيينهم في الوظائف الادارية ، وعينتهم أئمة في وزارة الأوقاف ، لأننى رأيت في ذلك مصلحة

للثورة ، التى أخبرنى المشير عامر على لسان الرئيس عبد الناصر ان من حقى ان ابذل نصحى باعتبارى واحدا من رجالها ، او باعتبارى إماما للثورة ، كما كانوا يسبقون على هذا اللقب الكريم فى سائر الأحفال العامة فى مختلف أنحاء البلاد . ومع أننى لم أجد لتصرفى هذا موضعا للسخط فى أنفس رجال الثورة ، إلا أننى لم أشك فى أنه كان له أثر تضيق به الصدور - وبدأت المعركة بينى وبين صلاح نصر ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٥٨ .

ومهما يكن من أمر ، فقد نشبت الحرب بين مصر ، ودول العدوان الثلاثى .

وقد كانت هذه الحرب محنة يستعاذ بالله تعالى من شرها ، ولكن مشاركة الدول العربية لمصر فى تحمل تبعات الحرب جعلتها منحة يحمد الله - تعالى - على خيرها ، وقد أذكر أن وفدا من سورية الشقيقة قد جاء إلى مصر ، وحضر بعض جلسات مجلس الأمة ، تمهيدا للوحدة العربية التى تمت بين مصر وسوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨ .

وفى إحدى هذه الجلسات خطب السيد الأستاذ الدكتور معروف الدواليبى الذى كان من قبل رئيسا لوزراء سوريا ، وأذكر أنه قبل أن يخطب رغب إلى أن أتحدث عن سليمان الحلبي الطالب الأزهرى السورى الذى صرع الجنرال كليبر أحد قادة الحملة الفرنسية على مصر ، والذى يعتبر أحد الشهداء فى سبيل الوحدة العربية ، فذكرت فى حديثى أن سليمان الحلبي أول شهداء الدعوة إلى الوحدة العربية .

## فى وفد إلى السعودية

ومما لا ينبغي التغاضى عنه فى معرض هذا الحديث ، أن الرئيس عبد الناصر كان قد رغب فى ذلك الحين إلى الرئيس السورى شكرى القوتلى فى أن يرأس وفدا مصريا سوريا لزيارة جلالة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية الشقيقة . ولعله كان يقصد من ذلك إلى أن يعرف صدق الدعوة إلى الوحدة فى نفس الملك سعود ، وسائر أمراء البيت السعودى الكريم ، وكنت عضوا فى هذا الوفد ، وكان من أعضائه السيد صلاح البيطار وآخرون ، فاجتمعنا بالملك بقصره بجده ، وكان جلالة شديد الترحيب بالوفد ، ثم اختصنى بكلمة يحرض عليها دائما السعوديون فى لقائهم أهل العلم ، فقد قال لى جلالتة أول مالقىنى : أهلا يا شيخنا ، فرد السيد شكرى القوتلى : فجلالتكم إذن تعرفون الشيخ الباقورى وزير الأوقاف فى مصر ؟ .

فأجابه الملك سعود : نعم اعرفه جيدا ، وخاصة بعد أن سافرنا إلى القاهرة لإصلاح ذات البين بين الرئيس نجيب وإخوانه الضباط .

فقلت لجلالته وقد تفضلتم بدعوتي مع بعض المصريين إلى تناول العشاء على مائدة جلالته ، ويشرفنى أن اذكركم بأنكم كنتم تلاحظون أننى غير مقبل على الطعام ، فشجعتونى على الأكل وذكرت أن الجائع يأكل ما يقدم إليه من طعام .

فقلت لكم إن مؤاكلة الملوك شرف لا شبع .

وقد علق على هذه الكلمة الأستاذ فكرى أباطه ، تعليق أديب حلو الفكاهة ، جم الأدب ، بصيرا بما للكبار من حقوق لا ينبغي الإغضاء عنها ، ولا التهاون فى قضائها .

وفى مساء وصول الوفد المصرى السورى برئاسة السيد شكرى القوتلى إلى جده ، بعد اجتماعنا بجلالة الملك سعود فى قصره بجده دعينا إلى تناول العشاء مع الملك ، وسمو الأمير فيصل .

واستأنف الملك الحديث وقد تجلت فى قسما ت وجهه أمارات عتاب شديد ؛ فذكر السيد على خشبة الملحق العسكرى المصرى فى سفارة مصر قائلا ، إنه يجمع أسلحة كثيرة بطريق غير مشروع ، دون أن يكون لذلك سبب معقول . وقد إنضم إلى ذلك التصرف المريب من الملحق العسكرى ، تصرف أشد إرابة من المبعوثين المصريين إلى التعليم فى المعاهد والمدارس السعودية ، ذلك أن هؤلاء المبعوثين كانوا كثيرا ما يذكرون للطلاب أن النظام الجمهورى أقرب نظم الحكم إلى الإسلام ، ولولا أن الذى أخبرنى بهذا موضع ثقة ما كنت أصدق هذا الكلام ، لأن صلة المملكة بمصر صلة قوية ، واهتمامنا بشئونها اهتمام عظيم ، وخاصة بعد عقد معاهدة الضمان الجماعى فى جده سنة ١٩٥٦ فكونوا أنتم فى مكانى وأنا أرضى ما تحكمون به بصفتكم عربا مسلمين .

وقد انطلق شكرى القوتلى بصوته الجهورى بعد سماعه هذه الكلمات ، خطيبا فى مجلس محدود لا يهتم أسلوبا خطابيا ، ولكنه كان موفقا فى كل كلمة قالها ، ولاء للمملكة ورعاية لحرمتها ، وحرصا على تجنبها كل ما يسىء إلى الإسلام والمسلمين ، إذ كانت هى حامية الحرمين الشريفين ، وكانت الإساءة إليها إساءة إلى العروبة والإسلام فى كل مكان .

ثم لما أزمعنا العودة إلى القاهرة ، لم يكن لنا بد من توديع الملك واستئذانه فى السفر ، وقد شعرت وأنا أصافح جلالته أنه اقتنع بما سمع اقتناعا زادنى ثقة بالحكمة الماثورة ما خرج من القلب ، دخل إلى القلب ، وما جرى على اللسان لم يجاوز الأذان .

وفى القاهرة قابلت الرئيس عبد الناصر ، فأثنى خيرا على الملك سعود ، وذكرت

له عتبه الشديد ، وتأثره من تصرف بعض المعارين للتدريس في المملكة السعودية وكان أشد ما يكون عتبا على الملحق العسكرى المصرى هناك ، ومع ذلك لم يفته أن يحملنا تحياته إليك وإلى إخوانك ، متمنيا للأمة العربية مزيدا من التعاون المخلص لخير العروبة والعرب وعز الإسلام والمسلمين .

ومن أمانة التاريخ أن أدون هنا ما ذكره عبد الناصر لى في هذه المقابلة حيث قال : إن بعض إخوانك من العسكريين والمدنيين يتصرفون أحيانا برأيهم الخاص بتصرفات محرجة للثورة ، ثم يحملوننى تبعات تصرفاتهم : وهل تتصور أنت أن كمال حسين يطلب إلى مبعوثيه بتوصية منى أن يفضلوا النظام الجمهورى على النظام الملكى ؟ ثم هل تتصور أنت أننى أطلب إلى عبد الحكيم عامر أن يوصى ملاحقه العسكريين بالعمل على قلب نظام الحكم في بلاد يهتم بالأمن فيها أهل الإسلام في كل زمان ومكان ؟





### تدهور العلاقات مع عبد الناصر ... البداية كانت في سوريا

ولا ريب في أن زيارة الوفد المصرى السورى برياسة شكرى القوتلى كانت أولى الخطوات إلى تحقيق الوحدة العربية بين القطرين الشقيقين سوريا ومصر ، تمهيدا لوحدة عربية أشمل تنظم العراق وليبيا والسودان . وبهذا تقوم أول إمبراطورية عربية عرفها التاريخ ، وتلك كانت آمال عبد الناصر الذى عاش لها ومات في سبيلها .

ولما قامت الوحدة كان شعارها « أمة واحدة ذات رسالة خالدة » ، وفي أحد أيام فبراير سنة ١٩٥٨ م اتصل بى سامى شرف مدير مكتب عبد الناصر ، وأخبرنى أن الرئيس ينتظرنى أنا وكمال الدين حسين في قصر الضيافة في دمشق ، وسوف اصاحبكم في الطائرة إذا اذنتم بذلك .

وفي اليوم التالى لهذا الحديث كنا في دمشق ، وقد أعدوا لنا مكانا للمبيت في فندق أمية ، غير أن الرئيس قال : « أحسن تكونوا معنا في هذه الداخلية ، نتحدث معا ، ونتناقش في الأمور التى تحتاج إلى بيان ، فبقينا في قصر الضيافة ، وكان نصيبى سريرا في حجرة مع أنور السادات : الذى كان مغرما بكتابات جبران خليل جبران فيقرأ له تحت ضوء شديد لا يأذن لى بنوم مريح ، فإذا برق الفجر استيقظنا على هتافات تدوى كالرعد هاتفة بحياة الوحدة ، فلا نملك إلا أن ننزل إلى ساحة القصر لنستقبل مع عبد الناصر الوفود من سوريا ولبنان وشمال العراق ومن فلسطين ، فإذا انصرفت الوفود رجعنا إلى قاعة الطعام للإفطار فكنا حقيقة في دار الضيافة أشبه ما نكون بالطلاب في مدرسة داخلية .

ولست أنسى أن شكرى القوتلى جاء ذات يوم في الصباح الباكر ، وبعد حديث طويل بينه وبين عبد الناصر ، قال له على مسمع منى : « الله يعطيك العافية ويعينك يا أبو خالد وتقدر تتغلب على الخلافات المذهبية ، والتناقضات الكثيرة التى لا قدرة للإنسان عليها إلا بمعونة من الله وتوفيق ، وسوف ترى من التناقضات والخلافات أسوأ الصور الاجتماعية ، ففى هذا البلد ناس يدعون الألوهية مثل سليمان المرشد



□ مع الرئيس شكرى القوتلى ، إبان زيارة المؤلف لسوريا .

وأتباعه . وفيه ناس يؤمنون بحلول الذات الالهية فى البشر مثل النصيريين فى جبل العلويين . ومثل عباد الشيطان إتقاء لشره واستجلابا لرضاه على عابديه ، ومن هؤلاء الإمامية المعتدلون ، والاسماعيلية المنحرفون ، وهم من بقايا الفاطميين فى مصر ، فإذا تصورت هذه الصورة على هذا النحو ، فإنك تحمل عبئا فادحا لا يحتمله إلا من يلتزم الحكمة وينتقى البطانة ، مؤثرا العدل والانصاف على الميل والجور والاعتساف .

وقد كان الرجل مخلصا فى كل كلمة قالها ، إخلاصا يتجلى على غاية الوضوح فى نبرات صوته ، وليس يخفى على الذين يعلمون أن عبد الناصر كان يحسن الاستماع ، بمقدار ما يحسن الناصحون الكلام .

## تعيينى وزيراً مركزياً للأوقاف

وفى مساء ذلك اليوم دعانى عبد الناصر إلى حجرته الخاصة ، ثم تناول ورقة صغيرة وطلب إلى أن أسمع ما كتبه ، ثم قرأ على نبا تعيينى وزيراً مركزياً للأوقاف ، وتعيين كمال الدين حسين وزيراً مركزياً للتربية والتعليم .

وأذكر أنه رغب إلى أن استأجر داراً فسيحة فى دمشق ، وأن أجعل منها ندوة للمفكرين ، وأصحاب المذاهب المختلفة ، قائلاً : إنك قد سمعت ما قاله شكرى القوتلى ، فأخبرنى - بعد أن تفكر - عن أيسر الطرق للتقريب بين المتباعدين ، والتوفيق بين المختلفين .

وقد انتهزت هذه الفرصة السانحة ، فأخبرته أن أيسر الطرق لتوثيق عزى الوحدة ، يقتضيها التفكير فى أمرين :

اولهما : يتصل بتنمية موارد الثروة ، وفى هذا البلد الشقيق مساحات شاسعة من الأرض التى تمتاز بالخصوبة ، التى يقل أمثالها فى دنيا العرب ، وليس يعرف الناس مثيلاً للفلاح المصرى الذى يمتاز بحب الأرض واستخراج كنوزها ، وخاصة فلاح محافظة المنوفية ، الذى تضرب به الأمثال فى هذا المجال ، وليس يخفى عليك أنه من الممكن الميسور تجنيد الذين قضوا مدة الجندية فى الجيش المصرى ، وإلزامهم أن يقضوا مدة معينة فى تنمية موارد الثروة التى هى ملك للجمهورية العربية المتحدة ، بغير فرق بين المصريين والسوريين . وربما نشأ عن هذه الهجرة الاجبارية جيل جديد أبأؤه مصريون ، وأمهاته سوريات ، وهذا الجيل هو الذى يتولى حماية الوحدة ويستبقها شامخة المعالم خافقة الأعلام : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

وقد أجاب الرئيس على هذا الاقتراح قائلاً : إن هذا التزاوج بين المصريين والسوريات قد يأخذ الطريق على بناتنا فى مصر ، إذ كان الجندى المنوفى يؤثر السورية البيضاء على المصرية السمراء وبذلك ينقلب الخير شراً ، وتكون الوحدة موضع سخط الآباء والأمهات المصريين .

ولم أشأ أن أذكره - غفر الله له - بأن المستقبل بيد الله وحده ، ولعل فى الغيب المحجب ما يرمى بالعقم أصح المقدمات ، فتجئ نتائجها على خلاف ما يتوقع المفكرون . مهما كانت منزلتهم من القدرة على استخراج أوثق النتائج من أسلم المقدمات .

ثم من يدرى أن الأمور ستجرى على هذا النسق من اختيار الأزواج زوجاتهم على صفاء اللون ونقاء البشرة ؛ ولم لا يكون العكس صحيحاً أيضاً فيختار

السوريون - بعد الاندماج الوجدوى - زوجاتهم من بناتنا المصريات السمرارات ، على أن اختيار الزوج زوجته يستند إلى أمور شتى ، تسقط معها شدة العناية بالألوان ، فالعادات والتقاليد وذكرى ملاعب الصبا ومناشط الشباب ، كل أولئك له أبلغ الأثر في إقبال كل من الزوجين على صاحبه . وبملاحظة هذا المعنى البديهي ، يختفى الإشفاق على بناتنا المصريات ، من أن يصبحن عوانس لا أمل لهن في حياة سعيدة تقوم عليها أعمدة مجتمع صالح يخشاه العدو ، ويرجوه الصديق .

هذا . وثاني الطريقتين ، يقوم على تجانس الفكر وتوحيد منابع الثقافة ، وأيسر السبل إلى هذه الطريق ، إنشاء مجلس أعلى للشئون الإسلامية يتكون من علماء سوريا ومصر وأهل الرأي في العالم الاسلامى . على أن تنشأ لهم درجات مالية مرضية ، وعلى أن يأذن هؤلاء الاخوة السوريون لأولادهم بالسفر إلى القاهرة ، ومشاركة أبناء الأزهر فيما يتلقونه من علوم تعين على التقريب بين الأفكار المتباعدة والمذاهب المختلفة .

فإذا توافر هذان الأمران للجمهورية العربية المتحدة ، فقد امتهدت بين يديها السبل إلى الظفر بالمدينة الفاضلة التي كانت حلم الفارابى وأعز أمانيه .

ولئن كان قد تعثر إجبار الفلاح المصرى على الهجرة إلى سوريا والاقامة فيها ، والعمل على استخراج الكنوز من أرض الجزيرة الخصيبة ، فقد كان أمرا يسيرا أن يتخير وزراء الوحدة في سوريا أبناء كبار القوم وذوى العصبيات ليسافروا إلى القاهرة ، وقد حضروا فعلا وأمرت بإنزالهم في أحد الفنادق في شارع الأزهر حتى تسنح الفرصة لتدبير أماكن لاقامتهم واعداد مدرسين لتعليمهم وترويضهم على الاقامة في بلد لم يعرفوه ، ولم يألوا صور الحياة فيه .

غير أن سوء حظهم أو حظى معهم ، أننى تركت وزارة الاوقاف قبل أن اكمل ما كنت أحب أن أبلغه بهم مما يجعلهم أكفاء قادرين على تحقيق الغاية المرجوة منهم في العمل على رفع شعار القومية العربية ، التي لا وجود لها بغير الإسلام .

## السوريون والعروبة

ويسعدنى أن أنتهز بك هذه السانحة لأتحدث إليك عن سورية حديث مشاهدة وعيان ، وأول ما ينبغى التنبيه إليه في هذا الحديث ، أن القوم تشدهم إلى العروبة أصول عريقة ، ترى الاسلام تراثا عربيا لهذا العرق الشريف . وآية اعتزازهم بالعروبة ، أنهم تخيروا لعلمهم صورة تتألف من البياض والسواد والخضرة

والحمرة ، فذلك حيث يقول الشاعر العربي الأصيل :

بيض صنائعنا سود وقائعنا      خُضر مرابعنا حُمر مواضعنا

وهذه الصورة - بلا ريب - تنتظم الأخلاق العربية الشريفة إبان الجاهلية ، وليس يخفى على البصراء بقيمة الأخلاق العربية الجاهلية ، ما ذكره ثقات العلماء مرويا عن أمير المؤمنين عمر من قوله :

« إنى لأعلم متى تهلك العرب : إذا سافه من أدرك الجاهلية ، فلم يأخذ بأخلاقها . وسافه من أدركه الإسلام فلم يقذه الورع » .

فأمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - يوازن بين الأخلاق العربية الجاهلية ، وبين الأخلاق التى أمر الإسلام بها ، ولم يكن أمير المؤمنين ليقول هذه الكلمات الشريفة ، دون أن يكون لها فى تقديره سند كريم . ذلك أن رسول الله أشار إلى هذا المعنى بعد أن استمع إلى حوار بين وجوه العرب فى منى ، ثم قال - أخذا بيد أبى بكر - « أية أخلاق فى الجاهلية هذه الأخلاق ما أشرفها أنهم ليتحاجزون بها فيما بينهم وبها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض » .

ولهذا دهش السوريون أشد الدهشة لما فوجئوا بعلم الجمهورية العربية المتحدة مؤلفا من الألوان الثلاثة : الأسود والأبيض والأحمر ، وهى ألوان لا تدل على معنى يتعلق بالامة من ماضٍ تعترز به ، ولا من مستقبل تسعى له وتحرص عليه ، كما هو شأن أعلام الامم دائما فى الشرق وخذ لذلك مثلا علم المملكة السعودية ، يعلن إلى الانسانية عقيدة الدولة ، والمعنى الذى تتفياه ، فذلك هو « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وإن انت نظرت إلى أعلام الدول الغربية ، فإنك سترى أعلامها تشير إلى عقيدتها ، كما يظهر ذلك واضحا فى علم المملكة المتحدة البريطانية .

## شهر رمضان فى سوريا

كان خصوم الوحدة ينتهزون كل سائحة لتوهين الروابط بين الشعب وبين عبد الناصر ، وأية ذلك أن وجوه القوم من علماء الاسلام وأهل الفتوى ، كثيرا ما رغبوا فى أن يلقوا الرئيس دون أن يجابوا إلى ما يطلبون ، حتى قال قائلهم : إن الشيشكلي رفض أن يقابلهم ضيقا بهم ، وحرصا على ألا يكونوا مظهرا للدولة فى أعين الناس ؛ وليس ببعيد أن يكون عبد الناصر سائرا على طريق الشيشكلي ، بدليل أنه لم يأن لنا بمقابلته رغم رغبتنا الشديدة فى ذلك .

ولا ريب فى أن هذه الكلمات وأمثالها انتهت إلى سمع عبد الناصر ، فضاق بها

صدره ، ضيقا دعاه إلى أن يطلب إلى أن أقضى شهر رمضان ( سنة ١٩٥٨ ) في تلك البلاد الشقية ، لأدرس مشاعر الناس ، وأعرف ما يصلح الفاسد ويقوم المعوج ، ويوثق العرى بينه وبين مختلف طوائف الشعب .

وقد أمضيت شهر رمضان جوالا في سائر أنحاء البلد الشقي ، فزرت جبل العلويين ، وزرت اللاذقية ، ورأيت الحاجز الذي يفصل بين الحدود التركية ، والحدود السورية ، ثم سعدت أبلغ السعادة بزيارة جبل العرب الذي يقيم فيه الدروز ، ويحتل أعظم مكان فيه سلطان باشا الأطرش ، والشاعر العبقري رشيد سليم الخوري .

وقد كان الغرض من تلك الزيارات أن أعرف مواقع السخط في أنفس الشعب ، وأن أشاور الذين أثق بهم ، ويتقون بي في أيسر السبل إلى دعم قواعد الوحدة ، ودعوة الصفوة من العلماء والفضلاء وأهل الرأي إلى الوقوف مع الوحدة ، دفاعا عنها أو نصحا لها ، تأديبا بأدب رسول الله - ﷺ : « الدين النصيحة لله ، ولكتاب الله ، ولرسول الله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

وغير ذى حاجة إلى بيان ، إن الصلة بين الإخوان المسلمين من القوة بحيث تحمل الواحد منهم على أن يسعى لمقابلة أخيه والسعادة بالاجتماع به ، والحديث إليه ، وقد كان إخوان سورية من أشد الناس تعلقا بإخوانهم في القاهرة ، وبذلهم معونات كثيرة لهم في أثناء المحنتين التي امتحن بهما الإخوان المسلمين في عهد إبراهيم عبد الهادي ، وعهد جمال عبد الناصر ، ولذلك كانوا ينتهزون كل سائحة للاجتماع بي والإلتفاف حولى ، ومناقشة أمر الدعوة ومدى استعداد رجال الثورة للمضى في طريقها .

وقد كان في مقدمة هؤلاء الدكتور مصطفى السباعي ، الذي تخرج من كلية الشريعة بالأزهر الشريف ، والذي لا يجهل قدره في الدفاع عن السنة أحد من أهل العلم ، وكذلك الأخ عمر بهاء الأميرى ، الذي كان يعد أحد شعراء الإخوان ، وكما كان هؤلاء الأخوة يحرصون على الاجتماع بي ، كنت أحرص على دعوتهم إلى مآدب الافطار في رمضان ، التي كان عبد الناصر قد أوصانى بها قبل عودته إلى القاهرة .

على أننى لم أشأ أن ينحصر اهتمامى في إطعام الطعام في رمضان ، فرأيت أن أدعو الشيخ مصطفى اسماعيل للحضور إلى سورية وتلاوة القرآن الكريم في مساجد دمشق وحلب وحمص وحماة ، وقد كان لسهرات الشيخ مصطفى اسماعيل أعمق الآثار في أنفس السوريين الذين كانوا يقدون من كل مكان إلى كل مسجد يقرأ فيه الشيخ مصطفى اسماعيل . وكما كنت أدعو العلماء ووجوه القوم وأهل الرأي إلى مآدب رمضان ، كنت استجيب لدعواتهم كلما امتهدت إلى إجابة الدعوة سبيل .



□ في بيروت : في حوار مع رشيد كرامي .

ولست أنسى أخى العالم الأزهرى الشيخ عبد الستار السيد مفتى طرطوس في ذلك الوقت ، والذى صار فيما بعد وزيرا للأوقاف في سوريا ، فقد كان شديد التحمس للوحدة ولدعوة الإخوان .

وذات يوم دعانا إلى مأدبة إفطار في منزله الشيخ أبو اليسر عابدين مفتى المفاتي في القطر السوري وكان طبييا يحمل شهادة في الطب من فرنسا . كما كان عالما بالفقه ، الذى تلقاه عن أجداده في فقه السادة الأحناف ، وكان بين المدعويين كثير من أهل - الفتوى - منهم - على ما أذكر مفتى حمّاه الذى كان يمتاز - مع علمه وورعه - بالملحة الذكية والنادرة المرحّة ، وآية ذلك أننا حين فرغنا من تناول الطعام في منزل مفتى المفاتي ، بدأ مفتى حمّاه يدعو لصاحب الدار بالدعاء المأثور عن أسلافنا الصالحين ، فراح يقول « أكل طعامكم الأبرار ، وأفطر عندكم الصائمون ، وصلت عليكم الملائكة ما عدا جبريل » .



وكان هذا الاستثناء موضعاً للسؤال لماذا يا فضيلة المفتى تستثنى جببريل ؟  
فأجاب الشيخ بروحه المرحه قائلاً : « لأن المأدبة خلت من القطائف  
العصافيري » .

وبهذه النادرة إنصرف القوم شاكرين ، مستمتعين بحسن الصحبة وشهى  
الطعام .

وحق على أن أذكر بالثناء الطيب أخى الأستاذ يوسف مزاحم الذى كان شديد  
الاعتزاز بالوحدة ، بقدر ما كان شديد الدفاع عنها ، والدعوة إلى مناصرتها ، فى منطق  
قوى ، وحجة بالغة وغيره لا يجليها بيان . وقد كان الرجل أنثذ محافظاً لدير الزور ،  
وكانت داره أول دار استقبلتنا فى رمضان خارج مدينة دمشق .

## وشايات جديدة

قضيت شهر رمضان فى تلك البلاد الشقيقة سوريا ملتزماً ، ما كان قد أوصانى  
به الرئيس عبد الناصر من عقد الندوات ، وإقامة المآدب . وقد أحاط بى إخوان  
سوريا ، فلا نكاد نفترق فى ليل أو نهار .

ويبدو أن المرجفين من ناشرى الشائعات قد رفعوا هذه الصورة إلى الرئيس  
عبد الناصر ، يشيرون بها إلى أن علاقتى بالإخوان لا تزال قوية فى كل مكان أرحل  
إليه . والجاسوس لا يعنيه شئ بقدر ما يعنيه أن يفسد العلائق بين الناس .

ولست استبعد أنهم كتبوا تقاريراتهم يستوحون فيها الهوى ، لأنهم لا يقصدون  
شيئاً أنفع لهم ، ولا أعز عليهم من أن يثيروا القلاقل ، ويوقظوا الفتن .

ولعلمهم رأوا أن العلائق الطيبة بين عبد الناصر وبينى ، قد تحرمهم خيراً  
يرجونه ، أو توقعهم فى شر يتجنبونه ، ولذلك عملوا جاهدين على أن يتأولوا كل كلمة  
أقولها ، وكل تصرف أمضيه فى وزارة الأوقاف ، فلا يرون باباً يفضى بهم إلى شب نار  
الفتنة إلا فتحوه ، ولا طريقاً إلى إيفار الصدور إلا سلكوه .

وليس يفوتنى أن أقدر هنا أن أهل سورية كانوا يرون التعبيرات الموهلة فى  
الغلو ، أقدر على تجلية مشاعرهم فى الرضا والغضب ، والمدح والهجاء وأية ذلك كلمة  
قالها عين من أعيانهم فى بعض مجالسهم ، وقد كنا نزلنا فى ضيافته ونحن نزرع  
الأرض السورية ونزود المدائن والقرى فى تلك البلاد .

فقد قال ذلك السيد فى صباح يوم من تلكم الأيام : « إن جمال عبد الناصر قد

جمع كلمة العرب ، التى لم يستطع أن يجمعها النبى العريبى محمدا « . وتلك كلمة لا يقولها إلا حاقد موتور ، أو جاسوس غبى مأجور .

ولم يكن لى بد من كلمة تدافع الكلمة الحمقاء التى آلت الجالسين أشد إيلام ، فقلت : إن جمال عبد الناصر لا يقاس بمحمد ولا بأحد من أصحاب محمد ، وإنه ليشرفه أعظم تشريف أن يكون خادما فى بيت محمد رسول الله - ﷺ - وأما أنت يا صاحب الكلمة ، فاستغفر الله وتب إليه ، ثم حاول أن تلتمس - بمعونة العلماء - هل بقى لك مكان بين المسلمين .

ومهما يكن عبد الناصر معتزا بمصر حريصا على إسعاد مواطنيه ، فإنه كان أشد إعترازا بجاه الحكم ، وأبين حرصا على استبقاء السلطان . وقد كان هذا الحرص داعية له إلى تقريب كل من يبذل له نصيحة تستبقى له الزعامة فى الجمهورية العربية المتحدة ، أو تروى ظمأه إلى ضم أقطار أخرى ، مهما تكن هذه النصائح أو المشورات منطقية على شر مستطير لا تكشف إلا لأقل القليل من الناس . ولقد أذكر أن من شر ما منيت به الجمهورية العربية المتحدة ، ذلكم النشيد المشنوم الذى لا أشك فى أنه وضع لغرض أثيم ، يتحرى إغضاب الملوك والرؤساء والشيوخ والأمراء ، فإذا أعداء عبد الناصر هم الشعوب وأمرأؤها . وليس يعجزك أن تسلم بهذا المعنى ، إذا قرأت هذا النشيد الذى راح يردده الغوغاء بتحريض من الأعداء ، وهو قولهم :

من المحيط الهادر      إلى الخليج الثائر  
ليبك عبد الناصر

## دعامتين للثورة

وليس يرتاب الذين يؤرخون لهذه الثورة فى أنها كانت كسائر الثورات ، تستند إلى امرين : أحدهما التوسع فى نشر الجاسوسية وثانيهما اصطناع أنصار يستغلون صلاتهم بالثوار .

فأما التوسع فى نشر الجاسوسية ، فقد اقترن فى أذهان الناس بأنه كلما استطاع الجاسوس أن ينصب شركا لأحد خصوم الثورة ، كان أولى بالرعاية والثقة به . وكان بعض هؤلاء يصطنعون فى كل بيت ، وكل مكتب أصدقاء لهم يأتونهم بأخبار - صادقة أو كاذبة - لقاء أجر معلوم ، وقد نشأ عن ذلك أن أصبح الولد يتجسس على ابنه ، والجميع ينتظرون من الدولة حسن المثوبة وجزل العطاء - فى منصب يسند إليهم أو مغنم يدر عليهم أخلاف الرزق الواسع .

ولا ريب في أن طلب المنفعة جزء من طبيعة الإنسان ، فكلما لاحت لأحد هؤلاء فرصة افترصها زاعما لذوى قرباه وذوى بعدهاء أنه موضع ثقة الدولة ، وأحد المتصرفين في شئونها ، والقادرين على أن ينتفعوا أو يضروا . ومن ذلك انقلب المجتمع كله ، مجتمع مستغلين تجار ، على حين أن الدولة تحتاج - أبين حاجة - إلى مواطنين أحرار ، وذلك هو المعنى الذى أشار إليه حديث رسول الله - ﷺ - « إذا ابتغى الإمام الريبة في الناس ، أفسدهم » .

## اصطناع المتمردين .

ومما أساء إلى الشعب المصرى إساءة بالغة ، اصطناع المتمردين الذين يقومون في بلادهم بانقلابات عسكرية ، يزعمون أنهم يأثمون فيها بثورة مصر ، فإذا نجوا ظفروا بحكم شعوبهم ، وإذا أخفقوا جاعوا إلى مصر وعاشوا في رعايتها مع أسرهم ، فحملوا الشعب مالا قدرة له على احتماله .

وهذه الاساءة تتجلى على أوضح صورها في إيواء أسر كثيرة ، وعلى رأس هذه الأسر أسرة كل من : نكروما نائر غانا ، ولومومبا نائر الكونغو مع حاشيتهما الضخمة .

والذين عاصروا هذه الاحداث يعلمون - يقينا - أن مصر خسرت بهذا التصرف السياسى ثقة الشعب المصرى في الداخل ، لأن المال الذى كان ينفق على أولئك المتمردين وعلى شعوبهم ، هو مال الشعب وهو أحق به من كل وافد عليه لا يترتب على وجوده وحمايته في نظر الشعب مصلحة من قريب أو بعيد .

وقد انضم إلى هذه الخسائر المالية خسارة سياسية ، جعلت الأمراء في الخارج يتهمون مصر وحكومتها بأنها مسعرة فتنة وداعية بلبلية واضطراب ، تستميل كل مغامر في أفريقيا وآسيا يريد التسلط على شعبه ، والعبث بمقادير أمته ، سعيًا وراء جاه حكم ، وهو مطمئن إلى غاية تمرده أعظم الاطمئنان ، لأنه إن نجح ظفر بثمرات الحكم في بلاده ، وإن أخفق عاش مكرما في حماية الحكومة المصرية التى كانت ترحب بالانقلابات ، وتمهد للقائمين بها طريق السعادة في الحاضر ، والاطمئنان إلى المستقبل .

ومما ضاعف شعور الشعب المصرى بالألم ، أن رئيس الجمهورية كان قد اهدى إلى زوجة نكروما بعض الحلى والجواهر الثمينة للأسرة المالكة المخلوعة .

ولو أن هذا التصرف من الرئيس كان قد استند إلى الطريق الدستورى ، لكان

تصرفا مقبولا لا غبار عليه ، لأن كل ما يتصل بالأسرة المالكة ، أصبح بعد الثورة ملكا للشعب ، في هذا الإهداء .

وقد أذكر أن الأمم العريقة في نظم الحكم كانت شديدة الاعتزاز بالابقاء على كل ما يتصل بالأسرة الحاكمة ، ولقد ذكرت في صفحات سابقة أنني حينما زرت الصين عام ١٩٥٥ ، رغبت إلى رئيس الحكومة أن أورد قصور المخلوعين من الأباطرة ، فإذا كل شيء باق على حاله دون أن يمسه تغيير أو تبديل ، إذ كان القوم هناك يرون في هذا المظهر ما يجعله متحفا للشعب ، تنتفع به مصلحة الآثار عن طريق زيارة الصينيين والوافدين عليها من الخارج ، مع أن شجرة الزمرد و « الجاد » التي كانت موجودة في هذا القصر كانت تقارب المتر أو أكثر علوا وكانت فروعها تحمل ثمارا مصوغة من الأحجار الكريمة حتى لقد أخبرني مرافقي في هذه الزيارات بأن الوزارة استقدمت خبراء لتأمين هذه الشجرة ، فاتفقت كلمتهم على أنها لا تقوم بمال .

ثم لما اشرفت زيارتي لسورية على نهايتها ، زرت جزيرة في البحر تواجه طرطوس ، وكان أهل هذه الجزيرة يعتزون بتاريخها من حيث كانت منفى للأحرار ، الذين كانوا يقاومون طغيان الظلمة من سياسة الأتراك . وكان في مقدمة أولئك الأحرار السيد عبد الحميد كرامي والد السيد رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية السابق رحمه الله .

وأذكر أنني بلغت القاهرة أول أيام عيد الفطر المبارك . ولم يكن بد من أن ألقى الرئيس عبد الناصر لأذكر له نتائج ما كان قد أوصاني به من زيارة البلدان ، وإقامة المأدب في دمشق ، وعقد الندوات طوال شهر رمضان .

وقد كان الرجل حريصا على أن يعرف كل شيء عن الوحدة ، خيرا كان أو شرا . ولم يكن رجال مخابراته ليغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا ليرفعوها إليه ، ومن أجل ذلك تصورت أن كل معنى أقوله له ، لابد أن أكون قد سبقت إليه ، ولكنني رأيت من الحق على أن أذكر له ما فيه صلاح الوحدة والاتحاد ، فأجمعت أن أوثر الحق على كل ما أثير سواه .

وقد ظل حرصى على الندوات العلمية يدعونى إلى عقد ندوة في داري ، أو إلى السعى إلى شهود ندوة من تلك الندوات التي كانت تذكرنا بندوة الأستاذ عباس العقاد .

وقد كان من بين تلك الندوات ندوة يجتمع فيها الحراس على المعارف والعلوم ، وخاصة ما يتعلق فيها بتفسير القرآن العظيم وما يتعلق به من مباحث اللغة العربية الشريفة ، وكان يصحبنا في هذه الندوة أفاضل من أرباب الأقلام ، وأهل البصر بشئون السياسة وشئون الدين ، ومنهم الدكتور ناصر الدين الأسد ، والسيد

الفاضل عبد الله القل قائد معركة القدس الشريف ، والاستاذ يحيى حقى وكنا كثيرا ما نجتمع بين متعتين : المتعة بطيب الطعام ، والمتعة بشريف الكلام . وكان ربما صحبنا في هذا المجلس أحد أصهار محمود شاكر واسمه محمود عفت ، وهو مهندس زراعى كان يدين بالولاء لاستاذ انجليزى كثيرا ما يقيم أمدا طويلا في الصحراء الغربية . وكان المهندس محمود عفت هذا حريصا على أن يزور استاذنا حينما بعد حين ، حتى ظن رجال المخابرات المصرية أن ثمة صلة تخاير بين المهندس محمود عفت ، والاستاذ الانجليزى الرابض في الصحراء ، ولذلك اعتقلوا السيد عفت ، واستودعوه معسكر مصطفى باشا في الاسكندرية ، وهناك عومل بما يستحق .

وقد طلب إلى محمود شاكر أن اكلم الرئيس عبد الناصر في العفو عن المهندس عفت وإطلاق سراحه .

وقد رأيت من الحق على أن استجيب لهذه الرغبة ، وأن اشفع للرجل إلى الرئيس ، غير أن كبار المناصب يرون حسن الظن ورطة ، على مقدار ما يرون سوء الظن عصمة . وأغلب الظن أن عبد الناصر رأى في تصرفي هذا ما يجعلنى موافقا على تصرفات بعض الإخوان المسلمين في صلتهم بالانجليز .

ولم يكن لمثلى - في شدة حرصه على مجاملة الناس - أن يمتنع عن السعى لإغاثة ملهوف ، أو العمل على طمأنة حيران ، بدليل أن الندوة مجتمعة رغبوا إلى - ذات يوم - في أن اعمل على إنقاذ الاستاذ يحيى حقى من إخراجه في حركة التطهير ، التي كانت تتغيا تطهير السلك الدبلوماسى من كل ذى زوجة غير مصرية ، وكان يحيى حقى سفيرا لمصر في ليبيا يومئذ .

واذكر أنني ذهبت إلى وزارة الخارجية لمقابلة اخي المفضل الاستاذ الدكتور محمود فوزى ، ورجوته أن يستثنى يحيى حقى من هذا القانون . فأجابنى الرجل - رحمه الله - بأنه لا يعدنى بالاستثناء ، ولكنه يعدنى بأن ينقل يحيى حقى من السلك الدبلوماسى إلى عمل يليق به في الوزارات التي تحتاج إلى علمه .

وقد نفذ الدكتور محمود فوزى وعده ، ونقل يحيى حقى إلى وزارة الثقافة ، ثم نقل إلى عمل في وزارة الثقافة لا يناسب كفايته في سعة علمه وقدرته على صياغة القصص ، التي يعتبرها التربويون وسيلة إلى تربية الامم ورفع خسيصة الشعوب .

## سبب عبد الناصر في ندوة

وذاث يوم اجتمعنا في الندوة في دار محمود شاكر ، ورن جرس التليفون وإذا المتكلم هو يحيى حقى ، وكان يشكر إليه أنه نقل إلى عمل لا يناسبه . فقال محمود

شاكر في حماسة عمياء ، وما حيلتي يا أخ يحيى في هؤلاء العساكر الذين يحكمون البلد ، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ابن ( الـ . . ) وكانت كلمة مع الأسف تستوجب إقامة حد القذف لو كان القانون يأخذ بالتشريع الإسلامى .

ومما تكمل به صورة هذا الموقف الأليم ، أن العمارة التى كان يسكنها محمود شاكر في الدور الثالث ، كان الدور الأرضى فيها قد خلا من قاطنيه وسكنه أحد رجال المخابرات . ولست أدري إلى الآن أكان هذا يعلم ، أو بالاتفاق مع الأستاذ محمود شاكر - أم كانت مصادفة - وكان ضابط المخابرات عنده طبعاً كل أجهزة التسجيل فكان يسجل كل كلمة ينطق بها ناطق في هذه الندوة العلمية ، التى كانت مهوى الأفئدة لكثير من طلاب المعرفة من شتى شعوب أمتنا العربية الإسلامية .

و ذات يوم بعد أن انتهى المجلس في ندوة محمود شاكر هبطت السلم لأخذ سيارتى ، فإذا هى خالية تماماً من الاشارات الضوئية ، وكان ذلك أمراً مقصوداً - بلاريب - وقد غرم السواق المسكين ثمن الفانوس الخلفى الذى لم يكن بالقدر اليسير - فما هذا التدبير الصغير ؟ إنه بلا شك تدبير حقود !!

## شواين لاي . . حامى الإسلام !!

دعى مجلس الوزراء إلى الاعتقاد في قصر القبة ، وفيما نحن مجتمعون نناقش الأمور بروح الإخاء والمودة ، إذا بالرئيس عبد الناصر يتجه إلى على صبرى مدير مكتبه ، ثم يقول له ساخراً هو شواين لاي كان بيقول في مؤتمر باندونج إنه حامى الإسلام ؟ فأجابه على صبرى بأن الصين دولة لا صلة لها بالدين .

وقد كانت عبارة عبد الناصر إلى على صبرى تشير إلى أننى كنت كثيراً ما أستقبل وفود الصين في وزارة الأوقاف ، وكنت كثيراً ما أدعى إلى سفارتهم ، لأننى كنت رئيساً لجمعية الصداقة المصرية الصينية ، كما كان كثير من الوزراء رؤساء لجمعيات صداقة بين مصر وكثير من الاقطار التى فيها مسلمون ، أو التى بين مصر وبينها مصالح متبادلة ، فقد كان فتحى رضوان رئيساً لجمعية الصداقة المصرية الألبانية ، وكان خالد محيى الدين رئيساً لجمعية الصداقة المصرية الروسية ، وكانت هذه الألوان من الصداقات مصلحة لمصر والعرب ، وكانت بتوجيه من الدولة . ومنذ تلك الليلة أحسست أن تم تدبيراً حقوداً يوشك أن يأخذ طريقه إلى وضع جديد بالنسبة لى شخصياً .

## حقيقة حادث المنشية

وقد فاتنى أن أدون في هذه الصحائف ما لا بد من تدوينه ، إحقاقاً للحق



□ المؤلف مع السادات في طريقهما إلى فندق سيسل بالاسكندرية عقب حادث المنشية حيث القى الباقورى خطبته الشهيرة .

وابطالا للباطل ، وإنصافا للتاريخ الذى تومىء إليه هذه الملامح من الذكريات . وهذا الذى فاتنى ، يتصل بأمر اطلاق الرصاص على عبد الناصر فى ميدان المنشية بمدينة الاسكندرية .

وجملة ما أقرره فى هذا الأمر ، أن الثورة كانت قد دعت إلى حفل يقام فى مدينة الاسكندرية ابتهاجا بجلاء الاستعمار عن مواقعه فى الأرض المصرية الأبية ، فقد كانت هناك آراء ترى أن الجلاء ناقص لا يستحق الاحتفال به وقد كان هذا رأى بعض الوزراء فكان يقول : شىء من لا شىء .

وقد كانت هذه الكلمة تغضب الرئيس عبد الناصر ، غضبا ربما حمله على أن يعتبر هذه الكلمة إهانة موجهة إليه فى زعامته ، أو أمانته على الامانى القومية .

وقد كنت فى تلك الحقبة الازم فراشى بأمر الأطباء فى حلوان ، فلما وصلتنى الدعوة إلى الاحتفال المطلوب بلغنى - فيما بلغنى - أن الناس يزعمون أننى مريض حتى لا أشهد ذلك الاحتفال . ولكننى - إئتقاء لحدوث أى شىء أولسوء الأحداث -

رأيت أن أسافر إلى الاسكندرية مهما يكن السفر شاقا والصحة معتلة ، وعلى حين فجأة جاء لزيارتي في حلوان الرئيس عبد الناصر ، والمشير عامر ، وصلاح سالم ، وطلبوا إلى أن أصحابهم في ذلك الاحتفال ، لأن عدم وجودي فيه قد يسر العدو ، ويسوء الصديق .

وقد دعاني الرئيس عبد الناصر لمصاحبته في سيارته مع المشير عامر ، وقد قضينا ليلة أوليلتين في استراحة الوزراء التي كانت مفرلا للامير يوسف كمال على شاطئ استانلي باي برمل الاسكندرية . ثم لما دنا موعد الاحتفال ، ذهبنا إلى ميدان المنشية ، وجلسنا في شرفة الدار المستأجرة مقرا لهيئة التحرير في الاسكندرية ، وقد كان يجلس في الشرفة الاخ ميرغني حمزة وزير الزراعة السوداني ، وعلى مسافة قصيرة كان يجلس الحاج عبد الناصر والد الرئيس ، وإلى جانبه المشير عامر . وقد جاء إلى صلاح سالم ، وأسر إلى كلمة لم أفهم لها معنى ذلك أنه قال : أنا سوف أخطب في هذه الليلة وسأقدم الرئيس عبد الناصر ليخطب ، ولكنني لابد أن أستم الاخوان المسلمين ، وأذكر للناس عيوبهم الكثيرة التي لا يعرفها غيري .

فقلت له : اتق الله يا صلاح ، وانت رجل ثائر ، فعليك تبعة عملك في القول أو السلوك .

ولم أكن أتصور أن ميدان المنشية يتسع لهذه الالوف ، الذين جىء بهم من كل مكان .

ثم قام عبد الناصر يخطب وبدأ - كعادته - يذكر بالثورة ، وما ناله الشعب على يدها من العزة والكرامة ، والحرية والاستقلال ، وقد كان يرتدى قميصا استقر في جيبه العلوي قلم أحمر ، وما أن بدأ يتكلم حتى انطلقت رصاصات أصابت أحداها سكرتير هيئة التحرير في الاسكندرية ، فنقل بعدها إلى مستشفى المواساة لانقاذه واستخراج الرصاصة من بطنه .

وقد وُلد احتكاك القلم الأحمر بجيب القميص بقعة حمراء تخيل لمن يراها أنها بقعة دم نشأت عن إصابة الرئيس .

وقد رأيت والد عبد الناصر يقوم على قدميه ثم يسقط إلى الأرض ، وهو يستمع إلى ابنه صارخا ، وهو يقول : إن قتلت ، فقد قتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، ولكنني إذا قتلت ، يجب أن يتذكر المواطنون أنني منحتهم الحرية والعزة والكرامة ...

وإثناء هذا الصراخ ، رأيت من واجبي أن أقوم ، وأن اعتنق الرجل لتهدئته ، وهو يقول : سيبنى يا شيخ أحمد سيبنى يا عبد الحكيم ، فقد كنا أنا وعبد الحكيم



نقوم إلى جانبه حتى لا يستبد به اليأس ، ويسقط على الأرض مغشيا عليه ، ولكن الله سلم .. إنه عليم بذات الصدور .

ولست في حاجة إلى بيان أن حادث إطلاق الرصاص ، مهد سبيلا إلى تشديد الخناق على الإخوان المسلمين ومضاعفة العقوبة لهم ، ومهما كانت زعامة عبد الناصر قد ضعفت في أنفس الشعب ، وفي كل من لمصر به صلة ، فإن الزعم بأن هذه الحادثة مدبرة ، لا يقول به إلا أحد رجلين : أن يكون هو نفسه شريكا في تدبير الاعتداء أو أن يكون من الذين يحرصون على أن يقذفوا بالغيب من مكان بعيد .

وإلا فإن مما جرت به الشائعات في كل مكان ، أن الدليل على تدبير الحادث ، خطبة ارتجلها وزير الأوقاف - الذي هو أنا - في حفلة المحامين في فندق سيسيل في نفس الليلة التي وقع فيها الحادث ، وقد قال كلاما لا يصدر عن ارتجال ، ولكنه يصدر عن أعداد وتنقيح ، وراع هؤلاء السادة أن تلك الخطبة انتظمت بيتين من الشعر أشاروا كثيرا إليهما مع أن هذين البيتين لا يجهلها أحد من طلاب التخصص فيه ، وهما :

تمناني ليلقاني أبى ودت وأينما منى وداى  
أريد حياته ويريد قتلى غدريك من خليلك من مرادى

والذى يعرفه الناس عن الإخوان المسلمين ، أنهم لا يدعون فاتكا بهم ، أو ناصبا نفسه لمعاداتهم ، حتى يأخذوا بثأرهم منه ، وعلى هذه الطريقة ساروا ، فأطلقوا عليه الرصاص في ميدان المنشية وهو يخطب الحشد الحاشد في الميدان .

وقد يكون هذا الجانى من الذين تخرجوا من مدرسة الإخوان المسلمين ، وقد يكون مغررا به رجاء ثواب أو خوف عقاب . ومهما يكن الأمر ، فإن هذه الطلقات ، مهدت السبيل إلى مزيد من تعذيب الإخوان تعذيبا لا يصبر عليه إلا الصابرون .

وأيا ما كان الأمر ، فإننى أعتقد - عن يقين - أن كثيرا مما أصيب به الإخوان من تعذيب وتنكيل ، إنما كان من أجل تجاهلهم أدب رسول الله في الحديث الشريف : « لا تتمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموه ، فاثبتوا » .

## تخلف عبد الناصر عن حفل قران ابنتى

أحب أن الفت الحراس على دقائق التاريخ إلى أن تخلف الرئيس عبد الناصر عن شهود حفل عقد قران ابنتى ليل ، كان موضع حديث الناس في كل مكان ، وقد

حمل كثيرا من اصدقائي في داخل مصر وخارجها على أن يجيئوا إلى ليسالوني عن السر في هذا التصرف غير المفهوم !

وقد صحب هذا التصرف في نفسى موجة من الأسف أو الغضب أو الندم على موقفى من عبد الناصر ، ودفاعى عنه في كل مكان من المحيط الهادى شرقا إلى المحيط الاطلسى غربا ، ومن البحر الأبيض شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا .

كان من شأن هذه الالوان من الاسى والاسف أن تلزمنى الفراش ، فجعل زملائى من الوزراء يزوروننى كثيرا في منزلى في مصر الجديدة غير أن السيد احمد حسنى وزير العدل - آنئذ - جاءنى صباح يوم الثلاثاء العاشر من فبراير سنة ١٩٥٩ وفيما كنا نتحدث حول شئون الوطن العامة ، رن جرس التليفون ، فإذا المتحدث هو السيد محمد احمد مدير مكتب رئيس الجمهورية ، وقد أخبرنى بأن الرئيس يحب أن يقابلنى في منزله الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه ، وبعد فترة قصيرة لا تجاوز خمس دقائق ، اتصل بى مرة ثانية ، وقال أرجو أن لا تتأخر عن الموعد ، وأن يكون حضورك في الساعة الثامنة بالضبط . ومع تكرار رنين التليفون سألنى زميلى وزير العدل عن السبب في هذا الالاحاح ، فأجبتة بأن الرئيس يريد مقابلتى في تمام الساعة الثامنة مساء فصمت قليلا ، ثم قال : رأى أن لا تذهب ، وعذرك واضح لأنك مريض ملازم للفراش .

ولم أستطع أن التمس لهذه النصيحة وجهها صحيحا ، فأمسكت عن القول ، وانصرف الرجل عن المجلس في انتظار أخبار ربما كان يعلمها من قبل ، لأنه كان صديقا حميما لعبد الحكيم عامر .

وفى الموعد المحدد ذهبت لمقابلة الرئيس ، فوجدت في مدخل منزله ابنه عبد الحميد ، وعبد الحكيم ، وقد كنت تعودت من قبل أن اداعبهما اكراما لهما اولوالديهما فيهما ، ودخلت المكتب وبعد فترة قصيرة جاء عبد الناصر وصافحته كما هى العادة ، وبعد فترة صمت طويل بدأ الحديث فقال مبروك زواج ليلى ، فأجبتة ، ولكن هذه البركة كانت ناقصة لعدم حضورك بعد أن كان الحرس الجمهورى قد انتشر في حديقة منزلى ، وفى الحقائق المجاورة منذ الصباح الباكر ، فلما جاء الميعاد انتظر المدعوون جميعا حضورك كما تعودت ذلك مع كل الزملاء ، فلما لم تحضر دهش المدعوون دهشة حملتهم على الانصراف أسفين .

فقال لى - في لهجة صادقة - أنا فعلا كنت مصرا على الحضور لولا ما بلغنى عنك من حضورك مجالس تنتقد الثورة التى أنت علم من اعلامها . وأنت لا يخفى عليك أن الشعب إذا رأى مسئولوا ينال من الثورة ، فإن ذلك يجعل الناس كلهم يرتابون فيها ، أو يرتابون في حسن صلته بها ، وقد رفعوا إلى في تقاريرات أن بعض الاخوان

المسلمين في سوريا ، وفي سائر الاقطار العربية كانوا يبعثون إليك أموالا لتعين أسر  
الاخوان المسلمين .

فأجبت به بأن ذلك كان أيام محنة الاخوان قبل الثورة بثلاث سنوات على الأقل ،  
وهذا صحيح ، ولكن ذلك شيء والتأمر على الثورة مع الاخوان ، وسائر الحاقدين شيء  
آخر .

ولم يجب على هذه الكلمات فرجوته أن يأذن لي بورقة اكتب فيها استقالتي من  
الوزارة ، ولكنه أجابني بقوله ، أنت تعرف حد استقال عندى قبل كده !

ثم وقف ايدانا بانتهاء المقابلة ، فقلت له وقد وقفت في مواجهته - إننى اعتقد أن  
لى عليك حقا لا يختلف عليه الناس ، وقد أبلغوك عنى ما أنت أعلم به منى ، فرجائى  
أن تبحث عن كل ما تريد البحث عنه ، فإن وجدته صادقا ، فأرجوك باسم الوطنية أن  
تحاكمنى محاكمة علنية لادافع عن نفسى هذه الاكاذيب الملفقة ، وإن لم تجد فرجائى  
إليك باسم الوطنية أيضا أن تكون الحقيقة أكبر همك ، فانا وانت زائلون ، وحرام أن  
تدمر مصر ونزعزع الثقة في اقدار رجالها . فقال لى في شبه مزاح وأنا كمان لى عندك  
طلب ، أن لا تخرج الحكومة ، وتخرج إلى الجمعيات وتجيب الدعوات ، فإن كثيرا من  
الناس سوف ينتهزون الفرصة ويجعلون منك بطلا للنيل من الثورة ، والخروج على  
النظام .

فأجبت لك على عهد الله أن ألزم بيتى مختارا تحقيقا لرغبتك ، وهذه كلمة رجل ،  
فلن أخرج من دارى إلا إذا دعوتنى للخروج . وكان المفروض أن تكون سيارتى أمام  
باب المكتب داخل الحديقة كما كان يحدث دائما ، ولكنهم احتجزوها خارج المنزل لأمر  
لا أعرفه ، فأمر الرئيس أن تدخل السيارة حتى باب المكتب - كما كانت العادة - ثم  
خرج يودعنى حتى ركبت السيارة ، وانصرفت إلى دارى ، وأنا لا أكاد أصدق  
ما حدث ، ولا أتصور ما سيحدث .

وقد وقع في نفسى أننى خارج من الوزارة . وأن هناك مؤامرة مدبرة لذلك  
الخروج ، فرأيت من الحق على أن أخلو في حجرة نومي بالاستاذ محمد سعيد  
الدسوقي السكرتير الثانى في وزارة الخارجية الذى كان قد عقد قرانه على كريمتى  
ليلي منذ خمسة أيام ، وقصصت عليه ما حدث بينى وبين الرئيس ، ثم قلت له :  
اسمع يا بنى إنك رغبت في مصاهرتى وأنا وزير ، ومبلغ علمى أننى تارك الوزارة ، وقد  
احللتك من الارتباط الذى تم بيننا ، فتصرف في هذا الامر بتمام حريتك وتقديرك  
لمصلحتك .

ولكنه بدل أن يتكلم بكى بكاء شديدا ، جعلنى استشعر اشد الندم على حديثى

إليه بهذه الصورة في هذا الموضوع ، ثم قال لي في صوت مغيظ يا عمى أنت تعرف  
أننى متمسك بليلي بنت الشيخ الباقورى مش بنت وزير الأوقاف ، وقد عقدنا القران  
وأنا مقتنع بها .

## الاستقالة

وفي صباح يوم الأربعاء الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٥٩ م نشرت الصحف  
نبأ قبول استقالتي من الوزارة ، فتوافد المواطنون على دارى ، وفي مقدمتهم الدكتور  
طه حسين عميد الأدب العربى ، ومنصور باشا فهمى أمين مجمع اللغة  
العربية ، والدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس . وقد كان من  
غرائب المصادفات أن يجتمع في حجرة الاستقبال هؤلاء السادة المصريون ، وهيئة  
السفارة الصينية في القاهرة الذين انتهزوا وجود الدكتور طه وراحوا يتناقشون معه -  
عن طريق الترجمة - حول منزلة الدكتور وأدبه في الصين .

فلما فرغ الحديث ، وانصرف القوم صعدت إلى حجرة نومي لاستريح من كثرة  
اللقاءات وأجراس التليفونات ، فإذا أخى خالد محمد خالد جاء ثم جلس معى على  
الأرض بعد أن فرغت من الصلاة ، وبدأ حديثا لا أنساه ما حييت .. وقد تجلت  
السكينة في وجهه وهو يقول : لا تنزعج من هذه التصرفات الحاقدة التى تهاجمك في  
كل مكان ، فإن اللقيمات التى بذلتها للمحتاجين ، لتأخذ مواقعها في الدفاع عنك فقد  
الحاقدين وتربص المتربصين ، ولا - والله - لن يضريك الله أبدا .

وقد أخذت هذه الكلمات من خالد موقعها في نفسى ، تدافع عنى غيظا اليما من  
أولئك الذين تصرفوا معى ، ومع ابنتى في أيام عرسها هذه التصرفات التى لا تليق  
بالكبار في حال من الأحوال . وكنت كثيرا ما أتمثل ما دافعت به عن عبد الناصر ، وفي  
طليعته ليلة الاعتداء عليه في ميدان المنشية في الاسكندرية سنة ١٩٥٤ وبدات كلامى  
بهذا الشعر :

أريد حياته ويريد قتلى      غديرك من خليك من مراد

## حقيبة عملات

ولست أنسى ابنى العزيز عبد الوارث الدسوقي ، الذى جاء في صباح اليوم  
التالى لاستقالتي مغيظا محنقا ، ثم أخبرنى أن من الإشاعات التى أطلقوها ضدى  
إشاعة غبية بقدر ما هى مضحكة ، ووجه الإضحاك والغباء في هذه الشائعة أننى كنت

في رحلاتي العالمية أحمل معي في حقيبة يدي عملات مختلف البلاد التي كنت أزورها ، من فرنكات سنغالية ، وأخرى فرنسية ، وجنيهاً استرلينية ، وكانت هذه الحقيبة تأخذ مكانها في مكتبي بالوزارة مع مذكراتي ومقالاتي التي كنت أريد أن احتفظ بها ، وقد استولى القوم على هذا كله ، ظانين أنه يحمل أسرار تثبت أنني أدبر مؤامرة ضد عبد الناصر .

وكان كل ما في تلك الحقيبة لا يجاوز ثلاثمائة جنيه في عملات مختلفة . فقلت للإشاعة : إن عبد الناصر صادر منذ أيام بنك موصيري ، ولم يعلم أن بنك موصيري موجود في حقيبة الشيخ الباقرى !

وبعد انصراف عبد الوارث جاءني موسى صبرى مندهشاً ، وأخبرني أن الإشاعات كثيرة ، وأنها مرتبة بحيث تم أرجاء القطر من الشمال إلى الجنوب في وقت واحد ، وسألني عن مال بذلته لبعض اللاجئين إلى مصر من الأشقاء العرب .

وقد أخطأت حملة الإشاعات الطريق إلى الفهم الصحيح . ذلك أنني كنت حريصاً على زيارة السيد رشيد على الكيلاني زعيم ثورة العراق الشقيق ، وقد زرت ذات يوم في منزله ، فإذا عنده السيد ساطع الحصرى ، وكان كاتباً عربياً يعتز بالقومية العربية أشد الاعتزاز ، وكان يأخذ على بعض أهل الرأي من المصريين أنهم يعتزون بالفرعونية أكثر مما يعتزون بالعربية ، ولذلك لم تجد كتب ساطع الحصرى الزواج الذي يقوم بحاجات رجل كبير . وقد أوصاني السيد رشيد على الكيلاني ببذل بعض ما أستطيع بذله من معونات أدبية أو مادية للسيد ساطع ، ففعلت تقديرًا لزعماء مقدورين في بلاد العروبة والإسلام .

وقلت لموسى : إن طلاب الإشاعات يستطيعون أن يجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً ، ويصنعوا ما يشاؤون ما دام غرضهم يتجه إلى الانتقام من أحد دعائم النظام الذى أخذ على عاتقه أن يدافع عنه حقد الحاقدين وتأمير المتأمرين . على أن مصر كانت - كما يعرف العقلاء المنصفون - ملاذاً للعروبة ومعاداً للإسلام ، فهي التى فتحت صدرها مرحبة بالأمير الجليل عبد الكريم الخطابي ، وبالرئيس الزعيم الحبيب بورقيبة ، وبالحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ، والقائد عبد الله القل صاحب معركة القدس . بل وكانت تفتح ذراعيها لغير العرب ، وغير المسلمين ، ومنهم لومومبا .

فقد كان تصرفي في أموال الأوقاف - من وجهة نظري ، ومن وجهة نظر الثورة - تصرفاً يتحرى كرامة مصر ، ويحترم تاريخ مصر في إيواء اللاجئين واغاثتهم ، وكل هؤلاء الذين ذكرت كانوا يعانون بروتب من الدولة أغلبها من وزارة الأوقاف ، فلا تنزعج يا موسى واطمئن ، وخاصة أنني طلبت من عبد الناصر أن يستخدم كل

امكانياته في البحث عن اموال لي في بلد من بلاد العالمين الشرقي والغربي ، وقلت له فإذا وجدت شيئا يقتضى المحاكمة ، فحاكمنى محاكمة علنية لكي اتمكن من الدفاع عن نفسي ، وأبدى وجهة نظرى - وأنا متأكد أنك لن تجد شيئا - وإن لم تجد من ذلك شيئا ، فمبلغ علمى أنك لا ترضى السكوت على الظلم ، وترتيب هذه الحملة لاطلاق الشائعات التى ستنتال من النظام كله قبل أن تتال من شخصى ، ولهذا فإننى ملازم دارى لا أبرحها ، احتى تخرجنى منها بقرار كما طلبت منى ان الزمها بقرار .

## رجال لم يتخلوا عن زيارتى

ومادام الامر امر ذكريات للتاريخ ، فان مما لا استطيع التغاضى عنه ان اقرر هنا ، ان الذين كانوا يزورونى في هذه الفترة الحرجة ، لا يكاد يدركهم الحصر ، ولا يتسع لهم صدر هذه الملامح من رجال الازهر ورجال السياسة ، وعامة الشعب ، وكانهم إنما كانوا يريدون بزياراتهم المتكررة ليل نهار ، ان يكذبوا كلمة جرت على السن الناس مجرى الامثال السائرة ، وهى ان من يخاصمه الحاكم يخاصمه سائر الناس ، تملقا له أو خوفا منه وتقربا إليه . وكذلك كان شأن احرار المواطنين الذين لاسلطان على ضمائرهم الا الله رب العالمين .

وفي طليعة هؤلاء السادة : أخى المهندس احمد عبده الشرباصى ، والزملاء عزيز صدقى ، وجمال سالم ، وسيد مرعى ، وأساتذة جامعة عين شمس : الدكتور كامل ليلة ، والشيوخ عيسوى وغيرهم وأساتذة جامعة القاهرة ، وكل من كانت له صلة بوزارة الاوقاف .

وقد كان مجلس هؤلاء يهيمن عليه غيظ كظيم ، ومع ذلك لم اكن أذن لأحد في هذا المجلس أن يتناول أمرا يتصل بالسياسة من قريب أو بعيد ، فقد كان مجلسنا هذا أقرب إلى الندوة العلمية منه إلى المجالس السياسية .

ولست ارتاب في أن مجلسنا هذا على هذه الصورة الكريمة ، كان يثير في أنفس الحاقدين أسفا يأكل القلوب حرقه وندما ، على أنهم الزموني البقاء في البيت لا سلطان على لأحد إلا للوعد الذى أعطيته عبد الناصر بأننى لن أغادر المنزل إلا بقرار يوقعه رئيس الجمهورية نفسه .

وقد وفيت بالعهد الذى قطعته على نفسى ، فلم أجاوز عتبة الدار إلا مرتين : إحداهما ، أجبت بها دعوة أخى الدكتور نور الدين طراف إلى مأدبة عشاء في داره ، والثانية ، كانت اجابة لدعوة وجهها إلى المهندس سيد مرعى إلى عزبته في الهرم .

وفيما عدا هذين الأمرين ، بقيت ملازما البيت على الرغم من حاجتى الشديدة إلى بعض الاخوة الفضلاء من أطباء الأسنان ، ولكنهم كانوا يفضلون بزيارتى لعلاج أسناني في البيت ، وفي مقدمتهم الأخ الزميل الدكتور أيوب عامر ، والسيدة الفاضلة قرينته ، والأخ الفاضل الدكتور عبد المنعم الرفاعي .

## عرض للإقامة في السعودية

غير أنني أحب أن أقف هنا وقفتين لا أجد عنهما مندوحة ، عرفانا بفضل ذوى الفضل الذين كرم الله بهم بنى الانسان .

وأولى الوقفتين ، تتصل بصديق عزيز كريم هو الأمير منعب بن عبد العزيز ، فقد تفضل بزيارتى في حجرة نومي ، ومعه صديقي الأستاذ عبد اللطيف الناحل المحامي . وقد دار بيننا حديث طويل أفهمنى أن الملك فيصل - رحمه الله - يرحب بزيارتى للملكة العربية السعودية الشقيقة ، لاجئا سياسيا ، او عالما ازهريا أقوم ببذل مجهود علمي موصول بالمجاهيد العلمية التي كنت أمارسها مدرسا في الجامع الأزهر الشريف .

ولم يكن يمنعنى من مغادرة مصر إلى الملكة العربية السعودية الشقيقة ، إلا أمر ابتدعته حكومة الثورة ، ابتداءا لم يسبقها اليه سابق في مبلغ ما أعلم ، ذلك أن هيئة الاستخبارات - في عهد عبد الناصر - كانت تعتبر لجوء المصرى إلى أى بلد ، ولاى سبب جريمة تستحق أقصى ألوان العقوبة ، وهى أن يعاد اللجوء إلى مصر نائما مخدرا في صندوق ، فربما مات اختناقا ، وربما أدركته عناية الله فسلم ، ولكن إلى حين .

وثانية الوقفتين ، تتصل برجل أوروبى لا تربطنى به رابطة من عقيدة او مصلحة - وقد كان الرجل صاحب فندق « سويس كوتيج » بالاسكندرية وهو ايطالى الجنسية اسمه « روميللوبانتي » - وكانت بين أسرته وأسرته رابطة صداقة قديمة من أواخر الأربعينات - وقد جاء الرجل من جنيف حين أنتهى اليه نيا استقالتي من الوزارة ، وكان حضوره في ليلة من ليالى فبراير شديدة البرد كثيفة الظلام ، ولما فتح له الباب صعد إلى غرفة نومي ، وفي يده حقيبة ، وعلى رأسه قبعة توحى إلى من يراه أنه قادم من سفر مخوف .

وقد أبلغنى أن الشائعات التي كان يروج لها المرجفون في مصر ، قد بلغت أوروبا أكلح وجها وأبين سوءا ، وأدل على خسة ذوى الأنفس الصغيرة من ذوى السلطان ، ثم قال إن ترويج هذه الشائعات بحيث تغطى مصر ، وكل مكان فيه

مصريون في وقت واحد شيء مدهش يدل على أن هناك جهازا من الحكومة هو الذي يرتب لنشر هذه الشائعات ، وهذا مفهوم للناس عموما ، وقال لن أمد يدي إليك بمال ، ولكنني أفتح بين يديك هذه الحقيقة لتأخذ أنت بيدك ما تشاء .

فشكرت له هذا الصنيع ، وأغلقت الحقيقة وأجبته بأن معنى من المال ما يكفيني .

وانصرف الرجل وقد برق الفجر ، ولا أدري هل اعتقلوه ، أم تركوه طليقا يذهب حيث يشاء .

## مدة تحديد الإقامة

ثم لم أزل الأزم داري مدة خمس سنوات وخمسة أشهر وخمسة أيام ، حتى إذا كان أول أيام شهر يوليو سنة ١٩٦٤ وإذا زوجتي تحضر إلى التلفزيون ، وكان المتحدث محمد أحمد مدير مكتب الرئيس عبد الناصر ، وقد بدأ حديثه قائلا : عقد قران هدى كريمة الرئيس بعد يومين ثلاثة ، واحنا عايزين نعرف هل إذا دعاك الرئيس تحضر أو تعتذر .

فقلت له إن هدى ابنتي ، وغير معقول ، أن يعتذر انسان عن حضور عقد قران ابنته ، وبعد أن فرغ من المحادثة بدقائق قليلة إذا سيارة الرئاسة تقف بالباب تاركة بطاقة الدعوة .

ولأول مرة بعد الفترة الزمنية الطويلة ، خرجت من بيتي إلى بيت عبد الناصر في منشية البكرى ، وقد كان الرجل واقفا إلى جانب زوجته يتلقيان التهاني بعقد القران ، فلما أبصرني مقبلا مع زوجتي نادى : أهلا عم الشيخ أحمد فمددت يدي أصافحه ، ولكنه عانقني عناقا شعرت معه أن الانسان مهما غفا ضميره ، فلا بد يوما أن يفيق .

وقد كان حضوري عقد القران ولقاء عبد الناصر إيأى على هذه الصورة الودية ، مثار اشاعات كثيرة ، فمن ذلك أنني مرشح لمنصب يتصل بوزارة الإرشاد في الاشراف على الصحف والمجلات وسائر دور الاعلام ، ومن ذلك أيضا أنني مرشح لمنصب سفير مصر في السعودية .

وقد كان لأخي الدكتور محمود فوزي جهد مشكور في هذا المجال ، إذ كان قد جاعني ذات ليلة ، وفي عرض حديث عابر سألني أتحب أن تكون أستاذا في كلية من كليات جامعة الأزهر الشريف ؟



وقد أذكر أنني لم أجبه بنفى أو إثبات ، ثقة منى بأن هذا السؤال يحتاج إلى جواب متأمل بصير .

فقال : إنك رجل ذو قلم ، والثورة تحتاج إلى أقلام تدافع عنها ، وتسلك الطريق نفسه الذى كنت تسلكه فى كل خطبة جمعة قائما على الاعتزاز بمصر ، والحرص على دعم الوحدة الوطنية ، وما إلى ذلك من كل ما يدل على الاتزان واستقامة التفكير .

وأذكر أنني قلت له : بالأمس جاعنى كثير من المشتغلين بالصحافة ، وخاصة جريدة الجمهورية ، وقد تحدثوا طويلا ، أحاديث ينقد بها بعضهم بعضا ويسفه بعضهم آراء بعض ، يرجون بذلك أن يكونوا موضع ثقتى ، وهذا المنصب الذى رشحتنى الاشاعات له لا يصلحه ولا يصلح له إلا أحد رجال الثورة ، واعتقد أنك توافقنى على ذلك . فصمت الرجل صمتا طويلا فى تفكير عميق ، ثم قال : إن أحب البلاد إلينا وأرفعها منزلة إلى نفسى ونفسك ونفس كل مسلم ، هى المملكة العربية السعودية ، وأنت - فى اعتقادى - خير من يصلح للسفارة بين مصر والمملكة العربية السعودية الشقيقة .

وفى موازنة قصيرة بين هذه الموضوعات ، تمثل ما لها وما عليها ، قلت له ، لو أنني خيرت ما اخترت إلا الأزهر الشريف الذى بدأت فيه حياتى وعرفت كل شئ يتصل به ، ويمكن من معرفة الفضل لأصحاب الفضل ، ورد الحقوق إلى الذين ظلموا ظلما لعله لا يخفى كله أو بعضه على أخى الدكتور فوزى ، وبعض هذا الظلم - مثلا - وقع فى مجلس الوزراء على الشيخ شلقوت شيخ الأزهر من وزير الأوقاف الدكتور محمد البهى قرقر ، الذى وصف الشيخ بأوصاف نابية لا يرضاها ذو مروءة ، فضلا عن أن يكون إبننا للشيخ وصنيعة من صنائعه .

## قرار التعيين مديرا لجامعة الأزهر يعلن فى مطار القاهرة

وفى اليوم السادس عشر من شهر يوليو سنة ١٩٦٤ كان الرئيس فى مطار القاهرة مستعدا للسفر فى رحلة خارج مصر ، وهناك تخلق حوله الصحفيون ، وراحوا يسألونه عن الاخبار الداخلية ، وفى جملتها الاشاعات التى تدور حول تعيين الشيخ الباقورى سفيراً لمصر فى السعودية ، أو مشرفاً على الصحافة ، وقد شرعوا أقلامهم وفتحوا دفاترهم ليكتبوا من فم الرئيس مايقول ، ولكنه لم يشأ أن يجيب . فدعا بمدير مكتبه ، وأمره بأن يحضر القرار الذى كان قد اتخذه منذ ثلاثة أيام ، وهو تعيين أحمد حسن الباقورى مديرا لجامعة الأزهر ، وقد كان يشغل هذا المنصب الدكتور محمد

البهى قرقر ، ولكنه لم يستطع أن يباشر مهام منصبه بسبب كثرة الحاقدين عليه ، والمعادين له من أساتذة الجامعة ومدرسيها وجميع طلابها .

وقد طلب الاخ كمال الدين حسين إلى الرئيس عبد الناصر أن يعين الدكتور عبد المحسن سليمان مديرا لجامعة الأزهر ، ولكنه رفض هذا الطلب قائلا : لن يكون مديرا لجامعة الأزهر إلا أحد أبناء الأزهر .

وفي اليوم التالى لصدور القرار جاءنى أخى المهندس الشرياصى فانتهزت فرصة وجوده معى وطلبت منه أن يصحبنى إلى الجامع الأزهر ، فقال لى إنك الآن مدير جامعة الأزهر ، فليس لزيارة الجامع الأزهر معنى ، وقد فاته - رحمه الله - أن الأزهريين كانت لهم تقاليد يلتزمون بها ويحرصون عليها ويعتزون بها ، وكان من هذه التقاليد ، أن كل من يلى منصبا جديدا بأمر ملكى أو قرار جمهورى عليه أن يذهب إلى مبنى الجامع الأزهر ويصلى فى قبلته القديمة صلاة شاكر الله - تعال - جليل نعمائه وجزيل عطائه ، فإذا قضى حق هذه التقاليد ، انصرف إلى قضاء عمله الذى وكل اليه ونيط به . ثم أخذنا السيارة إلى الجامع الأزهر الشريف ، وكانت الدراسة فيه قد عطلت بقرار من الدكتور البهى قرقر ، فاخترت حلقات الدرس ثم اختفى - تبعا لذلك - كل ما كان يمتاز به ذلك المبنى المبارك ، فالأروقة لم يعد فيها أهلوها كما كانوا من قبل ، والصبيان الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم كانوا يجيئون اليه وهم يقرأون بأصوات مرتفعة تعينهم على الحفظ ، ولكنهم بهذا القرار منعوا من دخول الجامع ، فانصرفوا إلى مكاتب تحفيظ القرآن .

فلم يكن الداخل إلى الأزهر يرى ما كان معروفا له من قبل ، من شيخ جليل قائم فى صلاة ، أو جالس فى قراءة قرآن .

ولست أنسى طالبا من يوغوسلافيا جمع الله له الخير كله فى حفظه القرآن ، لا يسقط منه حرفا ، وفى حسن تلاوته على أحسن ما قرره علم التجويد ، وكان له - مع ذلك - صوت جميل ، لا يكاد يستمع اليه الناس إلا دعا بعضهم بعضا إلى حضور مجلسه ، والاستمتاع بقراءته .

وليس فى وسعى ما كان يعتلج فى صدرى من ألوان الأسى رثاء للأزهر الذى ظل قرونا من الزمان مأمنا للخائفين ومعاندا للعائدين ، يؤمه - فى ليل أو نهار - طلاب العلم أجمعون ، سواء منهم أبناء المدارس المدنية وغيرهم ، من كل مواطن أشكل عليه أمر فى زواج أو طلاق أو إرث أو وصية ، فكان لا يجد لمشكلته حلا إلا على أيدي رجال الأزهر الشريف .

وكانت رؤيتى للأزهر - على هذه الصورة - توحى إلى أن هذا المكان المبارك ،

توشك البركة أن تخرج منه ثم لا تعود اليه ، فلم يقع في ذهني سوى بيتين من الشعر تمثلت بهما شديد الأسف عميق الحزن :

يا دار مية بالعلياء فالسند      أقوت و طال عليها سالف الأمد  
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها      عيت جوابا وما بالريع من أحد .

ثم انطلقت إلى الجامعة التي كانت قد أنشئت في عهد الدكتور البهي قرقر حيث كان وزيرا للأوقاف ، وقد ابتدا وجودها بكلية المعاملات الاسلامية ، وكلية البنات . ومن الانصاف للحق أن أقر هنا أن عبد الناصر كان قد زار الهند ، وليس في الهند جامعة تقبل المسلمين إلا جامعة « عليكرة » لأن الهند دولة علمانية ، والعداوة بين المسلمين والهندوس مشبوبة النار مسعورة الأوار .

## أصل الفكرة

وكان الرجل واسع المطامع في زعامة عالمية ، فذكر له بعض الناصحين له ، أن إيفاد المصريين إلى أفريقيا وآسيا - للدعوة للإسلام - أمر بعيد المنال ، لأن المبعوث المصرى يجب أن يكون ملما باللغة الانجليزية ، إماما يتمكن به الداعية من الكشف عن حقيقة الاسلام وأسرار التشريع ، وأيسر من ذلك سبيلا أن تستقدم مصر من أفريقيا وآسيا شبابا تعلموا اللغة الانجليزية في بلادهم ، على أن تنشأ لهم مدينة يقيمون فيها ، ويعنى بأمرهم مدرسون مصريون أزهريون يعلمونهم اللغة العربية ثم يدرسون - بعد ذلك - في الجامع الأزهر الشريف ، والذين يمتازون منهم بذكاء يلتحقون بالجامعة بعد أن تطورت تطورا يعينهم على أن يقدموا لمواطنيهم - بعد أن يرجعوا اليهم - ما ينتفعون به في شئون الطب ، أو شئون التجارة ، أو شئون القانون ، وفي الوقت نفسه يكونون قد درسوا وتمكنوا من علوم الاسلام والتشريع .

وقد أذكر - وأنا وكيل المعهد الأزهرى الثانوى - أنني توليت - بتوجيه من الشيخ الشناوى رحمه الله - تعليم بنين وبنات من شباب أوغندا ، ولعل بعضهم أن يكون الآن في مناصب قيادية رفيعة .

وأيا ما كان الأمر ، فإتنى جعلت أفكر في جعل التطوير أوسع أفقا وأعم فائدة ، ورأيت في الوقت نفسه أن إلغاء الدراسة في مبنى الجامع الأزهر ، عمل غير كريم ، ولذلك تقدمت بمشروع تنشأ به بالإضافة إلى الكليات الموجودة كلية للطب ، وكلية

للزراعة ، وكلية للهندسة ، وكلية للمعاملات الاسلامية ، وكلية للدراسات العربية والاسلامية على أن يكون مقر الكلية الأخيرة في الجامع الأزهر نفسه ، وأن يكون نظام الدراسة فيها وفقا للنظام التقليدي للأزهر القديم ، وأن تكون المحاضرات فيها موزعة على مختلف ساعات الليل والنهار ، وأن تفتح أبوابها لكل الراغبين في هذه الدراسات .

وقد كان واستراح قلبي ، وأعدت الدراسة في الأزهر القديم ، وليستمر الأزهر الشريف في أداء رسالته المقدسة . . إلى ما شاء الله . . !

.....  
.....  
.....

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢١٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولي ٨-٠٢١-١٥٧-١٧٧ ISBN